

تنزل الأملاك

من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك



تأليف

الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي

المتوفى سنة ٦٣٨ هـ

وضع حواشيه

الشيخ عبد الوارث محمد علي

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

تنزل الأملاك

من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك

تأليف

الشيخ الأكبر محيي الدين ابن عربي

المتوفى سنة ٦٣٨ هـ

وضع حواشيه

الشيخ عبد الوارث محمد علي

منشورات

محمد علي بيضون

لنشر كتب السنة والجماعة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذا الكتاب الذي نضعه بين أيدي القرّاء الكرام «تنزّل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك»، هو تعبير جليّ عن فلسفة ابن عربي التصوفيّة. وقد ألّف الشيخ هذا الكتاب بعد كتابيه الكبيرين «الفتوحات المكية» و«فصوص الحكم» في أواخر حياته، فأودع فيه آراءه في القضايا الكبرى مثل القضاء والقدر، وأعمال العباد، والمقامات والأحوال، والشريعة. الخ فيقول في الباب الأول: «هذا كتاب أودعت فيه لطائف الأسرار وأضواء علوم الأنوار، فهو مبنيّ على اللغز والرمز ليتحقق المدّعي في مناجاة ربه عند وقوفه على هذه النتائج بالحصر والعجز »؛ ثم يتكلم على تسمية كتابه بهذا الاسم «تنزّل الأملاك من عالم الأرواح إلى عالم الأفلاك»[1] فيحلّق بنا في معانيه الذوقية وتعريفاته التي لم يكتب أيّ حرف منها ـ كما يقول هو ـ إلا لمعنى وسرّ

ونحن ـ في دار الكتب العلمية ـ إذ نضع هذا الكتاب القيّم بمتناول القرّاء الكرام، نرجو أن يكون عملنا هذا إسهامًا متواضعًا في تقديم التراث الصوفي النّيِّر بشكل سهل التناول عذب المأخذ. وما توفيقنا إلا بالله تعالى إنه سبحانه وليّ التوفيق.

(١) انظر الباب الأول من الكتاب.

ترجمة ابن عربي[1]

(٥٦٠ ـ ٦٣٨ هـ/ ١١٦٥ ـ ١٢٤٠ م)

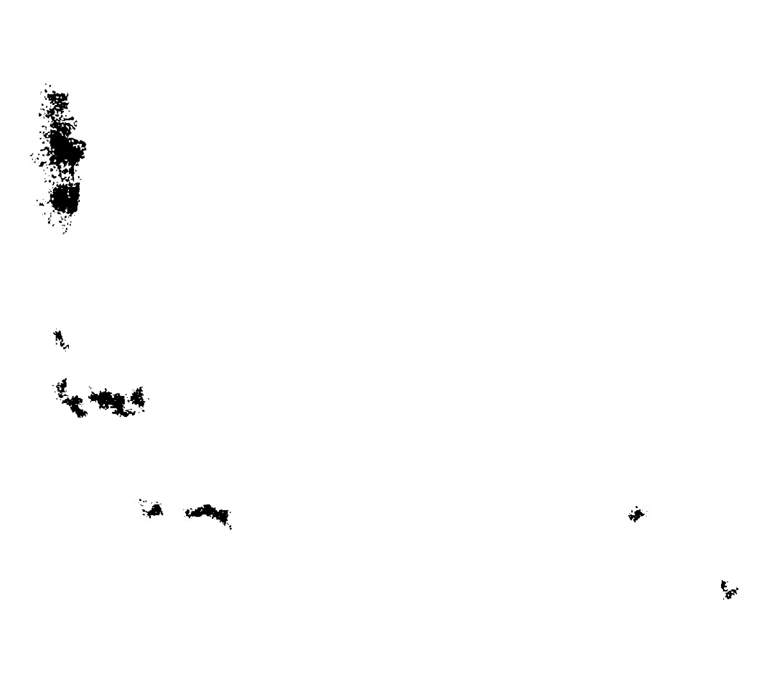
هو محمد بن علي بن محمد بن عربي، أبو بكر الحاتمي الطائي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقّب بالشيخ الأكبر فيلسوف، من أئمة المتكلّمين في كل علم وُلِدَ في مرسية (بالأندلس) وانتقل إلى إشبيلية. وقام برحلة، فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز وأنكر عليه أهل الديار المصرية «شطحات» صدرت عنه، فعمل بعضهم على إراقة دمه، كما أُريق دم الحلاج وأشباهه وحبس، فسعى في خلاصه علي بن فتح البجائي (من أهل بجاية) فنجا واستقر في دمشق، فتوفي فيها وهو، كما يقول الذهبي قدوة القائلين بوحدة الوجود.

له نحو أربعمائة كتاب ورسالة، منها «الفتوحات المكية» في التصوف وعلم النفس، و«محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار» في الأدب، و«ديوان شعر» أكثره في التصوف، و«فصوص الحكم» و«مفاتيح الغيب» و«التعريفات» و«عنقاء مغرب» تصوف، و«الإسرا إلى المقام الأسرى» و«التوقيعات» و«أيام الشان» و«مشاهد الأسرار القدسية» و«إنشاء الدوائر» و«الحق» و«القطب والنقباء» و«كنه ما لا بد للمريد منه» و«الوعاء المختوم» و«مراتب العلم الموهوب» و«العظمة» و«الإمام المبين» و«مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم» و«مرآة المعاني» و«التجليات الإلـٰهية» و«روح القدس» و«درر السر الخفي و«الأحدية» و«الأنوار» في أسرار الخلوة، و«شجرة الكون» و«شجون المسجون» و«فتح الذخائر والأغلاق شرح ترجمان الأشواق» و«منهاج التراجم» و«عقلة المستوفز» و«مقام القربى» و«شرح

---

(١) انظر الأعلام للزركلي (٦/ ٢٨١، ٢٨٢).

أسماء الله الحسنى» و«شرح الألفاظ التي اصطلحت عليها الصوفية» و«أوراد الأيام والليالي» و«اللمعة النورانية» و«القربة» و«شق الجيب» و«التجليات» و«الشواهد» و«تحرير البيان في تقرير شعب الإيمان» و«مراتب التقوى» و«الصحف الناموسية» و«مئة حديث وواحد قدسية» و«تصوير آدم على صورة الكمال» و«فهرست مؤلفاته» و«اليقين» و«الأصول والضوابط» و«تلقيح الأذهان» و«الحجب» و«مرآة العارفين» و«المعول عليه» و«التدبيرات الإلهية في المملكة الإنسانية» و«الأربعون صحيفة من الأحاديث القدسية» وغيرها



بسم الله الرحمـٰن الرحيم وبه نستعين

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي وصف الإنسان بما وصف [به][1] نفسه ومنعت الحقيقةُ الكيفيَّة، وفطره على الصورتين اللفظية والمضافة المعنوية، ثم سماها بما سمي به ذاته. فقال: ينفي المثلية، فمحا عين ما أثبته، فحيّره بين الأدلة العقلية، والبراهين الوضعية، ثم صلى عليه قبل صلاته ولا قبليه، وجعل صلاة الكرم بعد صلاة الجود، بين صلاته وسؤاله في صلاته ولا بيْنيه، وقيّد له مناجاته بالأوقات، وناجاه في مقام آخر من غير ميقات، ليجمع له بين رسله، ويسلك به على جميع سبله، فكشف له عن المقام المحمدي، في حضرة ذاته فرآه، وأشهده حقيقة المقام الموسوي في حضرة صفاته، فوعى ما به ناجاه، فلما تقدمت صلاته، وجب أن يبدأ بحمده، قبل عبده، لنفسه ولعبده، وأن يفي بوعده لخلقه قبل وفائهم له [بعهده][1] لقدسه في صدق وعده، فأشهده سبحانه وتعالى ربوبيته، قبل تكليفه إياه فقال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢]. ثم لما أراد جل ثناؤه تمحيصهم وابتلاءهم، سجنهم في محلٍّ مصيرُه إلى الخراب والبلى، فأفاض من وجوده الأزلي، بجوده الأقدسي، على وجوده الأبدي، فيضًا أظهر عن ذلك الفيض الأنزه، على هذا الوجود الأنوه، إبرامًا ونقضا، ورتقًا وفتقًا[2]، ورزقًا وخلقًا، وبسطًا وقبضا وكل قسم من هذين القسمين: وجود مُحَقّق، عن فيض جودٍ مطلق؛ فليس إلاّ الإيجادُ الفيض مع الأنفاس، والإرفادُ[3] المحض إلى جميع

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) الرتق: الشيء المرتوق (يستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والمثنىٰ والجمع). الفتق: الفصل بين المتصلين، وهو ضد الرتق.

(٣) الرفد: العطاء والصلة.

الأجناس، ولا سبيل إلى وصف المقام الأقدس بالمنع، فإنه عدَمٌ، وتردُّ شبهاتِه براهين القدم، فأودعَ الأسرارَ الأولَ المالكةَ مفاتيحَ الأزل، الأرواحَ الأمناء، وأنزلهم بها باسْمه الفتّاح، في أرض الأشباح[1] خَلقًا، ولذلك قال تعالى ﴿كانَتَا رَتْقًا ففَتَقْنَاهُمَا﴾ [الأنبياء ٣٠] يعني الأرض والسماء، لمّا أشهدهم حقائق المسمياتِ فَعلّمَهُم الأسماء حين عميت عنها الأرواحُ الملكيَّة التي لم تتخذها الأجسام خلقًا، ثم انقلبوا إليه سبحانه وتعالى بعد طول الصحبة، لهذا الهيكل، عنصر الظّلمة، بما اكتسبوه فيه علماء فبقيت بعدهم هذه النشأة الترابيةُ، أرضا موحشة بيداءَ[2]، لا ظل فيها ولا نَفس ولا ماءَ، فغيّبت عن البَصَرِ في الحفرِ، لوجودِ الضررِ في البَشر، حكمة [إلٰهيّة][3] علوية غَرّاء، ليردّهم إليها على صفتين صفةٍ واضحة بيضاءَ، وصفةٍ كالحة[4] سوداءَ، لمّا جعل في جنسها الأولِ مناقب المعارف والحكم، موقوفة على ارتفاع الهِمَمِ، وجعل مثالب الجهالات والظُلَم في محال الشكُوكِ والتهم، فتركها لحمًا على وضَمْ[5]، وذلك لتصح اليدان بالبُعد والقرب، وتثبت القدمان بالتواضع والعُجْب، وتحقق القبضتَان بالكُشوفَات والحجْب، ويعلم شرف الإنسان بتحصيله أسرارَ الشرق والغرب، على سائر الأكوان، من العالم الملَكي والفلَكي والطّبيعِي، الجامع للحارِّ والباردِ، واليابس والرطب. أحمدُه سبحانه حمدَ مَن قَهرهُ العزُّ، فَردّه حمدُه إليه، وأشكرهُ شكرَ مَن قامَ به العجز، فأعاد شُكْرَهُ عليه، فتَسامى على كل حمدٍ وشكرٍ، حمدُهُ وشكره، وتعالى عن كلِّ عرفان ونُكر عرفانُهُ ونكره، لمّا رأى أنّ رفيقه القديم، أولى بالتقديم في ذلك، فكان بهذا القدر عند أهل القدر السيّد المالك. والصلاة على من فرِضَتْ علينا الصلاةُ عليه، فبقيتْ ألبابُ المحققين حائرةً، فيما وهبه واهب العقل، حين نظرت بأعين بَصائرِها فيه، وبأعين أبْصارها إليه. فصلّت عليهِ في حال الفنَاء ليتولّى تلك الصلاة مفرضها مانحُ السَّنَا والسَّنَاء صلى الله عليه، وعلى آله، ما دام تَعَطَّشُ هذه الأرض لما أودع الله من غِذَائها في هذه الجرباء[6]

---

(١) الأشباح: (ج) الشبح: ما بدا لك شخصه من الناس وغيرهم غير جلي من بُعْد.

(٢) البيداء: الفلاة (ج) بيد، وبيداوات.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٤) كلح فلان: اشتد عبوسه فهو كالح.

(٥) الوضم: خشبة الجزار يقطع عليها اللحم (ج) أوضام، وأوضمة.

(٦) الجرباء: من السماء الناحية التي لا يدور فيها فلك الشمس والقمر. (لسان العرب ٢٦٠/١=

الحمد أولُ ما افتتحتُ به الكلام	لله كــونَ ذَاتــي فــي الــتّــمــامْ
ثـم استـمر الـجودُ منه بحضـرتي	يُسْدي فيظْهرُ ما أريدُ على الدوامْ
ثـمّ الـصّـلاة عـلـى الـرّسـولِ وآلـهِ	أهل المقامات المعظّمةِ الجسامْ
مـا دامـتْ الأفـلاكُ تـسْـري والْـورى	مُـتـكـونـا عـنْ سـيْـرهـا ثـمّ الـسـلامْ

[أما بعد، فإني ذاكر في هذا الكتاب ما أشرت إليه في تراجم هذه الأبواب بجميع ما فيها على تواليها][1]

فهرست أبواب الكتاب المحكم، أودعتها أسماء ما أنا ذاكره فيها، وما تعطيك من أسرارها، بعبارة تبدي الذي أنا ساتره.

الباب الأول ـ في ذكر اسم هذا الكتاب وشرحه مجملاً

الباب الثاني ـ في بيان تنزل الأملاك على قلوب الأولياء.

الباب الثالث ـ في معرفة المكلِّف والمكلَّف.

الباب الرابع ـ في معرفة التكليف.

الباب الخامس ـ في معرفة سبب وضع الشريعة، ومعنى قوله تعالى [في العالم][1] ﴿قُلْ لَوْ كان في الأرض ملائكةٌ يمْشُون مُطْمئنِّين لنزّلنا عليهم من السّماءِ مَلَكًا رسُولاً﴾ [الإسراء 95] وقوله: ﴿وإن من أُمّة إلاَّ خلا فيها نذيرٌ﴾ [فاطر 24].

الباب السادس ـ في معرفة كون الرسول من جنس المرسل إليه. وقوله تعالى ﴿ولوْ جعَلْناه مَلَكًا لَجعلنَاهُ رَجُلاً﴾ [الأنعام: 9] وقوله تعالى: ﴿لنزّلْنا عليْهم من السّماء ملكًا رسُولاً﴾ [فاطر 24] ولم يقل: رجلاً

الباب السابع ـ في بيان مقام الرسالة، ومقام الرسول، من حيث هو رسول، ومن أين نودي؟ وأين مقامه؟ والفرق بين الخلافة والرسالة، ومعرفة النبوة والولاية، والإيمان والإسلام، والعالم والجاهل، والظانّ والشّاك والناظر، والمقلّدين لهم.

مادة: جرب).

(1) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

الباب الثامن - في معرفة تلقي الرسالة وشروطها وأحكامها

الباب التاسع - في معرفة الرسالة الثانية الموروثة الموروثة من النبوة، ومعنى قول النبي ﷺ «العُلماءُ ورثةُ الأنبياء»[1] وقوله «عُلماءُ هذه الأُمّة أنْبياءُ سائر الأمم» وكان معاذ وغيره، رسولَ رسول الله، إلى من أَرْسل إليهم، ولماذا ترك ذكر الواسطة، وقيل رسول الله، وكان يأخذ عن جبْريل، ولم يُقل في معاذ وغيره رسول الله، وقيل فيه رسولُ رسول الله

الباب العاشر - في بيان السبب الذي دعاني إلى أن أذكر أني أختص في هذا الكتاب من العبادات الصلوات الخمس دون غيرها

الباب الحادي عشر - في معرفة علة أسماء الصلوات الخمس والتنبيه على ما في كيفياتها من الحكم والأسرار على طريق الإجمال.

الباب الثاني عشر - في معرفة شروط الإمام.

الباب الثالث عشر - في معرفة شروط المأموم

الباب الرابع عشر - في معرفة الطهارة وصفة الماء الذي يتطهر به

الباب الخامس عشر - في معرفة سبب التعميم في غسل الجنابة وتخصيص الأعضاء في الطهر من الحدث الأصغر

الباب السادس عشر - في معرفة النية والفرق بينها وبين الإرادة والقصد والهمة والعجز والهاجس.

الباب السابع عشر - في معرفة غسل اليدين ثلاثًا، ووصف المياه والأواني في كل صلاة.

---

(١) أخرجه ابن ماجة في (السنن ٢٢٣)، وابن حجر في (تلخيص الحبير ٣/ ١٦٤)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ١/ ٧١، ٣٣٨، ٤٥٠)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٢٨٦٧٩) والقرطبي في (التفسير ٤/ ٤١، ١٣/ ١٦٤)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ١/ ٦)، والبخاري في (التاريخ الكبير ٨/ ٣٣٧)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ٢٠)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ٢٢، ٨٣)، والسهمي في (تاريخ جرجان ٣٣٦)، وابن حجر في (الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ١٢٤)، والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ١١٤)، وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٣٠، ٢٤٧).

الباب الأول

١ ـ في ذكر اسم هذا الكتاب وشرحه مجملاً:

هـذا كـتـاب تـنـزل الأمـلاكِ ... مـن عـالـمِ الأرواحِ فـي الأفـلاكِ
عن أمرِ وصفِ العالم الآل الذي ... قـهـر الـورىٰ بـجـسـامِـهِ الـفـتَّـاكِ
يا مـالكًا افتـح الـخزائن جوده ... لإقـامـةِ الأعـراشِ والأمـلاكِ
بينَ العقِول وبينَ حضرة ذاته ... الـعـامـلات الـسـادة الـنـسَّـاكِ
صَفت لدَى باب النُّهى أقدامَها ... كـسـرائـرِ الأضـواءِ والأمـلاكِ
وعـلـوم أيـام الـوجـود دلـيـلـه ... عـنـدَ الـمـنـاجـاة بـالأشـراكِ

هذا كتاب أودعت فيه «لطائف الأسرار، وأضواء علوم الأنوار» فهو مبنيّ على اللغز والرمز، ليتحقق المدعي في مناجاة ربه، عند وقوفه على هذه النتائج، بالحصر والعجز وإنما قصدت أيضًا ستر هذه المعاني الإلٰهية في هذه الألغاز الخطابية، غيرة من علماء الرسوم، وعقوبة لهم من أجل إنكارهم، كما ختم الله على قلوبهم، وعلى سمعهم، وجعل غشاوة على أبصارهم، فلم يدركوا من روائح الحقائق شمة، ولم يميزوا في قلوبهم بين اللَّمَّة واللَّمة، تأسّيًا بمن أخذ مثل هذا العلم، من النبيّ المعصوم وقال: لو بثته قطع مني [هذا][1] البلعوم، وكما قال عليّ[2] رضي الله عنه، حين علم النقلة: إنّ هٰهنا ـ وضرب على صدره بيده ـ لعلومًا جمَّة، لو وَجَدَتْ لها حَملة وكما قال ابنه الذكي

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) هو علي بن أبي طالب (٢٣ ق هـ ـ ٤٠ هـ/ ٦٠٠ ـ ٦٦١ م) هاشمي قرشي. راجع الخلفاء الراشدين وأول العشرة المبشرين. وابن عم النبي وصهره. ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء وأول الرجال إسلامًا. ولد بمكة. (الرسالة القشيرية ص ١٠٨).

يا رُب جوهر علم لَوْ أبوحُ به ... لقيل لي أنت ممّن يعبدُ الوَثنا
وَلاسْتَحَلّ رجالٌ مسلمُون دمي ... يـرونَ أقبـحَ مـا يـأتُونَـهُ حسـنَـا

فبهؤلاء السادات في ستري لهذه العلوم تأسيت، وبهم فيها اهتديت، وسميت هذا الكتاب «وتَنزُّلَ الأملاك للأملاك، في حركات الأفلاك» عن أوامر صفات العلام الإلـٰه المالك، والقهار الفاتح على أرباب الألباب، الصافّات عند الباب، لسرائر صلوات أيام الليل الحالك، والنهار الواضح.

وربما يقول، بعض من لا معرفة له بطريق الحقائق، التي هي نتيجة التصوف[1]، ولا علم له بصورة التجارب فيها، ولا التصرف في إطالة اسم هذا الكتاب، إنه قشر على غير لباب، وترجمة تروقُ بلا معنى، واسم يهُول بلا جسم، فاعلم وفقك الله تعالى أنَّ غرضي البيان الشافي في كل ما أصنفه، والقول الكافي في كل ما أولفه، فما جعلت في ترجمة الكتاب لفظة، إلا لمعنى فيه يُودَعُه، وسر لديه يُستَودعُه.

فقولي «تنزّل الأملاك» لأنها الآمرة عن الله قلوبَنَا بضروب الطاعات، وقولي «للأملاك» لالتحام النشأتين، وانتظام الصورتين، بفنون الاستماعات، وقولي: «في حركات الأفلاك» لارتباط الصلوات والتنزلات [بالساعات، وقولي: «عن أوامر» لتعدد التنزلات، وقولي: «صفات»[2]] لبيان حقيقة الذات، ولم أقل: «صفة» لأنها عن العلم، والقول والإرادة، المتوجهات مع القدرة، على إيجاد الكائنات، وقولي: «العلام» لكونه من الأسماء الاحاطيات، وقولي: «الإلـٰه» لكون الأرواح الإنسانية، «ومن الملكوتيات» لأنَّ دلالة الإلـٰه ملكية، ودلالة الله بشرية، هكذا صرفته الكلمات، فعبد الله، وعبيد الله، في الأرض، نظير مكاييل في السمٰوات، وجبراييل في سدرة[3] الانتهاءات، وقولي: «المالك» حذرًا من دعوى العَبْد للمُلْك لما يحصل له في السعايات، وقولي: «القهار» لإخراج الإرسال بالقهر

(١) التصوف: هو علم تُعرف به أحوال تزكية النفس، وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية، فموضوعه (التزكية والتصفية والتعمير).
(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٣) سدرة المنتهىٰ: شجرة في الجنة.

عما وجب لها من المقامات وقولي «الفاتح» لنزولهم على شرح الأفلاك المستديرات، وقولي: «على الباب» لكون هذا التنزيل من العقول المفارقات، وقولي: «الأرباب» لأنه لا يتفطن لتنزلهم على القلوب، سوى السادات، وقولي: «الصافات» لكونها طالبة للمشاهدات، وقولي: «عند الباب» لكون حجاب العزة، لا يرتفع عن الحقائق الإلـٰهيات وقولي: [سرائر][1] لإرادتي السريرة الموجودة، بين الله تعالى، وبين العبد في الصلوات، وقولي: «صلوات» لأن لكل صلاة ضربًا من المناجاة، وصنفًا من الكرامات، وقولي: «أيام» إشارةً للفرق بين هذه الأيام المعهودات، والأيام المقدّرات، وقولي «الليل الحالك، والنهار الواضح، لأن الليل والنهار للمحسوسات المستترات، والظاهرات المرئيات، والحالك والواضح، للإشارات المغيبات، والعبادات المستنيرات»

وهذا كله في كتابي أذكره وأبنيه وأسطره، وعلى ترتيب هذه الكلمات، أتكلم رغبة في المثُوبَات، ورفع الدرجات، وحط الخطيئات، فهذا التنزل بحمد الله تنزل قدسي، يقبله عقل ندسي[2]، يستره ثوب سندسي[3]، يتعلق به خاطر نفسي، يظهره قالَب حسي، ثم يرجع عوده على بدئه لقيام نشء آخر مثل نشئه ﴿كما بَدَأَكُم تَعُودُون﴾ [الأعراف: ٢٩] و﴿ولَقَدْ عَلِمْتُمْ النَّشْأَةَ الأُولى فَلَوْلاَ تَذَكرُون﴾ [الواقعة: ٦٢] فليس في عالم اللبيب، سوى تركيب، وتحليل [بلغ][1] التركيب.

٢ ـ بيان تنزل الأملاك على قلوب الأولياء:

إذا نــزلَ الــروحُ الأمــيــن عــلــى قــلــبــي
تــضــعــضــع تــركــيــبــي وحَــنَّ إلــى الــغــيــبِ
فــأودعَــنــي مــنــه عــلــومًــا تــقــدَّســت
عن الحذْسِ والتَّخْمِين والظَّنِّ والرَّيبِ[4]

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) النّدس: الفِطنة والكَيْس. ورجل ندس؛ أي فَهِمٌ سريع السمع فَطِن (لسان العرب ٦/ ٢٢٩ مادة: ندس).

(٣) السندس: ضرب من رقيق الديباج أو الحرير المنسوج الذي يتلون ألوانًا.

(٤) الحَدْس: الظن والتخمين والفِراسة. والحدس في الفلسفة: المعرفة الحاصلة في الذهن دفعة واحدة من غير نظر أو استدلال عقلي. التخمين: القول بالحدس.

فـفـصّـلـتِ الإنـسـانَ نَـوْعَـيـن إذْ رأتْ
يـقـومُ بـه الـصـفـوُ الـنـزيـهُ مـع الـشَّـوبِ
فـنَـوعٌ يَـرى الأرزَاقَ مـن صـاحِـب الـغـيْـبِ
ونَـوعٌ يَـرى الأرزَاقَ مـن صَـاحِـبِ الـجـيْـبِ
فـيـعـبـدُ هـذا الـنـوعُ أسـبـاب رَبِّـه
ويـعـبُـدَ هـذَا خـالـقَ الـمـنـعْ والـسَّـيْـبِ
فـهـذا مـع الـعـقـلِ الـمـقـدَّسِ وصـفـهُ
وهـذَا مع الـنَّـفْـسِ الـخـسِـيـسـةِ بـالـعَـيْـبِ

لعلك يا ولي، إذا سمعتني أقول: تنزل الروح الأمين على القلب تنكر وتقول: أوحي بعد رسول الله ﷺ؟ لا تفعل أعاذنا الله وإياك من وحي، كل شيطان غويٍّ، إنما هو عبارة في العامة عن اللَّمَّة الملكِيَّة، وفي الخاصة عن الحديث. كما ورد في صحيح الحديث، في القديم والحديث، قال خيرُ البَشَر «إنَّ فِي أمَّتي محَدَّثينَ، وإنَّ مِنْهُمْ عَمرُ»[1] وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام[2] «فِي قلْبِ العَبْدِ أنْ يتَصرَّفَ بين لمّةِ الملَكِ، ولمَّةِ الشَّيْطَانِ» ثم كنَى أيضا، عن هذا التصريف والتقليب بالإصبعين، وأضافهما إلى الرحمن؛ فما زالت الملائكة تتعاهد القلوب، بأسرار الغيوب، وهي التي تأمرك بالطاعة، والتزام السنة والجماعة، حين تأمرك الشياطين بلمّتِها، فإن لم تسمع لها، أمرتك بالتسويف أو الموافقة، وتتنوَّع تنزلات الغيوب، بتنوُّع استعدادات القلوب، ولا تظنَّ - أيها الخليل، أنني أغني بالروح الأمين جبريل، فإن الملائكة كلُّهم أرواحٌ أمناءُ، على ما أودعها الله من أصناف العلوم الموقوفة على التوصيل، تارة بالإجمال، وتارة بالتفصيل، ولا بد أن يكون صاحب التنزلات الغيبية عارفًا بالمتنزلات وأصنافها وعالمًا بالروائح وأنفاسها، فلا يتصور إنكار فيما [أذكره][3] بعدما قررناه من اللَّمَّة والحديث، إلاَّ من معاند

(١) أخرجه البخاري (فضائل الصحابة ٦)، (أنبياء ٥٤)، ومسلم (فضائل الصحابة ٢٣)، والترمذي (مناقب ١٧)، وأحمد بن حنبل (٦، ٥٥).

(٢) هنا إشارة إلى حديث «إن قلب ابن آدم بين إصبعين (بإصبعين) من أصابع الرحمٰن» أخرجه ابن حجر في (فتح الباري ٣/ ٣٨٣، ٣٩٨)، والسيوطي في (الدر المنثور ٢/ ٩)، وابن كثير في (البداية والنهاية ١٠/ ٣٠٥)، والدولابي في (الكنىٰ والأسماء ٢/ ٩١).

(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

خبيث، متَّعَنا الله وإياكم بنتائج الأذكار، وعصمنا وإيَّاكم من أغاليط الأفكار، [وَطهّر][1] وقدس قلوبنا من دنس التعصب والإنكار، على ما يظهرُ من المتقين الأبرار، من غوامض الغلوم والأسْرار

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

الباب الثاني

١ ـ في معرفة المكلِّف ـ سبحانه وتعالى ـ والمكلَّف:

تحقَّقْ إذا ما قلتَ إنّي مهيمن ... بأنَّك عبدٌ والإلَه إلهُ
إن كنتَ مخلوقًا على الصورةِ التي ... تُقابِلُه حقا فلستَ تَرَاهُ
فإنَّكَ لا غَيْرٌ ولا أنتَ مثلُه ... لأنْ سجَدَتْ لله منكَ جِباهُ
فإن قلت بالمغْنَى اتَّحَذْنَا فإنَّه ... يقومُ دليلُ الافتقارِ حِذَاهُ
فلا أنت [مَنْ][1] أكْني ولا أنْتَ غَيرُه ... فقد حرتَ فيه إنْ شَهِدت سوَاهُ
لَئِن قُلتَ إنِّي أَصْلُ ظُلمةِ ذَاتِه ... فَقَد قلتَ وقْتًا فِي سنَايَ سنَاهُ
فقد حارَ في مِثْلي وقد حِرْت مِثْلَه ... وقد حارتِ الحيراتُ حينَ مَحَاهُ
وأصدقُ ما تعطيه ذاتي وذاتُه ... على حيرتِي فيه بسبْقِ عَمَاهُ
فإني وإياه عزيز وضدَّه ... فليس يبين الليلَ غيرُ ضحاهُ
تعجبتُ من تكليفِ مَا هوَ خالِقٌ ... لهُ، وأنا لا فعلَ لِي فأراهُ
فياليتَ شِعري من يكونُ مكلفًا ... وما ثَمَّ إلا الله ليس سِوَاهُ
رمزتُ المعانِي في قريضي فموهتْ ... أغاليطُ لفظي فاحتمي بحماهُ

صعد الكلم الطيب، على براق[2] العمل الصالح، بالعقل [الصحيح][1] الراجح لمعرفة المكلِّف والمكلَّف بطريق الكشف الصريح الواضح، باستعمال موعظة النصيح الناصح، فتنزل الروح الأمين، عن الأمر، على القلب، ليكشف له عن سر ما طلبه، في عالم التمثُّل والغيْب، بارتفاع الحجب، وإعدام ظلم الريب وقال:

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) البُراق (في حديث المعراج): دابة ركبها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء.

لتعلم أيها القلب الكريم، أن الحقيقة الإلـٰهية تعطي أمرين، ولهذا صحت الصورة للإنسان وحده من دون غيره، فأوجده نشأتين باليدين، والحجب له بنجدين، وأنزل عليه تكليفين، حين قسم العالم قسمين، في القبضتين، فأخفاهما في الدنيا عن التمييز بالإضافة إلى شخص ما في العين، وأبرزهما في الآخرة لذي عينين، لما كانت الآخرة ذات دارين، ولما كان الوجود على هذا الحد، لذلك تعالى عند العلماء العارفين بالله الزوج على الفرد، كما تعالى عند العارفين بالرب الوتر[١] على الشفع[٢]، لأنهم أهل الجمع، ولظهور الصورة المثلية مع الحقيقة الإلـٰهية، كانت مراتب لوجود أربعة، فصار التربيع أصل هذه الأشكال المحكمة المرصعة، وبهذه الصورة صحت الخلافة بالتقديم، وبسببها امتدت إلى المحدث بالإيجاد والتكليف، دقائق القديم، وإن كان هذا موضع حيرة، فقد نيطت بها الغيرة.

الـربّ حـقٌ والـعـبـد حـقٌ	يـا لـيتَ شعـري مَنِ المكـلفْ
إن قـلـتَ: عـبدٌ. فـذاكَ، مَـيـتٌ	أو قـلـتَ: ربٌّ. أنـى يـكـلـف؟

وكل ما ثبت في النظر الفكري من انبساط الحقائق، فهو عند العلماء بالله بالكشف والمشاهدة من الأغاليط، فالوتر معقول غير موجود، والشفع موجود لكنه محدود، وغير محدود، فالوتر مع الشفع كالهيولى[٣] مع الصورة، ولا توجد إلا بوجودها، كما لا تعرف الصورة إلا بحدودها، ولا أقول بشفعية الذات، وإنما أقول باستحالة تعريها عن الصفات، فإن العدد في الأحد لا يذهب بحقيقته، ولا يخل بطريقته فنفي الشفع واجب من أهل الشرك والحد لازم لأهل الإفك[٤]، ولهذه الحقيقة الإلـٰهية شرعت الصلاة كلها شفعًا، ليس فيها وتر، وإن وتر الليل يشفع صلاة المغرب، فانظر يلح لك السر، ولو لم يشرع الوتر الليلي، لبطل بالمغرب هذا الوجود الإلـٰهي، ومحال أن يبطل الوجود الإلـٰهي. فلا بد أن يشرع

---

(١) الوِتْرُ من العدد، ما لم يكن زوجيًا، وهو ضد الشفع، ومنه صلاة الوتر.

(٢) الشفع: خلاف الوتر وهو الزوج.

(٣) الهيولىٰ: مادة الشيء التي يُصنع منها، كالخشب للكرسي، والحديد للمسمار، والقطن للملابس القطنية. و(عند القدماء): المادة التي خلقت منها أجزاء العالم المادية، وهي مادة ليس لها شكل ولا صورة معينة، قابلة للتشكل في شتىٰ الصور.

(٤) الإفك: الكذب أو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء.

الوتر الليلي، فلا يوجد الوتر في شيء أصلاً قطعًا وفصلاً؛ والفائدة المطلوبة في العقل والسمع، إنما هي في الشفع، ولذلك لا يرى في الوجود أبدًا إلا صفة وموصوف، ولا سبيل في الإيمان بهذا إلى الوقوف، فهكذا ينبغي أن تعرف المربوب والرب، ودع ما سودت به الكتب، فيتحقق هذا الكشف، فإنه لباب العلم الصِّرف.

٢ ـ في معرفة التكليف:

أصل التكاليف مشتق من الكلفِ … وهي المشقات فانظر فيه واعترفِ

فإنَّ ربكَ يعطي فعلهُ أبدًا … لكلّ خلق وذا من أعظمِ الكلفِ

كالأمر إن خالفت منهُ إرادتهُ … معناهُ صيرتِ المأمورَ في التلفِ

والناس في غفلةٍ عما يُراد بهم … في كونهم، وهي لم تنهض ولم تقفِ

تقسمت العوالم فتقسمت التكاليف، وطمست[1] المعالم فجهلت التصاريف فعالم كلفتهم في أداء العبادة، وعالم كلفتهم في حيرتهم في موافقة الأمر والإرادة، وعالم كلفتهم في توجيه الخطاب الإلٰهي، على هذا العالم الكياني، مع رد الأفعال إليه، واستحالة التكليف عليه، فتاهت الألباب في هذا الباب، واستوى فيه البصير والأعمى، وزادهم في ذلك حيرة وعمى، قوله تعالى ﴿وما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ولكنَّ الله رَمى﴾ [الأنفال: ١٧] لكن ثمّ رقيقة، وهي لعمر التصوف دقيقة، أنه ما وجد شيء إلا وفيه منه حقيقة، اسمع يا مربوب رب القدم، امتنع المحدث أن تقوم بِهِ حقائق القدم، وامتنع القديم أن تقوم به حقائق الحدوث، لئلا يتقدم على وجوده القدم، لكن تبلى جميع الصفات، وإلا فمن أين ظهرت المتضادات والمتماثلات والمختلفات، وليس القدم بصفة إثبات عين، ولا الحدوث بوصف إثبات كون، لكن لما تعذرت الأسباب في الوجودين، ولم يُمكن للمعلوم الواحد تحصيل المعرفتين، وأراد تمام الوجود ليعلم من الطريقين، فظهر في الاتحاد تكليف محقق، وعَناء لا يتحقق، فظهرت بينهما برازخ[2] التكليف في مشهد

---

(١) انطمس أو طمس الأثر: امّحىٰ واندرس وصار مطموسًا.

(٢) البرازخ: (ج) البرزخ: الحاجز بين الشيئين أو ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى يوم البعث.

التخيير والتوقيف، ولهذا جاء الخبر بالعماء، ما فوقه هواء وما تحته هواء، فقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجنَّ والإنس إلا لِيَعْبُدُونَ﴾ [الذاريات: ٥٦]. قال ابن عباس[١] ليعرفون، فلو عرف نفسه بمعرفتهم دونهم ما أوجد عيونهم، فصح التكليف في القدم، والخلق في حال العدم، ومن هذه الحقيقة تكليف العباد، وإن لم يكن لهم مدخل في الإيجاد، عصمنا الله وإياكم من العناد، وأمنّنا وإياكم من الفزع يوم التناد[٢] بكرمه.

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي (٣ ق هـ - ٦٨ هـ = ٦١٩ ٦٨٧ م) أبو العباس. حبر الأمة، الصحابي الجليل. ولد بمكة ونشأ في عصر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع عليّ الجمل وصفين، وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها. له في الصحيحين وغيرهما ١٦٦٠ حديثًا. الأعلام ٤/ ٩٥، والإصابة ت٢ ٤٧٧، وحلية ١/ ٣١٤، وصفة الصفوة ١/ ٣١٤،

(٢) يوم التنادي: يوم القيامة.

الباب الثالث

الشريعة[1]

١ ـ معرفة سبب وضع الشريعة في العالم، ومعنى قوله تعالى ﴿قلْ لوْ كان في الأرضِ ملائكةٌ يمشون مطمئنين لنزَّلنا عليهمْ من السماءِ ملكًا رسولاً﴾ [الإسراء ٩٥] وقوله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه. ﴿وإنْ مِنْ أُمة إلا خلا فيها نذيرٌ﴾ [فاطر ٢٤].

ولـمـا أراد الله إصـلاحَ خَـلـقـه	وكان بهم داء الطمأنينةِ اصطفىٰ
إمامًا كريمًا منهم متطلعًا	لأسرارِ أرواحِ العُلا مُتَشَوّفَا
فأنزله فيهم طبيبًا محكمًا	أمينًا عليه بالسقام وبالشِّفَا[2]
وجاء بآياتٍ تؤيدُ صدقه	تراها برأي العين إن كنت مُنْصِفا
فانقذَنا من لفحِ نارٍ تسعَّرتْ	وكان لعمرُ الله منها على شَفَا[3]
وأظهر أسرارًا وأبدىٰ سبيلَها	لتحصيلها من بعدِ ما كَانَ قد عفَا

سبب وضع الشريعة في العالم أمران، فيهما سران: **الأمر الواحد صلاح العالم**، وهو منهج الأنبياء، ويؤيده قوله تعالى: **﴿ولكم في القِصَاصِ حيَاة﴾** [البقرة: ١٧٩] وسره أن نصر المؤمنين حق عليه.

والأمر الآخر إثبات أدلة العبودية[4]، وظهور غزة الربوبية، وسره حكم سلطان اسميه، فتنبه لما رمزناه، وفك المعمى الذي ألغزناه.

---

(١) الشريعة: ما شَرَع الله لعباده من العقائد والأحكام الملزمة (انظر الرسالة القشيرية ص ٨٢ ـ ٨٣، الشريعة والحقيقة) ﴿والشريعة هي السنّة الظاهرة التي جاءت بها الرسل عن أمر الله والسنن التي ابتدعت علىٰ طريق القربة إلى الله والفتوحات المكية (٤/٣٥٨).

(٢) السُّقام: المرض.

(٣) تسعرت النار: توقدت.

(٤) العبودية: هي تذلل وتبرء من الحول والقوة في عبادته، وأصلها العبادة وهي القيام بالفعل بالمطلوب شرعًا. (للتوسع انظر الرسالة القشيرية ص ١٩٧ ـ ٢٠١ العبودية).

الطمأنينة بما لا حقيقة له، توجب التكليف، وما ثم شيء إلا وله حقيقة، فقد لزمك الوقوف، ما من أمة إلا قد اطمأنت، فلما جاءتها الرسالة أنت لعيبها ثم حنت، ولولا الوعيد والوعد ما سعى في الوفا بالعهد، ودع ما قالت العدوية[1] فإنها ذات حال في العبودية، ضربها ركن الجدار فأدماها، ولم تحس به، وقالت شغلي بموافقة مراده فيما جرى، شغلني عن الإحساس بما ترون من شاهد الحال، فقد أقرت بشغلها، وأعربت بشاهد حالها فانتبه، ومحمد عليه الصلاة والسلام، يقلقه الوجع، ويمسح بالماء على وجهه ويقول. «إنَّ للموتِ سكرات»[2] وفاطمة[3] عليها السلام على رأسه تسكب لفراقه العبرات[4]، وتقول: واكرباه!! فيرفع إليها طرفه، ويقول «لا كرب على أبيك بعد اليوم»[5] فأثبت أنه في كربات. فقد بان أن الحقائق لها رقائق غاب عنها أهل العلائق والعوائق، والحال علاقة المريد، وحب الكشف نهاية من [لم][6] يذق لذة المزيد، وكل من شاهد أمرًا ليس ذلك المشهود عليه، فذلك الأمر فيه، وراجع إليه، فليحذر أن يقول إنه في الكون الخارج لا محالة فيثبت عند المحققين مُحاله، ومن لم يفرق بين نفسه وغيره، فلا يميز بين شره وخيره، فهذا سبب وضع الشرع، الموافق

---

(١) هي رابعة بنت إسماعيل العدوية (توفيت ١٣٥ هـ = ٧٥٢ م) أم الخير مولاة آل عتيك، البصرية صالحة مشهورة، من أهل البصرة، ومولدها بها لها أخبار في العبادة والنسك، ولها شعر توفيت بالقدس وقبرها يزار.
الأعلام ٣/ ١٠، ووفيات الأعيان ١/ ١٨٢، والدر المنثور ٢٠٢

(٢) أخرجه البخاري في الصحيح ٦/ ٨، ١١٦، وابن كثير في (التفسير ٧/ ٣٧٨)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٢٦٣)، والسيوطي في (الدر المنثور ٦/ ١٠٥).

(٣) هي فاطمة بنت رسول الله محمد ﷺ بن عبد الله بن عبد المطلب (١٨ ق هـ - ١١ هـ = ٦٠٥ - ٦٣٢ م) الهاشمية القرشية، وأمها خديجة بنت خويلد. تزوجها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب. وعاش بعد أبيها ستة أشهر، وهي أول من جُعل له النعش في الإسلام، ولفاطمة ١٨ حديثًا. الأعلام ٥/ ١٣٢، وطبقات ابن سعد ٨/ ١١ - ٢٠، والإصابة كتاب النساء ت ٨٣٠، وحلية ٢/ ٣٩.

(٤) العبرات: (ج) العبرة: الدمعة قبل أن تفيض.

(٥) أخرجه ابن ماجة في (السنن ١٦٢٩)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٢٦٣) والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٨٨١٨، ١٨٨٢٠)، والشجري في (الأمالي ٢/ ٢٩٤)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٤/ ٤٤٨)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ٦/ ٢٦٢)، وأبو نعيم في (تاريخ أصفهان ٢/ ٢٢١)، والترمذي في (الشمائل ٢١١)، والبيهقي في (دلائل النبوة ٧/ ٢١٢).

(٦) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

للعقل والطبع، جعلنا الله وإياكم من العلماء العاملين وحال بيننا وبين القوم الظالمين الفاسقين

٢ ـ معرفة كون الرسول من جنس المرسل إليه، لقوله تعالى ﴿ولَو جَعَلنَاهُ مَلكًا لجعَلنَاهُ رجُلاً﴾ [الأنعام ٩] وقوله تعالى ﴿لنَزلنا عليهم منَ السَّماءِ مَلكًا رَسُولاً﴾ [الإسراء ٩٥] ولم يقل رجلاً لأن المرسل إليهم ملائكة وقوله تعالى ﴿وما أَرسلَنا مِن رسُول إلا بلسانِ قومِه ليُبيِّنَ لهم﴾ [إبراهيم ٤].

خليفةُ القوم من أبناءِ جنسهمُ	لأنَّ ذلك أزكى في نفوسِهمُ
لوْ لم يكن منهمْ لصدقُوه ولم	يقمْ بهم حَسدٌ لغير جنسهمُ
يا حزن قوم عتوا عن شرع خالقهم	يا شرّ ما عاينوا من طولِ حبسهمُ[١]
يُقَلَّبُون على نوعَين في سقر	في بردِ بذرِهم أو حرِّ شَمْسهمُ[٢]
إن يستغيثوا يُغاثوا بالحميم فما	يعذِّبُ القوم شيءٌ غير لبسِهُم[٣]
كما الذي آمنوا بالشرع واعتصموا	به تضمُّهم جناتُ قدسهمُ
ينغَّمون على نوعين قد عُصِما	في عِلم عقلهم أو كشفِ حِسِّهمُ
فهؤلائك في تأبيدِ سعدهمُ	كما أولئك في تأبيد نحسهمُ

نزل الروح الأمين، على قلب مكين، وقال إنما جعل الرسول من الجنس، لاستخراج عيب النفس، وأنزل بلسانهم لارتفاع اللبس، فإن دعا أمر أن يكون من غير الجنس في الحقيقة، فلا بد أن يظهر بصورة الجنس في عالم التمثيل الرقيقة. انظر أيها القلب في إيجاد المسيح، لم يصح حتى تمثل في عالم البشرية الروح، فوقع النفخ وأعقبه السلخ، وقد رمينا بك على الطريق فادرج عليه إلى عالم التحقيق، وسيقوم معك رسول الخيال إلى المتخيلات فخذ منه ما أعطاك، وإياك والالتفات، وانهض على طريقتك المثلى، وقل الرفيق الأعلى، فسيقوم معك رسول العقول، فخذ منه ما يقول، واركض برجلك حيث براق عملك، إلى نيل أملك، فسيقوم معك رسول الأسماء، عند خروجك من كرة الفلك المحيط بكل

---

(١) عتا عتوًا: استكبر وجاوز الحدّ.

(٢) سقر علم لجهنم، والكلمة ممنوعة من الصرف.

(٣) الحميم: الماء الحار أو القيظ.

سماء؛ وسيقول لك: يا يوم الاثنين، إلى أين؟ فقل له انعكست الحقائق، وظهر علينا عالم المخارق، لم لم تنزل قبل أن أصعد، ولم تقصد بحقيقتك قبل أن أقصد فإنك الملقى، وأنا المهيأ، وأنت المنبىء، وأنا المنبأ، فسيقول لك إنَّ الحرب خدعة والستر أولى من السمعة، وقد مضى زمن النبوة المشهورة، وأنت في زمن النبوة المستورة، فلو نزلت عليك في عالم الكون والفساد، لكفّرك أهل النظر في الاعتقاد، فإنّ بغلبة الحال تقول قلت وقال. وهنا قد ارتفع الإنكار، وزال الاضطرار فلهذا تركتك تقطع الأكوار والأدوار، ثم اسمع لولا رسول الاشتياق، الذي هو نتيجة هذه المشاهدة على اتساق، ما عاملت الأقل بالفراق، فقد نزلت إليك ولم تشعر، وها أنا قد ذكرتك فهل تذكر؟ فسلْ من الجوائز ما اشتهيت، وحصل منها ما تمنيت فاملأ عند ذلك عيبتك وارجع وأنت تحمد غيبتك زكى الله أعمالنا وبلغنا وإياكم آمالنا

٣ ـ مقام الرسالة(١) **ومقام الرسول** من حيث هو رسول، ومن أين نودي، وأين مقامه، والفرق بين الخلافة والرسالة، ومعرفة النبوة والولاية، والإيمان، [والإسلام](٢) والعالم والجاهل، والظان والشاك، والناظر، والمقلدين لهم

أنــا تُــرجُــمــانُ إلــٰه الــســمــاء	وذلــك أَنْ قــال لــي مــا أقــولْ
مــقــامُ الــرســالــةِ عــنــد الــسرَاء	ويــظــهــرُ ذلــك عــنــدَ الــرسـولْ
يــنــادي بــهــا مــن مَــقَــامــاتِــه الإ	لٰــهــيــة الــواضــحــاتِ الــفــصُــول
لــتــمــش بــهــا لــعــبــادِ طَــغَــوْا	وحــادوا بنا عن سواءِ الـسبيـلْ
وبــلــغ إلــيــهــم رســالاتِــنــا	فــأنــت الـرؤوف بــهــم والــدليـلْ
فإن [همْ](٢) عصوْك فقاتلهُمُ	فــإنَّ الــخــلــيــفــة سهْــمٌ قــتــول
ســمــاءُ الــولايــة عــلــويّــةٌ	تــحــيــطُ بــكــلّ مــقــام جــلــيــل
يــنــاديــه فــيــهــا عــلــى عــزِّه	إذا كــان في أوْجِهـا جبْـرِيـلْ(٣)
يــقــول أنــا فــيــك ذو عــزةٍ	وفــي عــز مــولاي عــبــدٌ ذلــيــلْ
ســمــاءُ الــنــبــوةِ فــي بــرزخٍ	دُوَيــنَ الــولــيِّ وفــوقَ الــرســولْ

---

(١) انظر مقام الرسالة وأسرارها في الفتوحات المكية ٣/ ٤٦٣ ـ ٤٧٠.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. (٣) الأوج: العلوّ والارتفاع.

فيا مُؤمِنا إن تَكُن عالِمًا	تنعمت في علم قال وقيلْ
وبالضد إن كنتَ في ضِدِّه	ولو كنتَ في خفضِ عيشٍ ذليلْ
فقرِّب من الشَّاهِ فِرْزَانَهُ	وأيِّدْه بالخيلِ أو بندِ فِيلْ[1]

نزل الروح [الأمين][2] على القلب، فقال الرسالة عرش الرب، المربوب، ومقام الرسول بينهما، لأنه طالب مطلوب، فلو لم ينادي الرسول من مقامه الإلٰهي ما أجاب، ولو سقى من غير مشربه ما طاب، فإن قيل له في ذلك الخطاب بلغ ما أنزل إليك من ربك فذلك الرسول، وإن زيد عليه وقاتلهم إن أبوا القبول، فذلك الخليفة الرسول، فله أن يصول.

واعلم أن فلك الولاية هو الفلك المحيط الأعم الأتم الأكمل العقلي، وفلك النبوة هو الفلك الأتم النفسي، وفلك الرسالة هو الفلك القريب المثلث الهيولى، وفلك الجهل هو الفلك الزُحَلي، وفلك العلم هو الفلك المشتريّ، وفلك الشك هو الفلك المريخي، وفلك النظر هو الفلك الشمسي، وفلك الظن هو فلك الزهريّ، وفلك التقليد هو الفلك العطاردي، وفلك الإيمان هو الفلك القمري

الرسول وجه إلى قومه، والنبي تعبد في نفسه إلى يومه، والولي أيقظه الرسول من نومه، فالرسول هو الإمام، والولي هو المأموم، والنبي إمام مأموم، محفوظ غير معصوم، والرسول من هذا النمط هو المطلوب، ومنه وإليه يكون الهرب المرغوب، فالمؤمن به صدقه وانصرف، والعالم قام له البرهان فأقر بصدقه واعترف، والجاهل نظر فيه وانحرف، والشاك تحير فيه فتوقف، والظان تخيل وما عرف، والناظر تطلع وتشوف، والمقلد مع كل صنف تصرف، إن مشى متبوعه مشى، وإن وقف وقف، فهو معه حيثما كان إما في النجاة وإما في التلف، ﴿كمثَل الشَّيْطانِ إذْ قال للإنسان أكفُرْ فلمّا كفَر قال إني بريءٌ منكَ إني أخافُ الله ربَّ العالَمين فكانَ عاقبَتهُما أنَّهما في النارِ﴾ [الحشر ١٦، ١٧] فأسكنه تقليده دار البوار[3]، جعلنا الله وإياكم ممن نظر فاستبصر وعلم، ولم يجهل ولم يتحيَّر

---

(١) الفِرْزان: من لُعب الشطرنج (الملكة)، أعجمي معرّب، وجمعه فرازين. (لسان العرب ٣٢٢/١٣ مادة: فرزن).

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.	(٣) البوار: الهلاك.

٤ ـ تلقي الرسالة وشروطها وأحكامها:

تلقى فؤادٌ بالصفا رسالةً ... من المشهدِ الأعلى إلى المشهدِ الأدنى
وكان مُلقيها يمدّ رفيقه ... إلى سره باسم مِن أسمائه الحسنىٰ
فلاحَ له نور الرسالةِ طالعًا ... على قلبه فازدَانَ موقفهُ الأسنى
وقال [له][1] في ذلك النورِ ربُّه ... أحبّايَ إن غابوا فما برحوا منّا
فأزعجه نحو المهيمن شوقُه ... وحنَّ إلى الإسْرَا ليلتذَّ بالمغنَى
فأسرى به إذْ أزعجته مقالةٌ ... لِأسْرِي بمحبوبي إليَّ إذا حنا[2]

نزل الروح الأمين على القلب: فقال يا طالب الرسالة: أقصر فإنها موهوبة غير مكسوبة، وطالبة غير مطلوبة، لا تنال بالسعايات، وليس لها بدايات، فتوجد عند الغايات، وإن كان من شرطها أن تكون بنية صاحبها قريبة من الاعتدال، ولطيفته متوسطة بين الجلال والجمال، وأحكامها أن لا يسكن لا في النور ولا في الظلمة، وليتحرى مواضع الضياء والظلال، وتكون فرشه الرمال، ووقته الدقيقة التي قبل الزوال، وأن تكون مرآته صافية، ويواجه بها حضرة البلاء والعافية، ومن أحكامها الثبوت عند التلقي، وعدم الالتفات عند الترقي. وأما تلقيها فبرقيقة ربانية تمتد إلى لطيفة روحانية، بكلمة غيبية، مدرجة في قوة قلبية تجري في أنبوب تلك الرقيقة، فتستقر في النقطة الدقيقة، فيبثها الرسول في عالم المجاز والحقيقة، على حسب ما تعطيه الطريقة، فالتدلي انبعاثها الرباني، والتلقي اتصالها به الروحاني. علمنا الله وإياكم من لدنه علمًا، وآتانا وإياكم رحمة من عنده ومغفرة وعزمًا.

٥ ـ معرفة تلقي الرسالة [الثانية][1] الموروثة من النبوة، ومعنى قول النبيّ ﷺ «العلماءُ ورثةُ الأنبياءِ»[3]، وقوله تعالى: ﴿ثمَّ أوْرَثنَا الكتاب الذينَ

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. (٢) السُّرَىٰ: السير بالليل.

(٣) أخرجه ابن ماجة في (السنن ٢٢٣)، وابن حجر في (تلخيص الحبير ٣/ ١٦٤)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ١/ ٧١، ٣٣٨، ٤٥٠)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٢٨٦٧٩)، والقرطبي في (التفسير ٤/ ٤١، ١٣/ ١٦٤)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ١/ ١٦، والبخاري في (التاريخ الكبير ٨/ ٣٣٧)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ٢٠)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ٢٢، ٨٣)، والسهمي في (تاريخ جرجان ٣٣٦)، وابن حجر في (الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ١٢٤)، والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتشرة في الأحاديث=

اصطفَينا من عبادِنا﴾ [فاطر ٣٢] وقوله عليه الصلاة والسلام: «عُلماءُ هذه الأمة أنبياءُ سائرِ الأمم» وكان معاذ[1] وغيره رسولَ رسولِ الله إلى من أرسل إليهم، ولماذا ترك ذكر الواسطة وقيل رسول الله، وكان يأخذ عن جبريل، ولم يُقَل في معاذ وغيره: رسولُ الله، وقيل فيه رسول الله على القول الضعيف.

تلقى فؤادي بالصفاء رسالتي	وكان تقليها بمدّ رقيقتي
إلى نور ربّي بانعكاس شُعَاعِه	بمرآةِ من أبدى لعيني دَقيقتي
فَصَحّ نصيبي من وراثة سيد	رسول أتانِي واضعًا لِطريقتي
فقمْتُ عليمًا بالأمورِ ومُرسلاً	إلى عالم أخفيتُه عن حقيقتي
فكان صَدِيقي مُرسلي. ورسالتي	على الكشفِ والتحقيقِ أيضًا صديقتي

نزل الروح الأمين على القلب وقال. لتعلم أنَّ الرسالة الثانية موهوبة ومكسوبة، وطالبة ومطلوبة، وموروثة غير مفقودة، وباعثة ومبعوثة، وصورة تلقيها حقيقة تمتد في رقيقة نبويّة، إلى لطيفة روحانية [فاللطيفة الروحانية][2] رائية، والحقيقة الربانية مرئية، في واسطة مرآة نبوية فينعكس شعاعها على قلب الولي، فلهذا يخرج بصورة النبي، لا ينسخ شريعة ولا يثبت أخرى، ولا يسأل على تعليمه أجرًا، وإنما صح لنا ورث الكتاب لكون إعطائه إيانا من غير اكتساب، وكل وارث مصطفى، ومن سواه فهو على شفا، وإنما أو لحق الوارث هنا بالنبي السالف، لأنه للإلقاء النبويّ ذايق، ولمقامه العلي كاشف، وهو في قلبه على شريعة من ربه، وإنما نسب رسول الرسول إليه لاشتراكهما في التكليف الذي أنزل عليه، ولم ينسب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى جبريل لأنه ليس له من رسالته غير

المشتهرة ١١٤)، وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٣٠، ٢٤٧).

(١) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي (٢٠ ق هـ ـ ١٨ هـ = ٦٠٣ ـ ٦٣٩ م) أبو عبد الرحمٰن، صحابي جليل، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام، وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن علىٰ عهد النبي ﷺ أسلم وهو فتىٰ وآخىٰ النبي ﷺ بينه وبين جعفر بن أبي طالب، وشهد العقبة مع الأنصار السبعين، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وبعثه رسول الله بعد غزوة تبوك قاضيًا ومرشدًا لأهل اليمن فبقي فيها إلى أن توفي النبي ﷺ وولي أبو بكر، فعاد إلى المدينة. له ١٥٧ حديثًا. توفي عقيمًا بناحية الأردن ودفن بالقصير المعيني الأعلام ٧/٢٥٨، وابن سعد ٣/ ١٢٠، والإصابة ت ٨٠٣٩، وحلية ١/٢٢٨.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

التعريف الذي أودع الرحمٰن لديه، فنسب الرسول إلى الله تعالى بغير واسطة لعدم هذه الرابطة، فإن كنت من أهل الإشارات، فقد منحتك العلم النافع في إيجاز هذه العبارات.

جعلنا الله وإياكم ممن ورث فبعث ودعي فانبعث، وإن تُرك لم يَكْتَرِثْ، آمين بِمنّه ويُمنه.

الباب الرابع

١ ـ بيان السبب الذي دعاني أن أختص في هذا الكتاب من العبادات الصلوات الخمس دون غيرها

فرض الصلاةَ على العَقُول النَّاسِي — خمسًا فصارتْ في الوجودِ لباسي
لـمـا عـلـمـتُ بـنـشـأتـي ورأيـتـهـا — تَـسـري مـع الأرواحِ والأنـفـاسِ
فَـتَـركْـتُ ظـاهِـرهـا عـلـى تـرتـيـبـه — يـجـري عـلـى أحْـكَـامـه فـي الـنـاس
وتـركـتُ بـاطِـنـهـا عـلـى سُـلْـطـانـه — يـغـزوا فـيُـهـلـك عـالَـم الـوِسْـوَاسِ[1]
ورحـلـتُ عـنـهـا رحـلـةً مـيـمـونَـةً — فـوجـدتُ جُـلّ الـخـيـر فـي الإفْـلاَسِ

نزل الروح الأمين على القلب، وقال لتعلم أنَّ الصلاة انبعثت من الحضرة الصمدانية المقدسة، فاغتنمها فهي كالخطرة المختلسة، نظرت إليها الحضرة النورية فوهبتها أسرارها، وأفاضت عليها الحضرة القيومية أنوارها، ولما كانت هذه الصلوات تختص بالمناجاة الربانية، وترد عليها إذا خاطبت بالمناجاة الإلٰهية، وتعم جميع المقامات المخصوصة بروحانية أهل السمٰوات وجيئت بجميع الحركات المستقيمة، في الإنسانيات عند القراءات والأفقيات في الحيوانات عند الركوع للأذكار المعظمات، والمنكوسة في النباتات عند السجود، لابتغاء القربات. فلهذا وأشباهه اختصصناها بالإنزال عليك في هذا الكتاب من بين سائر العبارات، واختصصت منها الصلوات الخمس لمطابقتها أصول تركيب الإنس، ولأن الخمسة وحدها من بين سائر الأعداد تحفظ نفسها وغيرها، فاعرف قدرها وأشكر خيرها.

---

(١) الوسواس: جمع وساوس، وهو الاسم من وسوس ويعني الشيطان، أو مرض يحدث من غلبة السوداء ويختلط معه الذهن، أو حديث النفس مما يخطر بالقلب من شر أو مما لا خير فيه.

فصلاة الظهر نورية، وصلاة العصر نارية، وصلاة المغرب مائية، وصلاة العشاء ترابية، وصلاة الصبح هوائية، ﴿والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس﴾[1] [التكوير ١٧] إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون، أفلا تبصرون، عجبًا ألا ترى أن كل عبادة لا تمنع من قامت به التصرف في بعض أسبابه، إلا الصلاة فإنها تغلق على مَن قامت به جميع أبوابه، فمقامها الغيرة، ومشهدها الحيرة، أنية المحتد والمولد والمشهد، وهي أسنى تكليف يقصد، ولما كانت محل إدراك المنى، طولب المكلف فيها بالفنا جعلنا الله وإياكم ممن تطهر وصلى، وسبق وما صلى، إنه ولي كريم وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم.

٢ ـ معرفة علة أسماء الصلوات الخمس وتنبيهات على ما في كيفياتها من الحكم والأسرار، على طريق الإجمال إنْ شاء الله تعالى:

ولما بدتْ للسرِّ حكمةُ ربِّه
فرضنا صلاة الظُّهرِ في عالم الكونِ
ولما تدانَى الوصلُ بيني وبينها
فرضنا صلاة العصر صدقًا بلا مَيْن[2]
ولما اتَّصلنا واستمرَّ عِنَاقُنا
أتى المغربُ المستورُ في بُرْدة الصَّون[3]
ولما اضطجَعْنا واستقرَّ مكاننا
أتانا عشاءُ الحفظِ خوفا من العَيْنِ
ولما انتهينَا والشموسُ طوالعُ
أقمْنا صلاةَ الصبح شكرًا على البَيْنِ[4]

نزل الروح الأمين على القلب وقال: لتعلم أن الله تعالى جل ثناؤه وتقدست أسماؤهُ، لما كتب الصلوات لميقاتها جعل أسماءها بأوقاتها، إلا الجمعة فإنها سميت بانتظام الشمل، واتصال الحبل، وهي من فروع الصلاة لا من أصولها،

(١) عسعس الليل: أقبل بظلامه وأدبر «ضد».
(٢) المين: الكذب (ج) ميون.
(٣) البردة: ثوب مخطط أو موشى يُلتحف به.
(٤) البين الفُرقة.

لأنها مقرونة بشرط، فأشبهت صلاة الكسوف[1] والاستسقاء[2] وغيرهما في فصولها، فلم تقم في أصل الوضع مقام الفرض، لذلك لم أجعل لها عينًا في هذا العرض، وإن نابت مناب الظهر، فذلك لسر آخر من عالم الأمر، ليس هذا موضعه، ولا هنا مشرعه وجعلها خمسة في التكليف، لأن الإنسان على خمسة في أصل التأليف، واعلم أنه تعالى قسم هذه قسمين، وجعل لها حكمين، لتحصيل علمين، في عالمين راجعين إلى حاكمين فقسم واحد خصه بالعقل، وهو الحضور والتدبر لما يتلوه بعد عقد النية، وقسم آخر خصه بالحس وهو التلاوة وجميع حركات الصلاة، لما كانت لا توجد إلا في هذه النية، وأما الحكمان فحكم العقل التوجه إلى القرية، وحكم الحس التوجه إلى الكعبة، وإنما قيدنا بجهة واحدة عن الجهات، لإزالة الحيرة والالتفات، وإشارة إلى فضل الجمع على الشتات، وأما العلمان فالعلم الواحد يختص بالعقل وهو علم التنزلات، والعلم الآخر يختص بالحس وهو علم التجليات، وأما العالمان فالعالم الواحد عالم الغيْب، والعالم الآخر عالم الشهادة المقدس عن الريْب، وأما الحاكمان فالحاكم الواحد الاسم الظاهر، والحاكم الآخر الاسم الباطن بلا مواز ولما اشتق الله تعالى لهذه الصلاة أسماء من أوقاتها لا من ساعاتها أن ذلك لسر أبداه وخير إلينا أسداه، فصلاة الظهر في العقل لظهوره بالعلم، وفي الحس لظهوره بالفعل في خلق الظهيرة والحكم، وصلاة العصر في العقل لضمه إياه في عقل معرفته عن النقل، وفي الحس لضمه إياه في فروع الأحكام إلى النقل عن العقل، بضم الشمس إلى الغيب لوجود الفصل والفضل، وصلاة المغرب في العقل لاستتاره بالأدلة الفكرية، وفي الحس لاستتاره عن الكيفية، وصلاة العشاء في العقل لاستسلامه إلى سلطان السمع، فلاحت له بارقة من بوارق الجمع، فغشيت عين بصيرته لشدة ظلام الطبع، وفي الحس لاستتار المبصرات بجلابيب[3] الظلمات فكأن العين غشيت عن إدراكها في أصل الوضع؛ وصلاة الفجر في العقل لانفجار بحار الأسرار، وفي الحس لانفجار بحار الأبصار.

(١) الكسوف: احتجاب نور الشمس أو نقصانه، بوقوع القمر بينها وبين الأرض.

(٢) الاستسقاء طلب السقي، وأن يطلب الإنسان من الله تعالى إنزال المطر عند شدة الحاجة إليه.

(٣) الجلابيب: (ج) الجلباب: القميص أو القوب المشتمل على الجسد كله أو ثوب واسع تشتمل به المرأة.

واعلم أن الصلوات المفروضة كلها نهارية، إما بالشمس وإما بآثارها، إلا العشاء الأخيرة فإنها مشتركة بين الليل وبين النهار أنوارها، وذلك لسر غريب، ومعنى عجيب، وهو أن الصلاة تكليف، ففيها مشقة وتعنيف، هما صفتان للنهار دون الليل عقلاً وإحساسًا، فجعل النهار معاشًا، وجعل النوم سباتًا[1] حين جعل الليل لباسًا، فانظر ما أوزن هذا التعريف بحكمة [التكليف][2] ثم اعلم أنَّ الصلاة البرزخية، وهي المغرب، فرضها سبحانه بين جهر في شفع، وسرّ في وتر، وذلك في العقل لأن البرزخ في الصلاة أمر معقول بين عبد ورب، على قدر، لأن العبد في الليل منوط، والرب بضوء شمس الله مربوط وفي الحس بين كشف وستر، لملح أجاج[3] نزر، وعذب فرات غمر، لأن فلك الزمهرير[4] أكبر من فلك البحر المستدير

وإن الصلاة لنهاية مفروضة بين شفع وسر فالشفع للخلق، والسر للوتر، فإن الخلق إذا ظهر، احتجب الحق واستتر، فلهذا شفع الظهر والعصر، وبالقراءة أسر وجهر في كل صلاة الفجر لقرب طلوع الشمس، فهو قوي الظهر ولم يتحد الفجر بالفاتحة حين انبرى، لأن عند الصباح يحمد القوم السرى، واتحد بها المغرب لفناء صفات المشاهد بطلوع الشاهد عند المشاهدة ولا تنفرد الفاتحة في صلاة أبدًا إلا إذا أخفيت، لأن الأحدية على هذا بنيت، فالفجر للمجسمة، والظهر والعصر للحلولية، والمغرب والعشاء للفرقة الناجية السنية؛ فإن قيل لك في تكرار الصلوات هل تكرر المشاهدات؟ فقل إن الله تعالى ما تجلى قط في صورة واحدة لشخصين، وهذا هو التوسع الإلـٰهي الذي لا ينحصر، ولا يدخل تحت الحد فيضبطه الفكر؛ بهذا قد أبنت عن الأمهات المطلوبة في أحكام الصلوات، في هذه العبارات بطريق الإشارات على حكم التنزلات.

٣ ـ معرفة شروط الإمام للصلاة:

يا إمامًا بمثله ليس يرجو ... فضلَ أجر ولا يوم احتسابا

لا أرى منه وهو في العلم معصو ... مٌ عن الفسقِ والخنا(ءِ) اجتنابا[5]

---

(١) هنا إشارة إلى سورة الفرقان (٤٧)

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) الأُجاج الشديد الملوحة أو المرارة.

(٤) الزمهرير شدة البرد.

(٥) الخَنا: الفُحش في الكلام.

وأنـاديـه مـن وراءِ حـجـابِ يا إمامي لقد تركت الصوابا
لـم خـلّفتني وصرت أمامي وأنا أنت لو عرفت الكتابا
يـا جـهـولاً بـذاتـه وبـذاتي وظلـومًا لـنفسه مـا أنـابـا
سوف أتلقى تأخرًا واغترابا حين ألقى تقدمًا واقترابا
أنت والله أعلم الخلق باللّـ ـهِ وقولي، وأنت تأبىٰ المتابا
كيف تشكو لهيب نار اشتياق تتعامى بالله أم تَتَغَابى؟
لـو رأيت الـذي رآه فـؤادي في صفاءِ الوداد زدت التهابا
وتركت الصفات حالاً وقالاً وتركت العذاب ثم الثوابا
يـا إمامي لقد رمزتُ أمورًا إن تدَبَّرْتَها أمنت الحجابا

لما طلب الرياسة عقلي على العقول والتقديم، قرع بهمته باب القديم، فنزل إليه الروح ملتفًا في بُردة يُوح، وقال لا تصح في عقل إمامة، إلا إذا كان غير علامة، ولم يجعل الحق أمامه، ولا تدبر في الصلاة كلامه، وألقى على فمه عند التلاوة قدامه، وأسدل بينه وبين الله قرامه[(١)]، ولم يأخذ من السحاب إلا جهامه[(٢)]، ولا من النور إلا كمامه، ولا من المختوم [عليه][(٣)] إلا ختامه، وأتى إلى ربه في ظلمة وغمامة، وأرخى الإزار[(٤)] وأشال العمامة[(٥)]، وجاز على ما أوصى به النبيّ عليه الصلاة والسلام في حديث سعيد بن زيد بن أسامة[(٦)] وسكن نجد ورحل عن تهامة وسنه في الإشارات الإلـٰهية أحلامه، وملك أضغاثه[(٧)] وأحلامه، ورفع بين الجنة والنار أعلامه وزلت به على الصراط أقدامه، وحل عند المشاهدة نظامه، وفقدت منه عند الموت الحاسة والشهامة، وطرأ عليه حال مزعج بمشاهدة القيامة، فعمر بسيره لقلقه قيعان[(٨)] ذلك

---

(١) القِرام: هو الستر الرقيق فإذا خيط فصار كالبيت فهو كِلَّة، وقيل: القرام ثوب من صوف غليظ جدًا يُفرش في الهودج ثم يجعل في قواعد الهودج أو الغبيط، وقيل: هو الصَّفيق من صوف ذي ألوان وقيل: القِرام الستر الرقيق وراء الستر الغليظ. (لسان العرب ١٢/ ٤٧٤ مادة: قرم).
(٢) الجهَام: السحاب لا ماء فيه.
(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٤) الإزار: كساء يغطي النصف الأسفل من البدن (ج) أُزرٌ.
(٥) العمامة: ما يُلف على الرأس (ج) عمائم.
(٦) انظر ترجمته في الأعلام ٣/ ٩٤.
(٧) أضغاث الأحلام: ما كان ملتبسًا مختلطًا لا يصح تأويله لاختلاطه والتباسه.
(٨) القيعان: (ج) القاع أرض سهلة مستوية منخفضة عن المرتفعات المحيطة بها، تنصب إليها مياه=

الموطن وآكامه[1]، فإذا ظهرت على عقل هذه الدلالات وزاد إعلامه، وهي أن يجهل من في محرابه أقامه، حينئذ يصح لهذا العقل على العقول الإمامة وهذه العلامة في إمامة الحس بالعكس فإنه من عالم النكس، لنزوله من حضرة القدس. جعلنا الله وإياكم ممن أم وعم وصح له المقام الأكمل الأتم آمين [بمنة][2]

٤ ـ معرفة شروط المأموم في الصلاة:

كلّ إمام صحت إمامته	وكانَ من قبل ذاكَ مأمومًا
فحكمكَ المشي خلفُه أبدًا	وحكمُه أن يكون معصوما
فإنْ بدا حكمهُ بآيةٍ	سلم إليه الأمور تسليما
من يتبع من تقوم زلته	به يكن في الأنامِ محروما

نزل الروح على القلب، وقال: لتعلم أنَّ المأموم على قدر مقام إمامه، في جميع أحكامه، بأي أمم كان إمامه لزمه أحكامه، فيتبعه حيث سلك، ويخلف وراءه جميع ما ملك، ألَا ترى تبعية ظلال الأشخاص لها ما أحسنها وما أكملها، ولقد أخبر سبحانه عن الظلال، إنها تسجد له بالغدو والآصال[3]، فمن أولى بهذه الصفات في علمك؟ أنت أم الظلال التي هي جماد في زعمك؟ هيهات[4] لشغلك بالترهات[5] أيها المأموم إذا كبر الإمام خالقه على قدر علمه، فكبر ذاتك؛ وإذا قال: ولا الضالين، فقل آمين، فإن وافقت الملائكة في ذلك قدست صفاتك؛ وإذا ركع فاركع لهمتك، وإذا قال «سمع الله لمن حمده»[6] فقل: ربنا ولك

الأمطار فتمسكها ثم تنبت العشب.

(١) الآكام: (ج) الأكمة: الرابية أو التل.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) الآصال: (ج) الأصيل: الوقت حين تصفر الشمس لمغربها

(٤) هيهات: اسم فعل بمعنىَ بَعُدَ.

(٥) الترهات: (ج) الترهة: الباطل أو القول الخالي من النفع، والتافه والمزخرف.

(٦) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٣٣٣، ٢/ ١٨، ١٤٧، ٣/ ١٨، ٢٤٧، ٤/ ٥٧، ٥٨، ١١٩، ٣١٨، ٣٤٠، ٣٥٣، ٣٨١، ٥/ ٣٩٦، ٤٠١)، وأبو داود في (السنن ٧٣٣)، والطبراني في (المعجم الكبير ١٢/ ٢٧٩، ٢٨٠، ٤٣٨)، ومالك في (الموطأ ٩٣٤)، وأبو عوانة في (المسند ٢/ ٩٢، ١٠٢)، وابن خزيمة في (الصحيح ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٧، ٦١٨)، وابن عبد البر في (التمهيد ٩/ ٢٣١)، والألباني في (إرواء الغليل ٢/ ١٤، ٣٦، ٣٨، =

الحمد، على ردك إلى إنسايتك؛ وإذا سجد فاسجد لبدايتك، فإن فهمت هذه الفصول، وحققت هذه الأصول، فأنت المأموم المطلوب، والمعشوق المحبوب، بك يظهر مالك الملك، وعليك ينزل الملك، وبنفسك يدور الفلك، جعلنا الله وإياكم ممن اتبع إمامه، ورفع في ذروة التوحيد[1] أعلامه

٤٢، ٦٤، ٦٧، ٦٨) والبغوي في (شرح السنة ٣/ ١١، ٢٢)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ٢٤٩٦، ٢٥٢٢، ٢٩٥٤، ٣٧٥٤)، وابن حجر في (تغليق التعليق ٣٣٤)، وابن حجر في (فتح الباري ٢/ ٢٩٥، ٥٣٥، ٥٤٩)، وابن تيمية في (الكلم الطيب ٩١)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٩٧٤٣، ١٩٧٤٤، ١٩٧٤٥، ٢١٩٩٧، ٢٢٢٠٧، ٢٢٢٠٩، ٢٢٢١١، ٢٢٢٢٩، ٢٢٢٦٥).

(١) اعلم أن التوحيد التعمّل في حصول العلم في نفس الإنسان أو الطالب بأن الله الذي أوجده واحد لا شريك له في ألوهيته، والوحدة صفة الحق والاسم منه الأحد والواحد (الفتوحات المكية ٣/ ٥٢٤، وللتوسع انظر الرسالة القشيرية ص ٢٩٨ ـ ٣٠٣).

الباب الخامس

١ ـ معرفة سبب فرض الطهارة وصفة الماء الذي يتطهر به[١]:

خلق الله نشأنيَّ جميعًا ... بيديه فكنت في خير صورة
فطر الله صورتيَّ عليه ... فلهذا أكون في كل صورة
أودع الله فيَّ أمريه حتى ... صرت ما بينَ وصف أصليْه سورة
ظاهري فيهِ شقوة وعذاب ... باطني فيه رحمة مستورة
أنا أحوي توراته والأناجيـ ... ـل وقرآنه وأخوِي زبورة
أنا أحوي أيامه وشهوره ... أنا أحوي أعوامه ودهورة
أنا كلّ به، ولست أبالي ... من كلامي فإن فيَّ ظهورة
وإذا كانت الخلافة فينا ... نصّها في كتابه مسطورة
فإذا ما ادّعيت أني ربٌّ ... أسدل الله دون وجهي ستورة
وأتى شرعه يخاطب ذاتي ... يا غفولاً لقد جهلتَ أمورة
فرض الله نعمةً وعذابًا ... للدعاوى على الأنامِ ظهورة
ثُم فطهر بالعلمِ عقلكَ حتى ... يُظْهر الله ذاتَه للبصيرة
فترى ذاته وتبصر ما قد ... غاب عنها إذْ أطلع الله نورة
ثم طهر بالماءِ جسمك كَيْمَا ... تنعم العين إذ تُشاهد حُورَة
عجبًا في نجاستي بحبيبي ... أودعَ الله لي علومًا كثيرة

---

(١) انظر الفتوحات المكية ١/ ٧٣٠.

وطهوري مني ولست أسمي — من أنا، وهي إن نظرت سعيرهْ

إن مثلي يقولُ: إني ربٌّ — يا خليليَّ - هل أتى بكبيرهْ؟

لا وحقي، ومن أنا وهو شيء — واحد، ما أتيت قطّ صغيرهْ

كيف آتي صغيرة وكبيرة — وأنا القدس ذو العلا والسريرهْ

بك يا نشأتي إلٰهك أبدى — فيكَ، عينًا، نعيمه وقصورهْ

حين أبدى في مثل ذاتك أيضًا — من كفورٍ، عذابه وسعيرهْ

لقد لغَزْنَا حقائقًا وأمورًا — من يكنها يظهر بأحسنِ سيرهْ

نزل الروح الأمين على القلب وقال: أيّها المحلّ النزيه المكين، أحرم خلفي بصلاة الظهر، ولا تكبر، فإنك مع المعروف وقال للحسّ: ارفع يديك وكبّر فإنك مع الحروف، وأنا الإمام وأنت المأموم، وإن كان لك الإمام، فقال القلب للملك عليه السلام. لو تقدمت العبارة على الطهارة لكان أتم في الإشارة فقال الرسول: لا يتطهر من الحدث[1] إلا الحدث ولا من الجنابة[2]، إلا من هو عن الحضرة الإلٰهية في جنابه، فقال القلب إن العقل إذا نظر في كونه، فهو في جنابة عن عينه، فجنابته جنابته، فإذا نظر إلى نفسه فهو في الحدث الأصغر الذي في عكسه، فحدثه حدثه، فلا بد من الكشف والظهور، لأسرار الطهارة والماء الطهور، فقال الملك: أنا الأمين الحفيظ فلا أزيد على رسالتي، ولا أتعدى ما رسم لي في مسطور وكالتي ولكن أثبت حتى أرجع إليك، وأنزل بما سألته عليك، فرجع الروح إلى معلمه على سلمه، فذكر له ما كان، ولم يكن به جهولاً، فأمره بتعليمه، ولم يكن عنه غفولاً، فنزل إليه في حينه، وخاطبه في قلبه من جهة يمينه، فقال: أيها القلب، سلام عليك واسمع ما أنزلني به سيدي ومولاي ومرسلي إليك. الماء الطهور ماءان، لأن المتطهر به عالمان، ماء سماوي، وهو خلاصة الماء الأرضي، قطره إنبيق الزمهرير، فذلك الماء النمير[3]، وقد كان روحًا هوائيًا بين الكرتين لاستحالة العين إلى أخرى في عالم الفساد والكون؛ فتطهر بهذا الماء أيها العقل الأقدسي والماء الآخر ماء أرضي من

---

(١) الحَدَثُ: (عند الفقهاء) ما ينقض الطهارة. (٢) الجنابة (شرْعًا): حال موجبة للاغتسال.
(٣) النّمير من الماء: الطيب الناجع في الرّيّ.

عالم الأمشاج[1]؛ فمنه عذب فرات، ومنه ملح أجاج، فتطهر بهذا الماء أيها الحسّ الأنفس، جعلنا الله وإياكم ممن تقدس وتطهر ولم يتدنس.

٢ ـ في معرفة سبب التعميم في طهارة الجنابة وتخصيص بعض الأعضاء في طهر الحدث الأصغر والتيمم[2]:

إنَّ الفناءَ يؤدي إلى عمومِ الطهاره
فافهم فديتك ما قد ضمنت هذي العبارهْ
ولا تزد فاللبيب من أعلمته الإشارهْ
فإن غفلت فخصص وما عليك خسارهْ
وإن عدمت فيمم ترابًا رأيت غبارهْ
لا بد للكتبِ مهما أعجلتها من نشارهْ
لا يكن ذاك إلا إذا قصدت الزيارهْ

قال العقل: بين لنا أيها الروح الكريم، فقال الروح: إن كنت ذا جنابة أو متعملاً فيها فعم الطهر بذاتك المنصوصة وإن كنت ذا حدث فاغسل الأعضاء المخصوصة؛ فسر التعميم في طهر الجنابتين، لغيبتك الكلية، عن علم نكاح الصورتين: [الصورة][3] المثلية العقلية، والصورة المثلية الشرعية، وسر الطهر المخصوص لبعض الأعضاء، للغفلات التي تتخلك في حضورك عند الإنضاء[4] وإنْ عدمت الماءين فاعمد إلى ما خلقت منهُ، ولا تعدل عنه، فإنكَ تبيح العبادة ولا ترفع الحدث، لما قام بك من الخبث.

جعلنا الله وإياكم من أهل الحضور مع الله في عموم الحالات، ومن المشاهدين له في كل مقام مع [مرّ][3] الأنفاس والاستحالات.

---

(١) الأمشاج: (ج) المشيج: كل شيئين مختلطين، وكل لونين اختلطا.

(٢) تيمم للصلاة: مسح وجهه ويديه بالتراب الطاهر على هيئة مخصوصة، عِوض الوضوء.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٤) أنضى الثوب إنضاء: أبلاه.

٣ ـ في معرفة النية[١] والفرق بينها وبين الإرادة[٢] والقصد[٣] والهمة[٤] والعزم[٥] والهاجس[٦]:

أساس وجود الفعل في القلب خمسة | فأولها عندَ المحقق هاجس
ومن بعده عين الإرادة قائم | [وهم][٧] وعزم صادفته الأبالس
ومن بعد هذا نية مستقيمة | تباشر فعل الشّخص والقلب سائس
وقد قيل أيضًا ثم قصد محقق | فإنْ صح هذا القول فالقصد سادس
ومن قال: إن القصد معناه نية | فحسب، فإنَّ القصدَ للقومِ خامس

نزل الروح على القلب وقال: أيها العقل الأقدس ـ اعلم أنَّ الله تعالى إذا أراد إيجاد فعل ما، بمقارنة حركة شخص ما، بعث إليه رسوله المعصوم وهو الخاطر [الإلٰهي][٧] المعلوم، ولقربه من حضرة الاصطفاء، هو في غاية الخفا، فلا يشعر بنزوله في القلب إلا أهل الحضور والمراقبة في مرآة الصدق والصفا، فينقر في القلب نقرة خفية، تنبهه لنزول نكتة غيبية؛ فمن حكم [به][٧] فقد أصاب كل ما يفعله ونجح في كل ما يعمله، وذلك هو السبب الأول عند الشخص الذي عليه يعول، وهو نقر الخاطر عند أرباب الخواطر، **وهو الهاجس عند من هو للقلب سائس، فإن رجع عليه مرة أخرى فهو الإرادة، وقد قامت بصاحبه السعادة، فإن عاد ثالثه، [فهو][٧] الهم، ولا يعود إلا لأمر مهم، فإن عاد رابعة، فهو العزم، ولا يعود إلا لنفوذ الأمر الجزم، فإن عاد خامسة، فهو النية، وهو الذي يباشر الفعل الموجود عن هذه البنية [وبين التوجه إلى الفعل وبين الفعل يظهر القصد، وهو][٧] صفة مقدسة يتصف بها الرب والعبد.**

---

(١) النية: ما تنويه وتقصده، وما عزمت عليه في قلبك من عمل.

(٢) الإرادة: هي التجرد لله في السلوك إلى كمال التوحيد، وهي ممدوحة ومطلوبة، أي لا اختيار له في نفسه، ولا تمييز لمراده، وإنما تجرد لمراد الحق تعالى. (للتوسع انظر الرسالة القشيرية ص ٢٠١ ـ ٢٠٥).

(٣) القصد: استقامة الطريق.

(٤) الهمة: العزم القوي.

(٥) العزم: الصبر والجد، والثبات والشدة فيما يعزم عليه الإنسان.

(٦) الهاجس: الخاطر (ج) هواجس.

(٧) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

ثم اعلم أيها العقل، أنَّ النية إذا كان معناها القصد أصل في إقامة كل بنية، وليس للحسّ في النية مدخل، لأنها من صفة العقل المنتخل، فإنَّ العقول الإنسانية منتخلة من العقول الروحانية، ولهذا لقوة تنفذ إدراكها صدف الأجسام، حتى تشاهد العلام، إذا قصرت عن إدراك مثل هذا النمط، من العلم الوسط، العقول الروحانية المفارقة للكرام. وأنت أيها الحسّ الأنفس تحرك للشروع، في العمل الموضوع، فإن هذه الحركة المخصوصة، لما ورد في النقل، نظير النية المختصة بالفعل، وهذه النية والحركة في هذا الظهور لتصح الصلاة في عالم الظهور وعمار البيت المعمور، وإنما هما لظهور عين الذات، على عالم الكمالات المنزهة عن اللذات فهذا حظ النية، ولظهور عين الصفات على عالم النشآت، لاتصافهم بالالتفات، فهذا حظ الحركة، ولكن في الظهر؛ كما هما أيضًا لضم الهمة، عند خروجها عن نصف كون عمه الوجود، من غير طريقة اللمة، إلى ما يضاهيه في الصورة والسيرة، فهذا حظ عالم النية، ولضم كف الجوارح عن الآثام والمحارم، إلى ما يعانيه من سرائر الأحكام في المعالم، بمشاهدة ضم العالم [لها][1] إلى العالم، فهذا حظ علم الحركة؛ ولكن في العصر كما هي أيضًا لمغيب العين في مشاهدة العين بزوال الريب والمين، فهذا حظ علم النية، ولمغيب العين في ظلمة الغين، فهذا حظ علم الحركة؛ ولكن في المغرب كما هي أيضا لمشاهدة البرازخ بين السفل الجسماني والعلو الروحاني لغشاوة تطرأ في عين المبصر لا لعلة تكون في البصر فهذا حظ الحركة، ولمشاهدة الحد بين العبد والرب، من غشي يقوم بعين البصيرة لأجل الوعد، فهذا حظ علم النية، ولكن في العتمة كما هي أيضًا لطلوع الفجر.

العلم بالله تعالى بمطالع العقول والأفواه، وهو حظ علم النية، ولطلوع فجر معرفة الرب بنفي الأجناس بمطالع النفوس والأنفاس، فهذا علم الحركة؛ ولكن في الصبح فقد صحت الرتبة العلية في النية لأداء العبادات للعقل الأدس، كما صحت منزلة البركة في الحركة للحسّ الأنفس، فثبتت الحركة لظهور ثبوت النية في الظهور، فكان نور على نور، زكى الله أعمالنا وأعمالكم بالإخلاص، ورزقنا وإياكم الفوز من النار والخلاص.

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

٤ ـ في معرفة أسرار غسل اليدين ثلاثًا ووصف المياه والأواني في كل صلاة إن شاء الله تعالى:

عجبت من غسلِ كفي وهي طاهرة ممّا غسلت، وهذا الطهر موجود
فقال قلبي هو الشرع الذي ظهرت آياته، فهو عند العقل مقصود
وقال عقلي هو السمع الذي اتضحت أعلامه فهو عندي اليوم معبود
وثم قال لقلبي كم تغالطني؟ فقال قلبي لعقلي أنت مشهود
وقد غلت ولكن عفوكم سندي فإنني من نباتِ الأرضِ معدود
وأنت من عالم الأمر الذي سجدت له الجباه، ولكن أنت محدود
سجودها لمكان قام من حجر فيه الوجود ولكن فيه تبديد
فقال قلبي لعقلي قد صدقت، وقد عرفتني منك لا مني فذا الجود
وكيف تعرفني يا قلب من جهة وباب كوني عن عينيك مسدود

نزل الروح على القلب فقال أيها العقل خذ ماء السماء، في وعاء الإنشاء، وصبه على يمين القبضة البيضاء، ليظهر لك ما استتر عنك من المعارف في هذه الصعدة السمراء، ويا أيها الحسّ خذ ماء الامتزاج، في وعاء، ما تيسر لك المعادن سواء كان من العذب الفرات أو الملح الأجاج وصبّه على اليمين المخلوقة من الأمشاج، لظهور الصفاء المفرق بين الأجسام الكدرة كالجندل[1] والحديد، وبين الأجسام الأرضية الشفافة كالبلور والزجاج، إن أردتما صلاة الظهر. ثم قال: أيها العقل، خذ ماء العلو، في وعاء الدنو، وصبه على يمين الاستواء السعادي، لتحصيل علم الضم الكائن بين المحبين، إذا التقيا بالعين، على الاختصاص الإداري، ويا أيها الحس: خذ ماء السفل، في وعاء الثفل وصبه على يمين الإنشاء، لتحصيل علم الضم بينك وبين الحوراء في الجنة الدهماء[2]، إنْ أردتما صلاة العصر. ثم قال: أيها العقل، خذ ماء الاعتلاء، في وعاء الابتلاء، وصبه على يمين القوة والعون، لتحصيلِ علم مغيب عن عين البصيرة عند مشاهدة العين، ويا أيها الحس: خذ ماء

(١) الجندل: الحجارة أو الصخر.
(٢) الدهماء: جماعة الناس وسوادهم (ج) دُهم.

الغدران[١] وصبه في وعاء القيعان، وصبه على عين الإنثناء، لتحصيل علم مغيب العين في الأكوان إن أردتما صلاه المغرب.

ثم: قال أيها العقل، خذ المياه المقطرات، في وعاء الحاملات، وصبه على يمين الملقيات، لتحصيل علم ذات الذوات، ويا أيها الحس خذ ماء الزاخرات[٢] في وعاء السبحات وصبه على يمين المركبات، لتحصيل علم الكائنات الموجودة عن الصفات، إن أردتما صلاة العشاء.

ثم قال: أيها العقل خذ ماء الرقيع، في وعاء الترقيع، وصبه على يمين السميع، لتحصيل علم مقام الرفيع، من انفجار البحر المنيع، ويا أيها الحس: خذ ماء الأنهار، في وعاء النهار وصبه على يمين الفجار لتحصيل علم خرير الماء في الأشجار، بانفجار الجداول الصغار، من الأنهار الكبار، إن أردتما صلاة الصبح فلما فرغ [الروح][٣] من هذا الإلقاء، أراد الرجوع إلى مشهد اللقاء، فسلم وانصرف، [ثم][٣] عاد عجلاً فعرف، وقال: أيها المخاطب بالتكليف ثلاث أولى من واحدة عند أهل التصريف، فاغسل أيها العقل يديك ثلاثًا: الواحدة لعلمك بربك في صلاة الظهر، ولعلمه بك في صلاة العصر ولولهك فيه في طهر المغرب، ولحيرتك فيه في طهر العشاء، ولجمعك به في طهر الصبح؛ والثانية لعلمك به وبنفسك في طهر الظهر، ولحضوره معك في طهر العصر، ولإفرادك به في طهر المغرب، ولمسامرتك معه في طهر العشاء، ولانفصالك عنه في طهر الصبح؛ والثالثة لظهوره وظهورك وظهور العالم في محل واحد [غير متحد][٣] في طهر الظهر، ولاجتماعهم في طهر العصر ولتجاوبهم في طهر المغرب، ولاتحادهم في طهر العشاء، ولتميزهم في طهر الفجر، وأنت أيها الحس: اغسل يديك ثلاثًا: الواحدة لظهور السبب العقلي في طهر الظهر، وانتظامه بالنفس في طهر العصر، ولغيبته عن ممده في طهر المغرب، ولطلبه الرجوع إليه في طهر العشاء، ولوجوده إياه في طهر الصبح؛ والثانية لظهور السبب النفسي في طهر الظهر، ولتعلقه بالحس في صلاة العصر، ولحجابه عن العقل في صلاة المغرب،

---

(١) الغدران: (ج) الغدير القطعة من الماء يغادرها السيل.
(٢) الزاخر: الملآن.
(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

ولبحثه عنه في صلاة العشاء، ولشهوده إياه في صلاة الفجر؛ والثالثة لظهور السبب الحسي في طهر الظهر، ولمباشرته الكون في طهر العصر، ولمحوه عن النفس في طهر المغرب، ولابتغائه إياها في طهر العشاء، ولوصوله إليها في طهر الصبح.

جعلنا الله وإياكم ممن أيده بالقوة ومكن في سرّ نتائج الفتوة.

٥ ـ في معرفة أسرار صبّ الماء في غسل اليدين بالشمال على اليمين:

إنَّ الشمائلَ ـ إن نظرتَ وجودَها — عند الشهود ـ خوادمُ الإيمانِ
شبَه الضلالة في الشمائل تغْتلي — ومع اليمينِ نتائج البرهانِ
إنَّ الشمائلَ في الشمائلِ سادةٌ — بوجودها يثني على الإنسانِ
إنَّ الشمائلَ واليمين عوالمٌ — تبدو بسرٍّ النظم والإتقانِ
فانظر إلى اليسرى وسر سكونِها — فيها استواء العرش بالرحمٰنِ
وانظر إلى اليُمنَى وسرعة دورها — بسوابغ الإنعام والإحسانِ
هذي مع الأرواح تسري ثم ذي — تسري مع الأنفاس في الأكوانِ

لما أرادت اليمين أن يكون لها الصبّ زجرها القلب، وقال: إنَّ الروح الأمين أمر القلب أن يصب باليد القريبة على يد الطور الأيمن، لتجلي علم التنزل الإنبائي، من مقام الكشف الرباني، وأمر الحس أن يصب بالشمال على اليمين لكشف تعطيل الأسباب، لما لم يبق باليمين، فيتحقق أنه لا يمينُ إن لا أراد صلاة الظهر، وللصوقه بسره، والتحامه بعالم أمره، في طهر العصر، ولفنائه عن بصيرة عقله، وغيبته عن شكله في طهر المغرب، ولاستتاره في السبحة المضلة والتحافه في بردة الوصلة في طهر العشاء، ولطلوعه عينًا أخرى بتقطيره، ولسيلانه بعد أن كان جامدًا بتفجيره في طهر الصبح. جعلنا الله وإياكم ممن أبقى عليه شرف اليدين، وأبين له سر اتحاد النجدين. آمين [بعزته][1]

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

٦ ـ في معرفة أسرار الاستنجاء[١] إنْ شاء الله تعالى[٢]

سـرائـر إيـجـاد الـعـوالـم فـي الـربِّ   وفي الرحم المختار من عالم الترب
إذا اجتمعا (بالفعل)[٣] في فرشِ عرشه   وجاء على كوني بحظٍ من الشربِ
وظهرهما بالحفظِ والصونِ والتّقى   وبالعصمةِ الغرّاء والسدل للحجب
فيبدي لهذا الطهر أعلام سره   لإيجاده الأشياء من حضرة القربِ
ليصدق في خلقي على الصورة التي   تعالى بها في حضرة الله والربِ

نزل الروح الأمين على القلب، وقال. أيها العقل، استنجاؤك ظهور سر قدمك [بقدمه][٤] في طهر الظهر، وانتظام قدمك بقدمه في طهر العصر، ولفناء قدمك المذهب في طهر المغرب، ولصحة حدوثك بالابتلاء في طهر العشاء، ولتجلي قدم صدقك ـ وهو أول باب الفتح ـ في طهر الصبح. أيها الحس استنجاؤك طهور حدثك عن امتزاج أركانك في طهر الظهر، ومعرفة كيفية امتزاجها في طهر العصر، ومغيبها بإيجادك عن تدبير أفلاكها إياها لإبراز سر معجب في طهر المغرب، ولحوق أفلاكها بالهيولى الموجودة فيها بالقوة قبل الأشياء في طهر العشاء، وانبعاثها عن النفس الكلية بالقدح في طهر الصبح، جعلنا الله وإياكم ممن أميط[٥] عنه الأذى، ولم يقل إذا فزع عن قلبه: ماذا؟ بمنه ويمنه.

٧ ـ في معرفة أسرار الاستجمار[٦][٧]

إذا استجمرتَ أوتر يا غلامُ   فهذا حظّ ذاتك والسلامُ
وجن منكَ ما استجمرت منه   وما ينمو وكانَ له اضطرامُ
فما يُجزيك في التطهير إلا   إذا حقّقتَ ـ ماءٌ أو سلامُ
فإنَّ الماء ألطفهُ ضياء   وإنَّ الصخرَ أكثفه ظلامُ
وبالطرفينِ صحَّ حدوث كوني   ولله التقدم والدوامُ

---

(١) الاستنجاء: الاغتسال بالماء من النجو ـ (النجو ما يخرج من البطن من ريح وغائط) ـ والتمسح بالحجارة منه.
(٢) انظر الفتوحات المكية ٢/١٦
(٣) ما بين قوسين زيادة يقتضيها السياق.
(٤) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٥) أماطه: نحاه وأبعده، يقال: أماط الأذى عن الطريق؛ أي: نحاه.
(٦) استجمر الرجل: استنجى بالحجارة الصغيرة.
(٧) انظر الفتوحات المكية ٢/١٤.

نزل الروح على القلب، وقال ترك الاستجمار في الشرع، من حضرة فقد الجمع، وهو مفطور على الزوج والفرد، والقطع والسرد، فمن استجمر فقد ميز بين الحدوث [والقِدَم][1] وفصل بين [القَدَم][1] والقدمَ ولا يشترط في وجوده عدم الماء في التيمم، فإن سر هذا أقوى في التحكم وفي الاستجمار يلوح لصاحبه سر رمي الجمار[2]، فمن أوتر في استجماره فقد أبرأ ومن شفع فقد أخطأ فلا ينام السعيد إلا على وتره، مخافة أن يكون نومه إلى حشره، ولو اعتبر فيه الإنقاء فقط لما صح الوتر أن يشترط، وليس الإنقاء مما يثبت الإلقاء بل اللقاء على الحقيقة بترك الإنقاء [وفائدة الإلقاء][1] لمجرد الإلقاء وفي البحر الذي يكون بين اللقاء والإلقاء، يهلك الغرقاء وهم المنكرون على العالمين بالله أسرار ما يهبهم الله من لدنه، فهم العلماء السوء التالفون الحمقى، والبقاء لازم لترك الاتقاء فيه، يصح الوجود، ويشرق الموجود، ويثبت العابد والمعبود، ولا تلتفت لقول من يرى الوتر في الاستجمار بالأحجار المتفرقة فقد يكون في الحجر الواحد الثلاث متفقة، جعلنا الله وإياكم ممن جمع بين عقله وشرعه، ووقف على حقيقة فرقه وجمعه، آمين بعزته.

٨ ـ في معرفة أسرار المضمضة[3][4]

مَضمض لسرِّ المناجاة التي بهرتْ آياتـهـا [لا][1] لـذكـرِ الله بـالسِّيـرِ

وإن تشَا فلتمضمض بالتلاوة أو بالذكر في عالَمِ الأرواح والصورِ

تَفُزْ بسرِّ العبادات التي سترت عين الحقائق عن جنٍّ وعن بشرِ

فإنَّ في الفلكِ الكرسيِّ صورتها في عالَمِ الحفظ لا في عالَمِ الغيرِ

نزل الروح على القلب وقال: أيها العقل الأكمل تثليث المضمضة بك أجمل مضمض بالغرفة الواحدة في طهر الظهر، لظهور ذوقك، وفي طهر العصر لتعلق ذوقك بمذوقك، وفي ظهر المغرب لدهشتك عند وجود اللذة في ذلك الوقت، وفي طهر العشاء لتحصيل الكثير منه بالغت[5] وفي طهر الصبح لنيل

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٢) رمي الجمار: الحصاة الصغيرة يُرمىٰ بها في منًى أيام الحج.
(٣) المضمضة: تحريك الماء في الفم. (٤) انظر الفتوحات المكية ١/ ٧٤٤.
(٥) غت الضحك: وضع يده أو ثوبه على فيه، ليخفيه.

المطلوب، والاجتماع مع المحبوب، ويأيها الحسن مضمض بالغرفة الواحدة في طهر الظهر، لظهور سر الذكر بالمسطور، وفي طهر العصر، لاستناد الذكر بالهوية إلى المذكور في [طهر][1] المغرب لشرف الذكر بالهوية على المذكور من مقام الغيرة، وفي طهر العشاء لجذب المذكور الهوية إلى مقام الحيرة، وفي طهر الصبح لتسريحها من ذلك الجذب الذي صح لها في طهر العشاء، إلى الاتساع والشرح. والثانية: يا عقل مضمض بالغرفة الثانية في طهر الظهر لظهور شريك، وفي طهر العصر لاتصال الشارب منك بمشروبه، عند ربك، وفي طهر المغرب لانتقال المشروب إلى كونك، وفي طهر العشاء لسريانه في مجاري فكرك، لتقديس عينك، وفي طهر الصبح لانتظام شملك به في رداء صونك، ويا حس: مضمض بالغرفة الثانية في طهر الظهر لظهور سر ذكرك بالأبنية وفي طهر العصر لاتحادها بالمذكور في الأبنية، قيل للسوداء الخرساء أين الله فأشارت بالظرفية، وفي طهر المغرب لدقتها في صريح الذكر وفي طهر العشاء لانطباق محل الذاكر عليها الساتر، وفي طهر الصبح لحشرها من ذلك القبر تصديقًا للحاشر. والثالثة: يا عقل مضمض بالغرفة الثالثة في طهر الظهر لظهور ربك، وفي طهر العصر لانتشاره في محال عطشك بعيشك وفي طهر المغرب لقلب عينه في صورة ذاتك، وفي طهر العشاء لحيرة فضلته في زوايا ذاتك، وفي طهر الصبح لبروزها عن قوة صفاتك.

ويا حس: مضمض بالغرفة الثالثة في طهر الظهر لظهور سر ذكرك بالخطاب في المرتبة الفضلية، وفي طهر العصر لجمعك بين الهوية والآنية والأينية، وفي طهر المغرب لصمت الناطق، وكلام الحق الصادق المستور وفي طهر العشاء لمحق الذكر عن الذاكر والمذكور، وفي طهر الفجر لاتحاد علم خطابه لك أنت أنت، وأنا أنا، وأنا أنت، ولست أنا، ولست أنت، فلا أنا إلا بك، ولا أنت إلا بي، صورة، كمال الوجود في طلب الأجرة جعلنا الله وإياكم ممن ذكر وتلا، وتنزه في المراتب العلى، آمين بعزته.

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

٩ ـ في معرفة أسرار الاستنشاق[١] والاستنثار[٢][٣]:

إذا استنشق العبدُ الذَّليل فإنه عزيزٌ، والاستنثار يُذهبُ عزَّهُ
فإنهما من عالَم الضدِّ والهوى وحرز من الشيطانِ أن يستفزَّهُ
ومن شاءَ فليهدِم جدَارِ وجُوده ليُظْهر للعين السليمة كنزهُ
ومن عادة الحبرْ اللبيب إذا انتَهى إلى اللجة العمياءِ بحفظُ حرزَهُ
إذا كنتَ ذَا ملْك أتَى كل ناجر إليك فَقير النفس ينشر بَزَّهُ
فتتركُ منهُ ما تَشا لتذِلَّهُ وتأخُذ منه ما تَشَا لتعزَّهُ

نزل الروح على القلب، وقال: أيها العقل الأعلى، استنشق واستنثر ثلاثًا فهو بك أولى، يا عقل استنشق بالغرفة الأولى لكشف حقيقة عزك بالله، ثم استنثر لكشف حقيقة ذلك، عند دخولك، إلى مشاهدة الحق من طريق الانتباه، وذلك في طهر الظهر، وفي طهر العصر لمقابلة عزك بعزه، على الانفصال والاتصال، وفي طهر المغرب لاتحاد عزه بعزك على الكشف وحجاب الضلال، وفي طهر العشاء لعجز عزك دون عزه على الجمع والفرق[٤]، وفي طهر الصبح لظهور عزه دون عزك فيك، للحاضرين على السر، والتجلي في مقعد الصدق

ويا حس ـ استنشق لظهور علم الروائح في عالم الشم، ثم استنثر لإزالة الخطم[٥]، في طهر الظهر، وفي طهر العصر لإدراك الروائح في الخطم على الفناء والبقاء[٦]، وفي طهر المغرب للروح لدرج الروائح في الخطم على الغيب والشهادة، وفي طهر العشاء لطيهما عن إدراك العين على القبض والبسط[٧]، من

---

(١) استنشق الماء: أدخله في أنفه وجذبه بالنَّفَس لينزل ما في الأنف.
(٢) استنثر: استنشق الماء ثم نثره من أنفه. (٣) انظر الفتوحات المكية ١/ ٧٤٤.
(٤) لفظ الجمع مأخوذ من جمع الهمة على الحق تعالى، ولفظ الفرق مأخوذ من تفرقتها في الكائنات مع الحق، والجامع والمفرق في الحقيقة هو الله تعالى. (للتوسع انظر الرسالة القشيرية ص ٦٤ ـ ٦٧، والفتوحات المكية ٤/ ٢٦٧ ـ ٢٧٣ الجمع والفرق).
(٥) الخطم: الأنف، أو مُقدَّمه.
(٦) انظر الفتوحات المكية ٤/ ٢٦٠ ـ ٢٦٦، والرسالة القشيرية ص ٦٧ ـ ٦٩ الفناء والبقاء.
(٧) القبض والبسط: وهما حالتان بعد ابتعاد العبد عن حالتي الخوف والرجاء، فالقبض للعارف بمنزلة الخوف للمستأنف، والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمستأنف. (للتوسع انظر الرسالة القشيرية ص ٥٨ ـ ٦٠، والفتوحات المكية ٤/ ٢٥٣ ـ ٢٥٩).

أجل الإفادة، وفي طهر الصبح لنشرهما من ذلك الطيّ على الهيبة والأنس[1] في حضرة نفس القدس.

الغرفة الثانية يا عقل استنثر في طهر الظهر للكشف حقيقة أنفتك على الكون، ثم استنثر لكشف معرفتك بالعين، وفي طهر العصر لسريان روح المعرفة على البعد والقرب[2]، في قالب الأنفة، وفي طهر المغرب لتواري الأنفة، بمطالعة الغيب على الغيبية والحضور[3]، وفي طهر العشاء لنية المعرفة بتواري الأنفة على المحو والإبثاث[4]، في البيت المعمور، وفي طهر الفجر لاطلاع الأنفة عليها، من أفق الكون المغيب عنها، على التواجد والوجد، وحصول الوجود[5] فيهما لصحة الفقد، ويا حس استنشق في طهر الظهر لظهور علم الفرق بين الروائح، ثم استنثر عن إدراكه من قبل الأنف، لأنه من قبل باب العادة [والعرف][6] في الروح والحس، وفي طهر المغرب لخفاء الشم عند صاحب الأنفة مع وجود الإدراك على الصحة والعلة بالمس؛ وفي طهر العشاء لذهابه بالكلية بزوال العضو، وفي طهر الصبح لوجودها في السكران والنائم، بعد الإفاقة والصحو

(١) الهيبة والأنس: وهما على درجة من درجات القبض والبسط، فكما أن القبض فوق رتبة الخوف، والبسط فوق منزلة الرجاء، فالهيبة أعلى من القبض، والأنس أتم من البسط. (للتوسع انظر الرسالة القشيرية ص ٦٠ ٦١).

(٢) القرب والبعد: أول رتبة في القرب هي القرب من طاعته، والالتزام في جميع الأوقات بعبادته، وأما البعد فهو التدنس بمخالفته والتجافي عن طاعته، فأول البعد بعد عن التوفيق، ثم بعد عن التحقيق، بل إن البعد عن التوفيق هو البعد عن التحقيق. (للتوسع انظر الرسالة القشيرية ص ٨٠ ـ ٨٢، والفتوحة المكية ٤/ ٣٥١ ٣٥٧).

(٣) الغيبة والحضور: الغيبة هي غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق، لاشتغال الحس بما ورد عليه، ثم يغيب إحساسه بنفسه وبغيره بوارد من تذكر ثواب أو تفكّر عقاب. (للتوسع انظر الرسالة القشيرية ص ٦٩ ٧٠، والفتوحات المكية ٤/ ٣٢٠ ـ ٣٢١).

(٤) المحو والاثبات: المحو رفع أوصاف العادة، والإثبات إقامة أحكام العبادة، فمن نفى عن أحواله الخصال الذميمة وأتى بدلاً منها بالأفعال والأحوال الحميدة فهو صاحب محو وإثبات. (للتوسع انظر الرسالة القشيرية ص ٧٣ ـ ٧٤، والفتوحات المكية ٤/ ٣٣٩ ٣٤٠).

(٥) التواجد: استدعاء الوجد بنوع من الاختيار، وليس لصاحبه كمال الوجد، إذ لو كان كذلك لكان واجدًا. (انظر الرسالة القشيرية ص ٦١ ـ ٦٤).

(٦) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

الغرفة الثالثة يا عقل استنشق ثالثة في طهر الظهر لكشف حقيقة كبريائك، في مقابلة أعدائك، ثم استنثر بزواله في مقابلة أوليائك، وفي طهر العصر لتعانق الكبريائين بين العلم والجهل في الردائين، وفي طهر المغرب لسقوط الكبرياء في البحر، على العلم والظن بمشاهدة القهر، وفي طهر العشاء لمعرفة أين غاب الكبرياء المذموم بالعلم، أو بالشك، حذرًا أن يقبله الأفق المشوم وفي طهر الصبح لظهوره فيك في غير موطن الأعداء، على العلم والفقد، بتصحيح القبول والرد.

ويا حس استنشق لظهور عالم السوية، بين الروائح المتضادة في وقت دون وقت، في طهر الظهر ثم استنثر بترك ما حصل لك إلى عالم العوائد للعطاء الغمر، وفي طهر العصر لمعرفة هل ذلك عن تعشق الإدراك بها على الظاهر والباطن، وفي طهر المغرب لدرج بعضها في بعض، من أفقين عند الراحل والقاطن

وفي طهر العشاء لغنائهما معًا في ظله بظهور سلطان أحدهما وعزله، وفي طهر الصبح لإيجاد الشم وذهاب المشمومات. جعلنا الله وإياكم من أهل الروائح والأنفاس، وعصمنا وإياكم من ملابس الوسواس.

١٠ ـ في معرفة أسرار غسل الوجه[١]:

إنَّ الحياءَ لبابِ الله فتّاحُ	ووجهُهُ خلفَ ذاك البابِ وضَّاح
وغسلُك الوجهَ بالشرعِ الذي شَرَعتْ	رسْلُ الحبيبِ لذاك البابِ مفتاحُ
فاقدحْ زناد وجودَ الكَشفِ تحظَ بهِ	إنَّ اللبيبَ لزنْدِ الكشفِ قدَّاحُ[٢]

نزل الروح الأمين بغسل الوجه على القلب، وقال: أيها العقل اغسل وجهك بالغرفة الواحدة لطهر الظهر، لظهور سر المراقبة، وفي العصر لاتصافك به، وفي المغرب لتعلقه بالمراقب، وفي العشاء لتكلفك فيه، وفي الصبح لشهود المراقب، ويا حسّ اغسل وجهك في الظهر لظهور سر الإقناع عند مشاهدة الجلال، وفي

(١) انظر الفوحات المكية ١/٧٤٦.

(٢) الزند: العود الأعلىٰ الذي تقدح به النار. ويطلق الزند الآن علىٰ الآلة الفولاذية الصغيرة التي تجعل الشرر يتطاير من الحجر الصواني عندما نقدحه بها.

العصر لتوقفه عليه، وفي المغرب لوجوده قبله، وفي العشاء لبحثه عنه، وفي الصبح لظفره به في هذا القالب.

الغرفة الثانية: يا عقل اغسل وجهك بالغرفة الثانية في الظهر لظهور سر الحياء[1]، وفي العصر لارتباطه بالإيمان، وفي المغرب لانفصاله عنه، وفي العشاء لاشتماله على الخير بكله، وفي الصبح لما ينفعل عنه.

ويا حس اغسل وجهك في الظهر، لظهور سر السرور، عند مشاهدة الجمال، وفي العصر لارتباطه به، وفي المغرب لوجوده قبله، وفي العشاء لبحثه عنه، وفي الصبح لظفره به منه.

الغرفة الثالثة: في الظهر لظهور سر المكافحة، وفي العصر لخفائه بظهورك، وفي المغرب لظهوره بخفائك، وفي العشاء للالتفات، وفي الصبح لما يظهر عنه من الاختلاف. ويا حسّ اغسل وجهك بالغرفة الثالثة، في الظهر لظهور سر الاعتدال، عند مشاهدة الكمال، وفي العصر لسر الكمال في الاعتدال، وفي المغرب للكمال المخلوق، وفي العشاء للكمالِ الخالق، وفي الصبح لمقابلة الكمالين بضرب من الائتلاف.

جعلنا الله وإياكم ممن رزق سر الحياء، فاستحت منه ملائكة السماء. آمين.

١١ ـ في معرفة أسرار غسل اليدين إلى المرفقين[2]:

غسل الذراعينِ مشروع وغايتهُ ... إلى المرافقِ فاشرع فيه وانتظرِ
مواهبُ الحقّ فيه أنّه علمُ ... على سرائرِ عين النّفع والضررِ
القائمينَ على كونينِ قد مُزَجَتْ ... ذاتيهما تحتَ قهر الشّمس والقمرِ
لا تخدعنكَ دار لا بقاءَ لها ... بالله. يا صاح كن منها على حذرِ
إن زُلزلت راحَ ذاك المزج وانفصلت ... هذي إلى الخلد، والأخرى إلى سقرِ
فلا يغرَّنك شيءٌ أنت تاركه ... فإنما النّاس في الدنيا على سفرِ

---

(١) الحياء: هو ما يمنعك عما يضرك، وسببه ملازمة من يستحيا منه كأهل العلم والأدب، وثمرته الأمن من المقت والعذاب وخفة الحساب، وهو ممدوح ومطلوب. (انظر الرسالة القشيرية ص ٢١٤ ـ ٢١٨، والفتوحات المكية ٣/٤٠٣).

(٢) انظر الفتوحات المكية ١/٧٤٧.

نزل الروح على القلب، وقال: أيها العقل ـ اغسل يدك اليمنى في الظهر لظهور أسرار إيجاد المشرق، ويدك اليُسرى لظهور أسرار إيجاد المغرب، وفي العصر لإضافة الربوبية إليهما في قوله ربّ المشرق والمغرب وفي المغرب لمشاهدة العين الحمئة[١] في المغرب، وفي العشاء لتبع الشفقين الشمس، وفي الصبح لمعرفة كرة الأرض بالعقل والحس

ويا حس اغسل يدك اليمنى بالغرفة الأولى إلى المرفق في الظهر، لظهور سر المرفق، واليسرى لظهور السر الموجود عند فقد العيش المقلق، وفي العصر للسكون، وفي المغرب لفقد القلق بالتعيين، وفي صلاة العشاء [الآخرة][٢] لارتباط الارتفاق بالحركة، وفي الصبح لعدم تأثير السبب في المسبب، ووجود البركة.

الغرفة الثانية يا عقل اغسل اليمنى بالغرفة الثانية في الظهر لظهور سر خلق العالم، واليسرى لسر أحسن تقويم، وفي العصر لتعشق الإنسان بالعالم، لكونه على صورة القديم وفي المغرب لمغيب العالم في الإنسان، لأنه على شكله، وفي العشاء لتلف الإنسان في العالم عن مثله، وفي الصبح لظهور الإنسان بالعالم، والعالم بالإنسان، فإنَّ ذلك من مادة الإحسان. ويا حس اغسل اليمنى بالغرفة الثانية في الظهر، لظهور سر البطش، واليسرى لصنع العيش، وفي العصر لوجود الصنعة وفي المغرب لقيام الصنعة في القوة وفي العشاء لظهور الصنعة بالفعل من غير العالم وفي الصبح لتحصيل العلم بالصنعة.

والغرفة الثالثة: يا عقل اغسل اليمنى واليسرى بالغرفة الثالثة في طهر الظهر لظهور سرّ التوكل[٣]، وعدم التأمل، وفي العصر لجعل التوكل سببًا من الأسباب، وفي المغرب لعدم التوكل على الوهاب، وفي العشاء لسر الجوع المراد، وفي الصبح لشؤم الشبع المعتاد.

---

(١) حمىء الماء: خالطته الحمأة ـ الحمأة: الطين الأسود المنتن المتغير ـ فكدر وتغيرت رائحته.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) التوكيل: اعتماد القلب على الله تعالى مع عدم الاضطراب عند فقد الأسباب الموضوعة في العالم التي من شأن النفوس أن تركن إليها، فإن اضطرب فليس بمتوكل وهو من صفات المؤمنين فما ظنك بالعلماء من المؤمنين؟ (للتوسع انظر الفتوحات المكية ٣/٣٥٩ ـ ٣٦١، والرسالة القشيرية ص ١٦٢ ـ ١٧٣).

ويا حس اغسل اليمنى بالغرفة الثالثة في الظهر لظهور سر التقديم لها في الظهور، واليسرى لبروز سر «كلتا يديه يمين»[1] في الظهر، وفي العصر لاستوائهما الأسنى، وفي المغرب لنيابة اليسرى عن اليمنى، وفي العشاء لتعطيل اليسرى واليمنى، وفي الصبح لوجود اليمين في اليمنى، واليسر والعسر في اليسرى.

جعلنا الله وإياكم من المقربين، وضرب لنا بسهم في أصحاب اليمين.

١٢ ـ في معرفة أسرار مسح الرأس[2]

مسحت رأسي للظلّ الذي نيط بِالـ	ـعَرْش الذي هو بالأنوار محفوف
فأعجب لظلٍّ من الأنوار منبعث	فيه الدلالةُ، أنَّ الظل موقوفُ
على نتيجته لا عين صورته	على استقامته ما فيه تحريف
العرش سقفٌ لجناتِ الخلودِ فدا	رُ الخلدِ دائرةٌ فيها التصاريف
فالعرش إن نظرت عيناك صورتَه	من [كل][3] ناحية ما فيه تجويف
يا ليتَ شعريَ والنارُ التي خلقتْ	في السفل هل سقفها بالضد موصوف
فالنارُ دائرةٌ في جوف جنتكم	فبيتها بجنانِ الخلد مسقوفُ
لولا الدخانُ الذي فيها لأدركها	نورُ الجنان [ولكن][3] فيه تطفيف

نزل الروح [على القلب][3] وقال: امسح برأسك يا عقل في الظهر لظهور سر الظل، وفي العصر لوجود الظل في النور، وفي المغرب لحجاب النور الظل، وفي العشاء لاستواء الظل والنور في الحجاب، وفي الصبح لتسمية الله بالنور دون ضده. ويا حس امسح برأسك في الظهر لسر الإقناع، وفي العصر للعشق، وفي المغرب للذل، وفي العشاء لفقد الحواس بالنوم، وفي الصبح لرجوعها والإخبار بما رأته في النوم للقوم. جعلنا الله وإياكم من أهل الظل الأول، الذي عليه عند المحققين المعول، آمين بعزته.

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٢/ ١١٠).

(٢) انظر الفتوحات المكية ١/٧٤٨.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

١٣ ـ في معرفة أسرار مسح الأذنين[١]

طهِّرِ صماخَيْك إنَّ السمع يدرك ما ... في ذلك الطهر من تعريفِ مبدعهِ[٢]
إذا يخاطبك الرحمنُ من كثب ... فإنه سامعٌ من غير موضعهِ[٣]
في نفسه دركُ ما في النفس من خِيرِ ... وفي اللسان، وهذا حد مِهْيعه[٤]
إذا يكلمُني ربِّي أقولُ له ... يا ربّ سمعِي محصورٌ فَمَهْ يَعِه
ودركُه لكلام الله صحَّ له ... على الحقيقةِ لكن مِنْ مُشَرّعِهِ
صلَّى الإلهُ على موسى فإنَّ له ... أصلُ السَّماع اعتناءً من مُسمِّعه

نزل الروح [على القلب][٥] وقال يا عقل امسح أذنيك لاستماع التنزلات في الظهر، وبماذا قبلتها في العصر، وبما حصل لك منها في المغرب، ونظرك فيها في العشاء، وقوفك على الأسرار المودعة فيها في الصبح

ويا حس امسح أذنيك لاستماع القول في الظهر، ولارتباط السمع بالخطاب في العصر، وفي المغرب لسجن السمع في الأذن، هل هو من الحقائق أو من العادات؟ وفي العشاء لدرك أصوات في المنام وليست بأصوات، وفي الصبح لدرك هذه الأصوات النومية في اليقظة بمشاهدة الحفظة. جعلنا الله وإياكم ممن يستمعون [القول][٥] فيتبعون أحسنه فشهد لهم الوهاب بقوله: ﴿أولئِكَ الذينَ هَدَاهم الله وأولئكَ هُم أُولوا الألبابِ﴾ [الزمر ١٩].

١٤ ـ في معرفة أسرار غسل القدمين[٦]:

طهِّر بشرعِك أقدامًا سعيتَ بها ... تفز بأسرارِ ربٍّ ثمَّ جبّارِ
والربُّ للقَدَمِ العليا مَنظرُهُ ... جبارُ ذي القدَمِ الملقاةِ في النارِ
واعلم بأنَّ لك الكرسيَّ ثم لكَ الـ ... ـكونَيْن فاشكر لوهابٍ وغفارِ
علمُ السَّوابقِ [موقوف][٥] عليكَ له ... والجارياتُ بأكوارٍ وأدوارِ
وقد أحطتَ بأصناف العلوم فقمْ ... فأنت صاحبُ أنوارٍ وأسرارِ

---

(١) انظر الفتوحات المكية ١/٧٥٣.
(٢) الصّماخ: قناة الأذن الخارجية التي تنتهي عند الطبلة، وهي مدخل الصوت (ج) أصمخة.
(٣) الكثب: القرب.
(٤) المهيع: الطريق الواسع البيِّن (ج) مهايع.
(٥) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٦) انظر الفتوحات المكية ١/٧٥٤.

فقمتُ من عنده أبغيه، فالتَفِتُوا قَولي فإن به تدرُون مقداري

نزل الروح [على القلب][1] وقال يا عقل اغسل قدمك اليمنى في الظهر، لظهور سر مغالطتك في قدمك، واليسرى لظهور سر عدمك، وفي العصر للجمع بين القدم والحدوث، وفي المغرب لمغيب قدمك في قدمه، عند السير الحثيث[2]، وفي العشاء لوجودك معه في هيولى المحققين، وفي الصبح لمطالعته عينك فيها على التعيين. ويا حس اغسل [قدميك في الظهر][1] قدمك اليمنى لمطالع قدم الرب واليسرى لمطالعة قدم الجبار، وفي العصر لاجتماع المطالع في سماء الأنوار، وفي المغرب لمغيب قدم الجبار في قدم الرب، وفي العشاء لمغيب قدم الرب، في قدم الجبار في طلال الحجب، وفي الصبح لتمييزهما الأيدي على الحكم الأزلي. جعلنا الله وإياكم ممن تثبت قدمه في المعالم، ولم يحجب بما كشف [له][1] من العوالم.

١٥ ـ في معرفة أسرار التشهد بعد الفراغ من الوضوء[3]:

تشهّد بإثبات الإلـٰهِ ونفيهِ فإنك مطلوبٌ بإثباتِ عينهِ

وفَصِّلْ إذا قَامَتْ شواهدُ وصفهِ عَليك ولا تُلحِقْهُ عينًا بكونِهِ

وأَبرِزْهُ في الكونِ الغريبِ بشرطهِ بأن يَكُ محفوظًا بأثواب صَوْنِهِ

نزل الروح على القلب، وقال: يا عقل تَشَهّد إذا فرغت من وضوءك لصلاة الظهر، لظهور سر العدد في الأحد، وفي العصر للألف المعطوفة المألوفة، وفي المغرب الشاهد لمغيب الأحد في الواحد، وفي العشاء للأحدية والأبدية، وفي الصبح لثبوتك لديها، عند قدومك عليها. ويا حس تَشهّدْ إذا فرغت من وضوءك لصلاة الظهر، لظهور سر التوحيد، وللعصر لفناء التفريد، وللمغرب لوقوع التمجيد، وللعشاء لحصول التوحيد في التجريد، وفي الصبح لمشاهدة التوحيد في التبديد. جعلنا الله وإياكم، ممن وحَّدَ فتوحد، وأشهد فتشهد [آمين بعزته لا رب غيره][1]

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. (٢) الحثيث: السريع الجادّ في أمره.
(٣) انظر الفتوحات المكية ١/ ٩٥.

١٦ ـ في معرفة أسرار الانصراف من الوضوء إلى الصلاة:

ولـمـا أتـيـنـا بـالـطـهـارة كـلُـهَـا ... على وفقِ شرعِ الله في الحسّ والعقْلِ

أتـيـنـا نُـنـاجـيـه بُقـدسِ كـلامِـهِ ... على نحوِ ما قد صَحَّ عندِي من النَقْلِ

فلـم يَسْتَطِع إحداثُ لَفْظي لِكَونِهِ ... قديمًا فناجَيْت المُهَيْمن بالفِعلِ

ولـم يسْتَطع مَعْنَايَ أيضا كلاَمُهُ ... فقد صَحَّ عندِي أنّني لستُ بِالمِثْلِ

فـرد عـلـيّ الله مـن عـرشِ ذاتِـهِ ... بما طابق اللفْظَ الذي جاءَ من ظِلّي

على نحو ما أتلوهُ في النورِ والهُدَى ... بإيجَادِ وصفِ العدلِ منهُ أو الفضلِ

وما سمِع الرحمنُ غير كلامه ... على مِقولِي في الفَرْضِ كنت أو النَفْلِ

فصحَّ لي التعبيرُ عنْهُ لأنّه ... تعالَى عن الأصواتِ والحرفِ والشَّكلِ

فإن قُلتُ إني قد تَلوْتُ كلامه ... فقد قلتُ إنّي ما تَلوتُ سوى مِثْلِ

فإنْ تَكُ خالفْتَ الذي قد نَصصتُه ... فقدْ غضتَ يا مسكين في أبْحُرِ الجهلِ

نزل الروح الأمين على القلب، فقال يا عقل ـ انصرف إلى مصلاك ليتلو سبحانه كلامه عليك، فاستمع وأنصت، وتحقق ذلك المقام، وأثبت فإنه مقام الدهش والطيش، ومحل الحياة والعيش، فاشحذ فؤادك، واترك اعتقادك، ولا تدبر في حين الخطاب، ولا تفكر فيما ترد عليه من الجواب، فإنه مقام التأييد والقوة، ومشرب الرسالة والنبوة، فإن إجابة الحق تعالى [إذا خاطب][1] لا ينتجها فكر، ولا يقوم لها ذكر حسبُ العقلِ قبولُ الخطاب، وقبولُ ما يخلق فيه من الجواب، من غير تقدم قصد ولا نية، ولا فكر ولا روية. ويا حسّ اتل على ربك كلامه، ولا تلتفت، وحقق معنى ما تناجيه [به][1] وتثبت، وشمر أذيالك، واجعل خلفك أعمالك وآمالك وضع اليدين مكتوفتين فوق السرة وتحت الصدر، فاطلب منه في ذلك المقام فضل ليلة القدر، في كونها خيرًا من ألف شهر، واجعل كلَّ صلاة تدخلُ فيها آخرَ صلاتك وذلك النَّفَس منتهَى حياتك، فلا تزال مقْنِعًا[2] ولربك مستمعًا، مُتَوشّحًا بالحياء غير ملتفت، إلى السماءُ طرفُك، حيثُ سجودك، وقلبُك حيثُ معبودِك، وخشيةٌ تخشعُ الجوارحَ، وهيبةٌ تقْصِفُ الجوانِحَ، وعَبْرةٌ تُسْفَحُ،

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. (٢) أقنع الرجل صوته ورأسه إذا رفعهما.

وزفرةٌ[١] تُلْفَحْ، وأنينٌ وزَمْزَمَةٌ[٢]، وحنِينٌ وهمْهَمَةٌ[٣]، وتلاطفٌ في تعاطُف، وتوسلٌ في ترسُّلٍ، ومشاهدةٌ في مجاهدة، وتغيُّر في تَحَيُّرٍ، واختلافُ صفاتٍ، وتنوعُ حالاتٍ، وآدابٌ وسكينةٌ، واعتدالٌ وطمأنينةٌ، إلى أن تفرغ من صلاتك، فتنظر عند ذلك فيما زكا من صفاتك، وما تقدس من ذاتك، فعند ذلك تكون المُصَلِّى السابقَ، وغيرُكَ المصَلِّى اللاحقَ. جعلنا الله وإياكم، ممن حضر في صلاته [فأجزل له في صلاته][٤] فكان جزاؤه النور ودار السرور.

١٧ - في معرفة أسرار طهارة الثوب والبقعة للصلاة فيهما:

[إن شاء الله تعالى][٤]

ليس لي بُقعةٌ سوى أرضِ قلبي — وثيابٌ تزينني غيرَ علمي
حَدَثي صَحَّ عن ظهورِ حُدوثي — وظهوري عنه بغيبةِ رسمي
أنا ثوبٌ على الحبيبِ وثوبي — هوَ حبيٌّ فحكَمُهُ عين حكمي
أي طُهرٍ في بُقعةِ القلبِ لمَّا — وَسعَ الله فانجلَى ليلُ همِّي
حقَّ لولاَ وجُودُ ربِّي بقلبي — كانَ يبْدُو عليَّ ألحانُ حلمي
وانتِقَامِي مِن آخر فكما لِي — في وجود السُّرُورِ مني وغمِّي
هذه حكمةٌ وهذا حكيمٌ — ظَهَرتْ منه بين عدلِي وظلمي
إنَّ كميّ هُوَ الحجابُ وكيْفِي — عن حَبيبي فاذهبْ بكيفِي وكميَ
يا حَبِيبي وإنَّني لَعَديمٌ — وغِنَاكَ الَّذي أُرَجِّي لَغدمي
شطَحاتٌ تبدُو عليَّ لِكَوْني — صورةً فيك عندَ نثْري ونظمي
بكَ عُلقت يا أبي يا حبيبي — أنتَ أرضَعتني فجودك أُمِّي
وَلِهَذا إليك أرفَعُ كفِّيَ — في أُمُوري فأنتَ رُكنِي وأمي
ليس لي والدٌ أرَاهُ سواكمْ — ما عسى يغني عنه والدُ جسمي
هُوَ مثلي هُنَا ضَعِيفٌ فقيرٌ — وَهمُهُ حَاكمٌ عليهِ كَوهمي

---

(١) الزفرة: التنفس مع مدّ النفس.
(٢) الزمزمة: صوت بعيد له دويّ، أو صوت مبهم من الخيشوم لا يتحرك فيه لسان ولا شفة.
(٣) الهمهمة: الكلام الخفي أو ترديد الصوت في الصدر من الهمّ.
(٤) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

مُذ تَحلَّيْتَ يا حَبيبي لقلبي ... لم أَزَلْ عارفا بِقدري وباسمي

ثم أني عَبدٌ وأَنتَ إلهٌ ... وقَوِيٌّ إذا بدَأْوَهَنَ عَظمي

يا حَبيبي لَقَدْ رَمزْتُ أموزًا ... في قريضي هذا على حكم زَعمي

نزل الروح على القلب، وقال أيها العقل طَهِّر ثوب سِرِّك، وبقعةَ قلبك لتجلي ربك، فإنّ سر الطهارة معقول، كما أن فعلها منقول. ويا أيها الحس طهر ثوبك بالتقصير، فإن الفائزين أهل التشمير، وطهر بقعتك النفيسة من عالم التخليط، فإنك من عالم التخطيط عسى يَفيض عليك [شيء من العالم البسيط، فإن فاض عليك منه شيء][1] فهو نور أنت فيه وعوْدٌ أنت بدؤُه، وظهور أنت خَبؤُه، فلولا ظهورك، ما سرى إليك نوره فيك، وبفيضه عليك، وحاجتك إليه تعزز فاعرف قدرك وقدره وتحقق شمسه وبدره، وأشرقت الأرض بنور ربها وذلك [النور][1] ظهور تربها، فبقعة البدر الفلك، وثوبه النور المشترك، فإن تدنس في كمال ظهوره بظل الأرض، فظهوره بالسمو عن عالم الخفض، كما أنَّ طهارة بقعة بروز نصف دائرتها للعين، وعدم طهارتها هو مغيبها تحت هذا الكون، فنظر الإنسان إليها هو إذن مطهرها، وعدم نظره إليها هو مقذرها، وبقعة الشمس فلكها، وثوبها نورها الذي أخذته من ملكها، وهو النفس الكلية المنفعلة، فهي بهذه المنزلة. ودنسها بالحجاب الهلالي المحاقي[2] وطهارتها خروجها عن موازنته في العالم العلوي، فيظهر ذلك في العالم السفلي، فطهارة بقعتها كطهارة بقعة البدر الأكبر، فلا تتحير.

جعَلنا الله وإياكم ممن طهر ثوبه وقلبه، وشاهد في كل حالة من الأحوال ربه، آمين آمين بعزته.

١٨ ـ في معرفة أسرار إقامة الصلاة:

يا مُقيمَ الصلاةِ ما لكَ تدعُو ... للمناجاةِ مَن حماهُ العَيانُ

وهي عندي إزاحة لحِجاب ... قرارته عند الحكيم الكيانُ

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) المحاق: آخر الشهر القمري حيث لا يظهر القمر، وقيل: ثلاث ليال من آخره، أو أن يستتِرَ القمر ليلتين فلا يُرىٰ غدوة ولا عشية.

وَدَليلي مَن قالَ: قُم يا بلالُ فأرِحنا بها فسُرَّ الزَّمانُ[1]

فأقام الصَّلاة فازتاحَ قلبٌ جاءَه الخوف تارةً والأمانُ

قل لمن يقرأُ القرآنَ: تَبَحر في علومٍ شتَّى حواها القرَانُ

خلفَ سِترادَقٍ مِنْ وَهمُ سِرٍّ شاهَدَ الله إذا أتته الحسانُ

هُو وَهمٌ وليس عِلمًا ولكن فيهِ سرٌ لِربنا وامتنانُ

فإذَا ما قرأت قرآنَ رَبِّي أظهرَ القولُ ما حَواهُ الجنانُ

للفؤاد الكلامُ من غير حرفٍ يا وَلي، وللحرُوف اللسانُ

نزل الروح على القلب وقال: أيها العقل ﴿أقِمِ الصَّلاة لدلوك الشمس إلى غَسق الليْلِ وقُرآنَ الفَجْرِ إنّ قرآنَ الفَجْرِ كان مَشهُودًا﴾[2] [الإسراء: ٧٨].

يا عقل - ربك قد دعاكَ إلى الدخولِ عليه، والوقوفِ بين يديه، فتسوك[3] بعودِ أراك[4] تفاؤلاً، فإن الفأل[5] مشروع، فهو خير من سبعين صلاة، وفي رواية من أربعمائة، كما جاء في الموضوع فالزم الأدب واحضر مع النسب، فإن علم النسب يوجب أدبك، وينهج مذهبك، وهذا أنت خلف الباب، تريد رفع الحجاب [فقل][6]

الله أكبر الله أكبر إثباتًا لمن تكبر عليه إعظامًا، ونزولاً عليه وإلمامًا، وقهرًا له وإرغامًا، ورحمة به وإكرامًا

---

(١) هو بلال بن رباح الحبشي (توفي ٢٠ هـ = ٦٤١ م) أبو عبد الله مؤذن رسول الله ﷺ وخازنه على بيت ماله. من مولدي السراة. وأحد السابقين للإسلام، وكان شديد السمرة نحيفًا طوالاً، خفيف العارضين. له شعر كثيف، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ولما توفي رسول الله ﷺ أذّن بلال ولم يؤذن بعد ذلك، وأقام حتى خرجت البعوث إلى الشام، فسار معهم، وتوفي في دمشق روىٰ له البخاري ومسلم ٤٤ حديثًا. (الأعلام ٢/ ٧٣، وابن سعد ٣/ ١٦٩، وحلية ١/ ١٤٧). في البيت إشارة إلى الحديث «أرحنا بها يا بلال» أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ٦/ ٣٤٠)، وابن كثير في (التفسير ٥/ ٤٥٦)، والهيثمي في (مجمع الزوائد ١/ ١٤٥)، والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ١٠/ ٤٤٣، ٤٤٤)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ١/ ١٦٠).

(٢) الغسق: ظلمة الليل، أو ظلمة أوله.

(٣) ساك أسنانه بالسواك: دلكها لينظفها.

(٤) الأراك: شجر كثير الفروع من الفصيلة الزيتونية، ينبت بريًا في شبه جزيرة العرب وفي فلسطين، وتتخذ المساويك من فروعه ومن عروقه.

(٥) الفأل: قول أو فعل يستبشر به.

(٦) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

[أشهد أن لا إلـه إلا الله إثباتًا لمن ادعى الألوهية في نفسه، حين أوجدها له في يومه دون أمسه فتنعم بها في حسه، وظهر بها عند أبناء جنسه فحال بينه وبين دوام أنسه.

أشهد أنَّ محمدًا رسول الله تحققًا أنَّ الرسالة في الثرى، وأن كل الصيد في جوف الفرا فسرت سريان النفس في الورى: فمنهم من تقدم، ومنهم من طلب الورا، وعند الصباح يحمد القوم السُّرى.

حيّ على الصلاة إثباتًا للغفلات، وتعشق الغافلين بالكائنات، فاتحدوا بها في عالم الكلمات، وانفصلوا عنها في عالم السمٰوات انفصال الروحانيات الملكوتيات.

حي على الفلاح تعينًا للبقاء ونجاة السعداء، وعدمها من الأشقياء، والفصل بين الأرض والسماء، يوم الفصل والقضاء

قد قامت فقاموا إجلالاً لقيامها، وبادروا إليها تعظيمًا لإمامها، فوهبتهم الأسرار القدسية، بين افتتاحها بتكبيرها وتمامها بسلامها، فمن فارحٍ بقدومها جزع من إقدامها، ومن فارحٍ بقضائها، إذا كان على بينة من تمامها، ومن محب في دوامها للتلذذ بكلامها.

الله أكبر الله أكبر تكبيرًا من غير مفاضلة، وقربًا من غير مواصلة، وبعدًا من غير مفاصلة، وإنباء من غير مراسلة، وإنعامًا بمعاملة، وروية من غير مقابلة.

لا إلـه إلا الله إثباتًا للشرك والتوحيد في عالم الجمع والوجد، في عالم الفرق والفقد، سر التعطيل والوجود، والنسبة والتمجيد لانفراد الوعد والوعيد من القريب والبعيد، بمحل التعظيم والتأييد.

وأنت يا حس. فقل الله أكبر الله أكبر تنفي تكبير المتكبرين من غير طريق دعوى المدعين وإرغامًا لأنوف الحاسدين، ودحضًا[1] لحجة المبطلين، وإقامة لبرهان المؤمنين أشهد أنَّ لا إلـه إلا الله، ردًا على مَن قال: إنه الله، فإن الحكيم الأواه، من قال بنفي الأشباه، وساوى في الذكر بين القلوب والأفواه، وفي السجود بين الأقدام والجباه.

(١) دحضت حجته: بطلت.

أشهد أنَّ محمدًا رسول الله إثباتًا لقربه من ربه، بعالم تربه، ومن حبه بعالم قلبه، لصحة حبه، فاتّخذَ حبيبًا وخليلاً، وعبدًا ورسولاً، فصحت له السيادة على صحبه.

حي على الصلاة: إثباتًا للإيمان وتعشقًا في العيان، بالبصر والجنان، في الإساءة والإحسان، والجحيم والجنان، فليس العجب من ورد في بستان، إنما العجب من ورد في قعر نيران.

حيّ على الفلاح إقبالاً على الإحسان بالأمان، فإنَّ البقاء بقاءان، والنجاة نجاتان، وكل ذلك قد ظهر في الإنسان.

قد قامت الصلاة من قعدتها، وانحلت لام ألفها من عقدتها، فصارت سلطانة بوحدتها، وظهرت في المؤمنين بقوتها ونجدتها، وفي العارفين بترك عددها وعدتها، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين.

الله أكبر الله أكبر مفاضلة روحانية ومرتبة ربانية، ومعادلة رحمانية وتكملة إنسانية، ونكتة رهبانية.

لا إلـه إلا الله: شرك مقبول، في توحيد معلول، صاحبها مقيد مغلول، وتاركها في روض مطلول، لا ملول ولا مملول.

جعلنا الله وإياكم ممن أقامها دائمًا، وكان بأسرارها عالمًا آمين.

١٩ ـ في معرفة أسرار تكبيرات الصلاة(١)

أَكَبِّرُهُ في كلِّ فِعْلٍ على الَّذِي   تجلَّى من الأسماءِ فيه لناظِري

فإنَّ الذي يبدُو إليَّ هو الذّي   أراهُ بذاك الفعل ربِّي وآمرِي

قال الروح في تنزله اعلم أن للجمع حضرتين، كما بينا من قبل أنَّ الوجود كله مبني على اثنين، فالله وأعني به الاسم، حضرةٌ جامعةٌ لجميعِ الأسماءِ الحسنى، والذاتُ التي لها الألوهيةُ، حضرةٌ جامعةٌ لجميع الصفات القدسية الذاتية، والصفات الفاعلة في العالم الأبعد والأدنى، والأرفع والأدنى،

(١) انظر الفتوحات المكية ١/ ٦٥.

فإذا كنت في حالة من الحالات [من أحوال][1] الأرض، أو من أحوال السماء، فلا شك أنك تحت قهر اسم من الأسماء، سواء عرفت ذلك، أم لم تعرف، أوقفت في مشاهدته أو لم تقف، فإن ذلك الاسم الذي يحركك ويسكنك، أو يكونك أو يمكنك، يقول لك أنا إلٰهك ويصدق في قوله، فيجب عليك أن تقول الله أكبر وأنت يا اسم سبب فعله، ذلك الرفعة السنية، ولله الرفعة الإلٰهية، ويصح فعل هذا على طريق المفاضلة فإنها من حضرة المماثلة، قال الله تعالى ﴿قُلْ ادْعُوا الله أو ادْعُوا الرَّحمٰنَ أيًا ما تَدعُو فَلَهُ الأسْمَاءُ الحُسْنَى﴾ [الإسراء ١١٠] كذلك له الصفات العليا، فإن الله هو الرحمٰن الرحيم، الملك القدوس، السلام المؤمن المهيمن، العزيز الجبار المتكبر، الخالق، البارىء المصور، الأول الآخر، الظاهر الباطن، الشاكر العليم، القادر الرؤوف، الرحيم الرزاق، إلى ما يعلم منها، وما لا يعلم، وما يفهم من صفاته وما لا يفهم، وعلى هذا يصح، الله أكبر، وبه تثبت المعارف الإلٰهية وتقرّر، وهذا أمر مجمل، تفصله أعمالك، وسر مبهم، توضحه أحوالك، واعلم ـ قطعًا ـ أن الذات لا تتجلى إليك أبدًا من حيث هي، وإنما تتجلى إليك من حيث صفةٍ مَا مُعْتَلِية، وكذلك اسم الله لا يعرف أبدًا معناه، ولا يسكن وقتًا ما في مغناه، وبهذا السر تميَّز الإلٰه من المألوه، والرب من المربوب، ولو لم يكن ذلك كذلك لالتحق المهلِك بالهالك فقد بانت الرُّتَب، وعرفت النِسب، وثبتت حقيقة السبب. جعلنا الله وإياكم ممن شاهد محركَه فكبر، فتجلى له ما هو أكبر، بمنه وكرمه، لا رب غيرُه آمين.

٢٠ ـ في معرفة أسرار رفع اليدين في الصلاة:

رفَعْنَا يَدَيْنَا في الصلاة لِعِلْمِنا ... بأنا نُنَاجيه، نشير إلى الفَقْرِ
وأنَّا تَرَكْنَا مُلكَنا مِنْ ورائِنَا ... وجِئْنَاكَ نَبْغي صُورة النَّفع والضَّرّ
وإن كانَ ذَاكَ الفعلُ مِمَّا أفَدْتَنا ... مع الوقتِ فالإنسانُ في طبعِه يجري
وصُورتنا في ذلِكَ الفعلِ كالَّذي ... يكونُ بها في مَوقِفِ الحشرِ والنَّشرِ[2]

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) الحشر: الجمع والسوق، ويوم الحشر: يوم القيامة، ويوم النشر: يوم القيامة.

نزل الروح [الأمين][1] على القلب السليم، وقال: دعاك الرفيع إلى مناجاته، والغني إلى فيض هباته، فتذلل وافتقر، وارفع يديك، في كل خفض ورفع، عندما تكبر فاترك ما يحصل لك في كل [تجل][1] وراء ظهرك، وقل هأنذا واقف صفر اليدين بين يديك عن أمرك أبتغي منحةً عُلويةً، أو لمحةً كليَّةً، فإذا جاءتك المنحة وتجلت لعينيك اللمحة، فارفع مِنْحتَك في كيسك. ولمحتَك في تأسيسك واطلب لمحةً أخرى، ومنحة كبرى، فإنها لا تزال تترى فإنَّ الفيض الإلٰهي مستمرٌ دائمٌ من عين جوده، فقابله بالفقر الكياني، الذي هو مستقر لازم في عين شهوده، فلا يزال يَهَبُ، وأنت تَجْمَع، ويعلُو وأنتَ تَخْضَع، ويُنْزِل وأنت تَرْفع؛ فإذا حصَّلتَ هذه المِنْحة وعَقَلْتَ هذه اللَّمحةِ، وقفت على أسرارِ رفع يديك في صلاتك فرأيتَ مَنْ دُونَك راغبًا في زكاتِك وجزيلِ صلاتِكَ، فَهَبْ كما وُهِبْت، فإنَّك تُعْبَدكما عبَدْت.

رفع الله هممنا إليه، وأَنْزَلها المنزلَ المبارَك لدَيْه، آمين [بعزته][1]

٢١ ـ في معرفة أسرار التوجُّه في الصلاة:

تـوَّجـهْـنـا ولَـيْـس لـنَـا وُجُـوه ... وأُنـطِـقْـنَـا ولَـيْـس لـنَـا لِـسَـانُ

فـكَـانَ لـنـا الـبـلاغـةُ والـبـيَـانُ ... وحُكْـمنَا على صُورِ المعَانِي

فَقُلْـنَـا بـانْـفِـطَـارِ الأرضِ فِـينَـا ... مـن الأشْـواقِ إنْ هَـجَـر الـعِـيَانُ

كـمـا انْـفَـطـر الـعـيَانُ إذَا تَـعَـالى ... وأُمـطِـرْنـا ومَـا قَـبِـلَ الـمـكَـانُ

فـهَـذي حـكـمـةٌ مـن سـارَ فـيـهـا ... رأى أَمْـرًا يَـضِـيـقُ بـه الـجَـنَـانُ

نزل الروح الأمين: [وقال: أيها][1] الحباب المتقاطر، والسحاب الماطر. هذا قد تجلّى لكليتك الإلٰهُ الفاطر، فقل لسمائك لا تحجب بلطافتها، ولأرضك لا تحجب بكثافتها، فإنه لا بد عند تجليه لسمائك من تخلخلها، ولأرضك من تزلزلها، فإياك أن تقع في أَشْرَاك الإشراك، لعظيم آفات الاشْتراك، والزمْ الوحدة فيها، يحصلُ رفدُه[2] ومجدُه، وكن وجهًا مستديرًا، ولا تجعله عبوسًا قَمْطَرِيرًا[3] ولا تحجَب بالجهة الكعبية[4]، عن الجهة الإلٰهية القلبية، وألحق الحياةَ بقدمها،

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. (٢) الرّفد: العطاء والصلة (ج) أرفاد.

(٣) القمطرير من الأيام: الشديد الطويل المظلم.

(٤) الكعبية: نسبة إلى الكعبة: البيت الحرام بمكة المكرمة.

والموتَ بِعدَمه في قدمها، والصلاةَ بحضرة ربك، واجعل النُسُك[1] **قُرْبان**[2] **قُربك**، وأقر بالأمر للأمر، واعترف بالإسلام حذرًا من الحُسام[3] **الباتر، وارغب** في [الانصراف إلى][4] الفضائل، وعن الرذائل، وأسند الأمور إليه، **فإن مفاتيحها** في يديه واستسلم للحكم، تكن من أهل العلم، وتدرع بثوب **الاستغفار، فإنه يحول بينك** وبين النار.

جعلنا الله وإياكم من أهل التوجيه، وممن يدعى **هناك بالمقرب الوجيه آمين** [بعزته][4]

٢٢ - في معرفة أسرار الوقوف والقراءة في الصلاة[5]:

وقَـفْـتُ أُنـاجـيـه بـعـيـن كـلامِـهِ ... مع الكونِ **وقْتًا، ثمَّ وقتًا مع القِدَمْ**

لأنَّـك فـي وقـتٍ بـوصْـفَـيْـهِ نَـاطِـقٌ ... وفي آخرِ **في عالَم النُورِ والظُّلَمْ**

إذا قـلـتُ قـال الله، أَغـنـي كـلامَـه ... وإن قالَ ربِّي: **قال مُوسى، فأنت تمْ**

تـأمَّـل عُـلـومًـا قـد أشـرتُ بـبـعْـضـهـا ... **إلـيـكَ، فـحـقِّـقْ مـا ذَكـرنَـاهُ والـتَـزِمْ**

نزل الروحُ، وقال: **الجامع قد تجلَّى والمُناجَى قد تَدلَّى، وأنتَ أيُّها المناجِي الأسْنَى، بقاب قَوْسين**[6] **أو أَدْنى، فقلْ يُسْمَع قولُك وتُجابُ، ولكن مَيِّز الخطابَ، وفرِّق بين قُرآنِك وفُرْقَانك، وبين توْرَاتِك ونُورِك، وكتابِك وزَبُورِك، فإن المناجاة تختلف باختلاف المقامات، وتتباين بتباين الحالات، وتتعدد بتعدد الأشخاص، وهي لا تقبل المزيد فتتصف بالانتقاص، فتنادي في وجودِك ولات حين مناص**[7]**، فإنك في حضرةِ الجمع واقف، ولسيدِها الجامع مُلاَطِف، فإذا منحك من لطائفه،**

---

(١) النُسك: حق الله تعالىٰ أو الذبيحة.

(٢) القُربان: ما يُتقرب به إلى الله من ذبيحة وغيرها (ج) قرابين.

(٣) الحُسام: السيف القاطع.

(٤) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٥) انظر الفتوحات المكية ٢/٦٨

(٦) القاب: المقدار أو ما بين نصف وتر القوس وطرفه. يقال: هو على قاب قوسين: كناية عن القرب.

(٧) لات حين مناص: لات: كلمة معناها (ليس) وتعمل عملها، ولا يذكر بعدها إلا أحد المعمولين، وهما يدلان على الزمان، والغالب أن يكون المحذوف هو المرفوع. المناصب: الملجأ والمفر. ولات حين مناص؛ أي وقت مَطْلَبٍ ومفاتٍ، وقيل: معناه أي استغاثوا وليس ساعة ملجأ ولا مهرب. (لسان العرب ٧/١٠٢ مادة: نوص).

ووهبك من عوارفه، فحصل ولا تفصل، فإن ذلك مقام التحصيل، لا التفصيل، فاعلم أنَّ الزبورَ نظير الفرقان [ولهما سران، والقرآن][1] مختص بالمحمدي، والفرقان له بالاشتراك الموسوي، فسرُّ القراءة، في جمع الذاتين واتحاد الصفتين.

جمع الله عليَّ ذاتي وقدَّس باطلاعي على صفاتي - آمين.

٢٣ - في معرفة أسرار الفرق بين الفاتحة والسورة:

نورُ الكَواكِبِ موقوفٌ على السُّوَرِ ... وسُورَةُ الحمدِ نُورُ الشَّمْسِ والْقَمَرِ

فانْظُر إلى فَلَكٍ إنْ دَارَ فِي فَلَكٍ ... أَعْطَاكَ عِلْمًا بِمَعنَى الرُّوح والصُّور

فَسُورَةُ الحمدِ فرقانٌ يَبينُ على ... أطْرَافِها بانْفِصالِ الكون والبشَرِ

كما يبين إذَا حَقَّقْتَ صُورَتَها ... إلَيْك قرآنها في برزخ الصُّور

فانْظُر إلى سُورِ تأتِي على صُوَرِ ... بصُورَة النَّفْعِ أَحْيانًا وبِالضَّررِ

نزل الروح الأمين على القلب، وقال: اعلم أنَّ الفاتحة لها طرفان، وواسطة ومقدمتان، ورابطة، فهي الفاتحة للتجليات الواضحة، وهي المثاني، لما في الربوبية والعبودية من المعاني، وهي الكافية، لتضمنها البلاء والعافية، وهي السبع المثاني[2]، لاختصاصها بصفات المعاني، وهي القرآن العظيم، لأنها تحتوي على صورة المحدث والقديم، وهي أم الكتاب لأنها الجامعة للنعيم والعذاب، فالطرف الواحد بالحقائق الإلٰهية منوط، والطرف الآخر بالحقائق الإنسانية مربوط، والواسطة تأخذ منهما، على قدر ما تخير [به][1] عنهما، والمقدمة الواحدة سماوية، والمقدمة الأخرى أرضية، والرابطة لها هوائية، فيقول الأوَّلُ: الحمد للمعين، مصلح عالم الكون، بالهين واللين؛ فيقول الآخِرُ حمدني الأولُ في أبدي، لمَّا علم أنه لا ينقضي أمدي، ثم يقول الآخر الحمد لله ربِّ العالمين، على الحكاية المعقولة، وما ثبت له في الرواية المنقولة، فيقول الأول: أثبتني الآخِر، وملكني، [وعليه][1] وعلى غيره سودني، وجعلني مُرئيًا أينه، ومصلحًا عينه، ثم يقول الأول: بسطت رحمانيتك على عامتك ورحيميتك على خاصتك، فكنت لهذا الفصل إبراهيميَّ الأصل فيقول الآخر لقد أثنى على الأول بما جعل

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) السبع المثاني سورة الفاتحة، أو السور السبع الأولى من القرآن.

عندي من فيضه، وإقامتي به بين [يَدَيْ][1] بسطه وقبضه، وجعلني حاكمًا في سماء الله وأرضه، ثم يقول الآخر الرحمن الرحيم، فيقول الأول الآخِر أثنى الآخر عليّ، حين أسند المحامد إلي، فله عندي ما خبأته وراء حدّي ثم يقول الأول: يا آخر قمت في ملكه، وأحطت عينًا بما حصل في ملكك، ونهيت وأمرت، فشكُرت وكُفِرت، ثم أقِرَّ لك بالمُلك، وسلم لك باب الملك، وناداك الملك بالملك، حين خرجت عن حكم دورة الفلك، واتخذك ربك وكيلاً، وما وجدت إلى الانفصال سبيّلا، فجاز قومك بأعمالهم، وأوقفهم على أفعالهم، فيقول الآخر إنَّ الأول قد أثبت لي الشرف والمجد، ومنحني الرتبة العالية حين ساعدني الجَد فنعم الجَدّ، وفوض إلى تدبير كونه، بمغيب عينه، ثم يقول الآخر ﴿مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] فيقول الأول. رد الآخر عليَّ وَكالتي، وصرف إلى عِمَالتي، وقال: شهودي إيَّاك يمنعني من التَّصَرُّفِ، ونظري إليك يحول بيني وبين التَّعرف، فأنت العلي الماجد، والربّ الواحِد. وانتهى الطَّرف الواحد، والمقدمة، وبانت المراتب المرسومة، ثم يقول الأول: يا آخر إليك آويت بالنزول الذاتي، وبالتنزيل الصفاتي، في ديجور[2] الليل المظلم، لإيضاح السر المُبْهَم، ثم أويت إليك لإظهار الصنائع العلمية، واستخراج المنافع المعدنية، فأنت ربها وإمامها، وعرافها وعلامها، وبك ثبوتها وقوامها؛ فيقول الآخر الأمر بيننا مشترك، فمن يضمن الدَّرَك؟ [وأنا][1] قد أجبت سؤالك وقمت أريك أعمالك، ثم يقول الآخر ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٦] فيقول الأول: إن الآخر قد قام لي في ذلة العبودية ليثبت عزّ الربوبية، وقد سأل العون في تدبير الكون، فلي منها شِرْبٌ، وله شِرْبٌ، ولي السقاية، وله الشُّرب، فله ما سأل فقل له ينفصل، فهذا سر الواسطة قد أعلن، ومعنى.الرابطة قد بين، ثم يقول الأول للآخر أين لي عن طريق العقائد والأعمال، ومراتب الأولياء والأبدال[3] والخلفاء والأرسال، والمبسوط عليهم نعم المعارف، والمهدي إليهم حكم اللطائف، وأوضح لي طريق الأشقياء والضُّلاَّل، ومرتبة العلماء به المستدرجين والعمال، فتحق عليهم كلمة العِذاب والنقمة، وتحيد منهم كلمة النعيم والرحمة، فيتيهون في قعر الظلمة، فيقول الآخر قد نزل الأول

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. (٢) الديجور: الظلام أو المظلم.

(٣) الأبدال: (عند الصوفية) إحدى طبقاتها، يزعمون أنه إذا مات بدل من الأبدال حل محله آخر.

بحجابه، واستتر خلف بابه، فله ما سألني عمله، إذ أقامني بدله ثم يقول الآخر ﴿اهْدنا الصِّراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ [الفاتحة: ٦] آمين، فيقول الأول: قد سألني أن أهديه صراطه، وأشد رباطه، وأقيمه بالمحجَّة[1] البيضاء، وأجعل متنزهه [المُهْجة][2] الغضاء، وأجعله وارثًا لرسْلي، وقائمًا بسبلي وأجنبه موارد الهلاك، ومصارع الهُلاَّك، فله ما سأل، وما أمل ثم يقول الأول: يا آخر أجبني إلى ما سألتك، فيقول الآخر [قد أجبت ثم يقول][2] آمين ـ فيقول الأول: إن أخلصت، فقد فعلت.

فقد أبانت الفاتحة عن الصورة الصادية، والحكمة العادية. وبقيت الصورة السينية القائمة بالمنازل السنية [وهي][2] في الأعالي والأسافل من مائتين وثمانين وسبع منازل إلى ثلاث منازل، وتضيق هذه العجالة عن إيرادها فيها، وقد ذكرناها في الفتوحات الملكية، في المنازل، بأُمهات معانيها لمن يعانيها وأُريد أن أقصد هنا إلى بعض سورة الأسرى وما يحصل فيها من التلاوتين من الأنباء وأقول بالتلاوة الإلـهية التي لا يسأل عنها بالكيفية، ولا بالماهية ﴿والنَّجْم إذا هوَى﴾ [النجم: ١] في قلب تَعرّى عن الهوى ﴿ما ضل صاحِبُكمْ ومَا غوَى﴾ [النجم: ٢] ولكنه شرب فارتوى [ومَا ينطقُ عَنِ الهوَى﴾ [النجم: ٣] لخروجه عن كرة الهوى ﴿إن هُو إلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤] أنزلناه عليه بلا واسطة كشفًا وتلويحًا، فكان به ـ عند نزول الواسطة ـ في عالم الألفاظ [عجولاً][2] فصيحًا ﴿عَلَمه شديدُ القوَى﴾ [النجم: ٥] بحضرة الاستوا ﴿ذُو مرَّةٍ فاسْتَوى﴾ [النجم: ٦]، بما أيده به من القوى ﴿وهُو بالأفقِ الأعْلى﴾ [النجم ٧] عليه مراتبُ روحانيةُ العُلى؛ ثُمَّ دنَا فَتدَلَّى، على المقام الأجلى، ﴿فكان قاب قوسيْن أوْ أدْنى﴾ [النجم: ٩] من المقام الأسنى خلفَ حجاب العزة الأحْمَر [فأوْحَى إلى عَبْده مَا أوْحَى﴾ [النجم: ١٠] فما أمسى عليه يوم ولا أضحى ﴿مَا كذَب الفُؤادُ﴾ [النجم: ١١] ما رَأى من حسن الرؤَى أفتمارُونه[3] على ما يرَى، فهو بحيث لا يرى ﴿ولقَدْ رآهُ نزْلةً أخْرى﴾ [النجم: ١٣] عند الصيحة الكبرى ﴿عندُ سُدرَةِ المنْتَهى﴾ [النجم: ١٤] مستقر الحسن والبها ﴿عنْدَها جَنَّة المأوَى﴾ [النجم: ١٥] المحفوفة بالبلوى، حضرة

---

(١) المحجَّة: الطريق المستقيم (ج) محاجّ (٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٣) امترىٰ في الشيء: شك فيه.

ارتفاع الشكوى المنتجة للنجوى ﴿إِذْ يغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النجم ١٦] فيعدم البصير، ويظهر الأغشى ﴿ما زَاغَ البَصرُ ومَا طغى﴾ [النجم: ١٧] ولو طغى لسفل، ولو زاغ ما ارتقى. فتحقق تلاوة هذه المشاهد، وحصل هذه المنافع، من هذا الاسم الجامع

ثم أقول بالتلاوة الإنسانية، الجسمانية والروحانية ﴿والنَّجْم إذا هَوَى﴾ [النجم: ١]، بالسر الإنساني، في الموقع الرباني، ليحصل معرفته، ويكمل مرتبته، ﴿مَا ضَلَّ صاحِبُكُمْ ومَا غَوَى﴾ [النجم ٢]، يقول قد أصاب المطلوب، وظفر بالمحبوب، ﴿ومَا يَنْطقُ عَنِ الهَوَى﴾ [النجم ٣] لأنه مقدس عن التأليف والتركيب، والتدبير والترتيب؛ ﴿إِنْ هو إلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم ٤] من الله إلى الرب، كما تقول في شاهد الغيب، من السر إلى القلب ﴿علَّمهُ شَدِيد القُوىَ﴾ [النجم: ٥] ترجمان الاستوا إليه المستوى. ﴿ذُو مِرَّةٍ فاسْتَوَى﴾ [النجم ٦] جبّار قهّار، مقتدر أقوى ﴿وهُو بالأُفقِ الأعْلَى﴾ [النجم. ٧] فوق فلك الإشارات العلى ثمّ دنا من حضرة المنى فتدلى، حين تجلى ﴿فَكانَ قَاب قَوْسين أَوْ أَدْنى﴾ [النجم: ٩] أو كحبل الوريد الأدنى، ﴿فَأَوْحَى إلى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم ١٠] لما استقل بمنافعه، وهو قاعد، وقام بأسبابه، وهو راقد ﴿مَا كَذَب الفُؤادُ﴾ [النجم: ١١] النكتة الجامعة الإلـهية، ما رأى من الحقائق الإنسانية، ﴿ولَقَدْ رآهُ نَزْلَةً أُخْرى﴾ [النجم: ١٣] ولا كون يرى ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ المُنْتَهى﴾ [النجم: ١٤] حضرة ذات الانتها، ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ المأْوَى﴾ [النجم. ١٥] حين مقام السوى، ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرةَ ما يَغْشَى﴾ [النجم ١٦] عند صلاة الظهر والعشا، ﴿ما زَاغَ البَصرُ وَمَا طغَى﴾ [النجم. ١٧] لأنه في حظ الاستوا

جعلنا الله وإياكم ممن عُرِجَ به إلى الملأ الأعلى وهيأه لقدومه الحضرات العلى، آمين [بمنه][١]

٢٤ ـ في معرفة أسرار الركوع[٢] وما يختص به من التسبيح:

رَكعنَا نُريد عِلم بَرزَخٍ ذَا تِنَاو ... تُجْري لنا البحْرَيْنِ، إنَّكَ قَادِرُ
فَإنْ دَخَلَ البَحْرُ الفراتُ على الَّذي ... جَعَلْتَ أُجاجًا فالمفضَّل قاهِرُ

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٢) انظر الفتوحات المكية ٢/٩٣ ـ ٩٥.

إذَا عـايَـنَـتْ أَبْـصَـارُنَـا سِرَّ فَـضْـلِهِ	تَـعـبَّـدَنَـا اسـم لـلـمـهـيـمـن فـاطِـرُ[1]
فسبِّحَ بـالـتَّـعْـظِـيـمِ والْـحَـمْـدِ لَـفْـظُـنَـا	وأَنْـتَ لِـمـغْـنَـاهُ الـحـكِـيـمُ الـمـؤازِرُ

نزل الروح وقال هذا: قد تجلى العظيم في عظمته، لوجود كلمته، لما وقفت في برزخ الوقفة الذي [هو واسطة العقد، والمقام الذي][2] يلي اتحاد الفرد بالفرد، وسنبين ذلك لمن وجده، عند قوله «سمع الله لمن حمده»[3] كل من دون الموجود الأول المطلق، وفوق الموجود الآخر المقيد، فموجود برزخي محقق، وخذه حيث شئت، فإنك تجده كذلك. فإذا وقفت على هذه الحقيقة، فأنت لجميع مفاتيح الغيب مالك، فاعرف قدر مقامك، وإن كان بهيميًا، من حيث مقابلتك الأرفق فلا تجزع، فالمحقّق من يركب طبقًا عن طبق، وعظم من تناجيه وترًا أو عشرًا، ترتفع بذلك عنده قدرًا، وليكن ذلك من حضرة التنزيه، التي هي على الحقيقة حضرة التنبيه، فإن المُسبِّح هو المنَزَّه لا المُسبَّح، وهذا مفتاح قفل من قال من العارفين سبحاني، فمن شاء فليفتح، فإنه سيلوح له الوجه الأغرّ الأصبح، فهذا من بعض أسرار الركوع، إذا صحبه شيء من الخشوع والخضوع

جعلنا الله وإياكم ممن اطمأنّ في ركوعه، وإن غلبه الوارد في خشوعه وخضوعه. آمين.

٢٥ ـ في معرفة أسرار الرفع من الركوع وما يقال فيه:

قـلـتُ إذْ صـحَّـت عـزيـمـتُـنـا	وأتـى عـبـدٌ بـمـن عـبـدَهْ
نـائـيًـا عـن وصْـفِ مُـوجِـده	سـمـعَ الله لِـمـن حَـمِـدَهْ
يـا مَـقـامًـا مـا أرى بَـدَلاً	مِـنْه فـي الـقَـلْـبِ لِـمـن وَجَـدَهْ
يـا سـنـا لاَحَ لأَعْـيُـنِـنَـا	نِـعَـم الـطَّـرْف الَّـذي شَـهِـدَهْ

نزل الروح الأمين، قال. لما صحت العزائم، اتحدت الذوات في الكلمات، ولما ظهرت المعالم بانت عن القديم الصفات المحدثات، تجلى القاتم على

---

(١) المهيمن: من أسمائه تعالى.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) سبق تخريجه.

النفوس باكتسابها، وفرح العالم باستنادها إليه وانتسابها، فلما أثبت سمعَهُ السميع، حَمِدهُ العبدُ المطيع

وقال رضي الله عنه

إذا صحَّت عزائمُنا اتَّحَدْنَا	وبُثْنا بالصفاتِ المحدَّثات
عن الذَّات المقدسةِ الَّتي لَمْ	يُدنِّسهَا العيونُ بِالالْتِفاتِ
وقد قالَ الإلٰهُ على لسانِي	سمِعْنا منكَ حَمْدَ الحامِدَاتِ
وجاءَتْنَا به رُسُل العَوَالِي	على مِنَن السَّوارِي السَّابِحَاتِ

فنادى بربوبيته الإلٰهية لثبوتها، وصرح على لسان عبده بإجمال نُعوتها، فإن التفصيل يقيده بحضرة [ما][١] ولا يقع في ذلك إلا من هو عن الحقائق أعمى، فإن زاد على هذا الإجمال، الإقرار بالمنع والعطاء، للمعطي والمانع، وأثبت الربح والخسران، والمضار والمنافع، للضار النافع، فقد استكمل قيامه، وثبت مقامه.

جعلنا الله وإياكم ممن صح عزمه فاتحد، ثم بان له محال الاتحاد فتوحد.

٢٦ ـ في معرفة أسرار الهوى إلى السجود[٢]:

هويتُ من القيامِ إلى السجودِ	هُوِّى الروحِ من فَلكِ البهاءِ
نزلتُ أريدُ ما تعطيه ذاتي	نُزُولَ الحقِّ لِي من الاسْتِواءِ
فحقِّقْ يا أخي نظرًا إلى مَنْ	أتى في الصورتين بلا افتِراءِ[٣]
فإنِّي عندَما يبدُو كَمالي	إلى قَلبي أقولُ بلا امْتراءِ
أنا رَبُّ الأسَافِل والأعَالِي	وسِرُّ العالَمِين عَلى السَّواءِ
فلي يومُ العُروبَةِ والثُلاثَا	ولِي يومُ الخميسِ والأرْبعاءِ[٤]
ولي الاثنين والسبتُ المُعَلَّى	ولي الأحدُ المحكَّمُ في ذُكاءِ[٥]
فتَدْبِيرُ المعادِنِ مِن وجُودِي	كتَدْبيرِ الكواكِبِ في السَّماءِ

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٢) انظر الفتوحات المكية ٢/١١٧.
(٣) افترىٰ عليه القول: اختلقه.
(٤) العَرُوبَة: الجمعة (لسان العرب ١/٥٩٣ مادة: عرب).
(٥) ذُكاء: علم للشمس لا ينصرف.

نزل الروح وقال: نزل الحق الرباني إلى السماء الدنيا مساعدًا لطالب الدرجة العليا. فقبل الحصول في سمائها، وبعد مفارقة استوائها، وهي حالة الشبر والذراع، والهرولة[1] الواردة في الأخبار، مجملة غير مفصلة، وقصد العبد في أي حالة كان يفصلها، وعند ذلك يحصلها، فإن التجلي له صورة معقولة، ووجوه مجهولة، وفي مقابلتها منك صورة معلومة، ووجوه غير مرسومة، لكنها موسومة، فالصورة التي تخرج إليها فيها، اطلب تجليه إليك، فإن بمثلها منه تنزل الرقيقة الإلـٰهية، في تجليها عليك، فتحفظ من هذا المقام، ومن استحكام سلطان الأوهام، واعلم أن في هُوِيِّك علاك، كما أن في أرضك سماك، واعلم أنها حالة هوائية لطيفة، سريعة الذهاب خفيفة، كذلك تجليها سريع الزوال، وشيك الانتقال، وهي شبيهة بالأحوال، ليس لها قدم فتطلب برسوخها، ولا هي حضرة فتنبع من شموخها، فهي حالة وردِيَّة سيَّالة كالدهان، ﴿فبأيِّ آلاء ربِّكما تُكَذِّبان﴾ [الرحمـٰن ١٣].

جعلنا الله وإياكم ممن نزل من سدرته، إلى دجنته[2]، فعلم جزئيته من كليته. آمين.

٢٧ ـ في معرفة أسرار السجود وما يختص به من التسبيح والدعاء[3] وقوله جل ثناؤه: ﴿واسْجُدْ واقتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩] وسبب عصمة الإنسان في سجوده من الشيطان:

تفطَّنْ لوَتْرٍ في الركوع محقِّقٍ — وشفع سُجُودٍ إنَّ ذَا لعجِيبُ
لأنَّك في حالِ الركوعِ مُبعَّدٌ — وأَنتَ وحالاتِ السجودِ قريبُ
وسبِّحْ بِتسبِيحِ العُلُوِّ وحمدِهِ — فإنَّك للسرِّ العجيبِ مُصِيبُ

نزل الروح الأمين، وقال: حصل التجلي في ثلث ليلة في سمائه، وصرح فيما يليق بالوقت من أنبائه، وقد أمرك أن تنزل نزوله، وتتحقق فصوله، ودعاك إلى الاقتراب، الاسم القريب، فإنك المحب ليس الحبيب، ولهذا قال لك: واقترب، ولو كنت محبوبًا لقال لك: تقترب، فإذا لاحت لك عبوديتك في سجودك،

---

(١) الهرولة: ضرب من العَدْو وهو ما بين المشي والعَدْو.
(٢) الدجنة: الظلمة.
(٣) انظر الفتوحات المكية ٢/ ١٠٥ ـ ١٠٧.

وصحت لك القربة من معبودك، وتحققت كبرياءه فيها، وقلت عند ذلك نوفيها، غلطت وأصبت، وأحِطت وخِبْت، فانظر في علوه، ونزاهته في سموه، وسبحه على مقدار ما ظهر كما شرع وأمر، يبدو لك في هذا الخضوع، ما بدا لك في الركوع، من إعادة التنزيه إليك، ورده عليك، واجتهد في الدعاء، مع أن قبلته في السماء، وقبلتك في سجودك في الأرض محل الانحطاط والخفض، لا تجزع أيها الساجد [فإنك][1] لفخذ نقطة الدائرة المشاهد، وهي الغيب الحقيقي، والإلـٰه الخالقي فمكّن كفيك من التُّرب، فإنك في محلّ القرب، فتفطن لما رمزناه، وفك المعنى الذي ألغزناه؛ واعلم أنك معصوم في سجودك من الشيطان، فإنه قهاره فليس له [عليك][1] سلطان، إذا عاين هذه الحال اشتغل بنفسه، واحترق في برج نحسه وصار شاهدًا لك عند ربك بالطاعة ومشاهدًا لما يؤول إليه من الخسران يوم قيام الساعة، ويكفيك هذا القدر في سجودك، فإنه حجابك في استمرار وجودك.

جعلنا الله وإياكم ممن سجد فوجَد، وتهجَّد[2] فتمجّد ـ بمنّه وكرمه، لا رب غيره، آمين.

٢٨ ـ في معرفة أسرار الرفع من السجود:

رفعنا للتَستُّرِ والهِدَايَة — وجَبرٍ لانكِسارِ في البدايهْ
وعافِيةٍ وعفوٍ من ذنوبٍ — وتحصيلٍ لما فيه الكفايهْ
فَإنْ جَهل الفقيهُ سبيل قوْلي — أقولُ له كذَا أَتت الرِّوَايهْ
فإنَّ حقيقة الكشفِ المجليِّ — بِتحصيلِ التَّعمُّلِ للوِلايَهْ
وتَحصيلِ التَّكوُّنِ عن وُجودِي — بِجودي في البِدَايةِ والنهايهْ
فذَاتُ الشَّخصِ جامِعةُ المعاني — لها سرُّ الحقيقةِ والهدايهْ
وسَرُّ الملقياتِ أمور سعدِي — وسرُّ الغاوياتِ مع الغوايهْ

نزل الروح على القلب، وقال: تَنفس الصبحُ فرحل المتجلي عن سمائه، إلى حضرة استوائه فعاين اختراق الأفلاك، وقيام الأملاك، واهتزاز الملأ الأعلى، وما

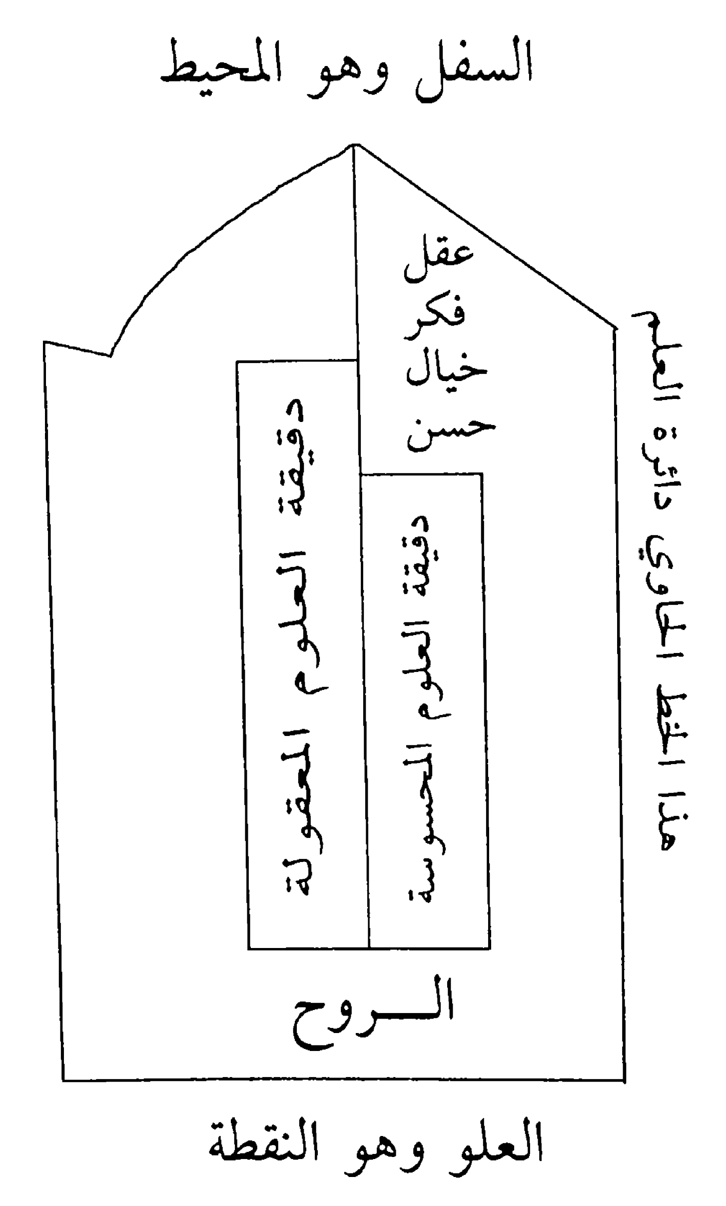
---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) تهجّد: استيقظ في أثناء الليل للصلاة وغيرها.

حصَّلت من الحسن والوضاءة المراتب العلى والحجَّابُ بين يديه مصطفون، والروحانيات عليه ملتفون، وحجابه سبعةُ أعلام، لهم قضايا في العالم وأحكام، يقدمهم الغفار، ثم الراحم، ثم الهادي، ثم الرزاق، ثم الجابر، ثم المعافِي، ثم العفوُّ، والله من ورائهم محيط.

فيا إمام عالم التخطيط، انظر في تصرفهم وقتًا في روحانيتك ثم في جسمانيتك [إذا أرادوا إمضاء العمل الأكمل، ووقتًا في جسمانيتك][1] ثم في روحانيتك إذا أرادوا تحصيل العلم الأنزل، وهذا مثاله



(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

فهم يمشون بين يديه فوقع منهم التفات إلى عالم الكائنات، فقال لهم إلى مَن تلتفتون؟ وإلى مَن تنظرون؟ فيقولون طائفةٌ من عبادك، رفعوا رؤوسهم من سجودهم إليك وسألونا أن نهبهم ما هو خلقه موقوف عليك. فيقول: ادفعوا لهم ما سألوه مما جعلتكم خزنة عليه، ومحبوسين لديه، فإن به يظهر سلطانكم، ويعلو شأنكم، وقد وكلتكم، وجميع الخزنة على حفظ العالم، وكلاءته، وصونه وحمايته، والأمر فيه لمن سبق منكم، إن الوقت للسابق، ويتأخر اللاحق، ثم نظر بنفسه إلى السائلين، وتطلع إلى الداعين الراغبين، فعند ما أبصرته الأرواح المسجونة في أقفاصها، والواقفة في مناصها، بادرت إلى السجود الثاني لتجليه، ومرَّغت وجهها في التراب لتدليه، وأثبت بهذا السجود الثاني ما حصل له من الحقائق، حين كان في نقيض هذه الحالة من السبع المثاني، فأرسل عليهم خزنة الأسماء، فأخذوا بنواصيهم[1] من السماء، وأجلسوهم في بساط حضرة مضاهاة الاستواء، فهذا بعض ما في الرفع من السجود من الأسرار، وما يتجلى فيها من الأنوار.

جعلنا الله وإياكم ممن عرف الحِجَاب والحجَّاب، ولازم الباب لتحصيل لباب الألباب. آمين.

٢٩ ـ في معرفة أسرار الجلوس[2] في الصلاة:

جَلَسْنَا في الصلاةِ عسى نَراكُم	على العرشِ المحاطِ بالاسْتِواءِ
فخَاطَبَني جَلالُكَ يَا عُبَيْدِي	أنا في الأرضِ عندكَ والسَّماءِ
فما لَكَ طالبٌ عرشًا محيطًا	بَسِيطًا في ذُرَا أَوْجِ العَلاءِ
وقلبُكَ قَدْ نزلْتُ بِغَيرِ حَدٍّ	إليهِ عندَ خاتِمةِ السَّواءِ
فنعتكَ بي إذا ما كنتَ عِنْدي	صَحيحٌ في الفَنَاءِ وفي البَقَاءِ

نزل الروح على القلب، وقال: أيها المضاهي والمباهَي به [والمباهي][3] هذا العرش قد استوى برحمانه، وظهر المستوى عليه بإنسانه، وثبت الملك واستقر، ودام الانفعال واستمر، وما بقي حجاب على درك هذه الحقائق، وتحصيل هذه

(١) النواصي: (ج) الناصية: ما يبرز من الشعر في مقدم الرأس يكون حذاء الجبهة.
(٢) انظر الفتوحات المكية ١١٣/٢.
(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

الرقائق؛ إلا حجاب واحد؛ وهو مزج هذا العالم المحسوس المشاهد، فإذا وقع الانفصال، وزال الاتصال، وجلبت صور البرازخ، وبان المقام الشامخ للعالم الراسخ، حينئذ تجلت الحقائق، وعوينت كيفية امتداد الرقائق، بالخلائق من الخلائق وأدركت ما غاب عنك من الأسرار، في اعتمادك على اليسار، وبان لك عموم نشأتك، لتنوع هيئتك.

جعلنا الله وإياكم ممن استوى به سريره، وأشرقت بالرؤية الإلـٰهية أساريره.

٣٠ - في معرفة أسرار التشهد في الصلاة[١]، إن شاء الله:

إنْ السعادةَ سرٌّ في التحياتِ ... الكائناتِ اللواتِي في المنَاجَاةِ

ثم الصلاةُ على المبعُوثِ مُرشِدنا ... ثم السلامُ علينا بالكناياتِ

ثم السَّلامُ على الساداتِ أجمعهِم ... الكائِنينَ هنا أوْ في السمٰوٰاتِ

ثم الشهادةُ بالتوحيدِ مُطلقةٌ ... فرض علينا جميعًا والرِّسالاتِ

فانظرْ سرائرَها تأتي على قدَرِ ... على القلوب بألطافِ الإشاراتِ

نزل الروح [على القلب][٢] وقال: أنت قد دخلت حضرة الاستواء وتعاليت عن حكم الأرض والسماء، فحي من ضاهيت، وسلم على من تولاك حين توليت، وزك وبارك، وطيب وأوجز في الخطاب، وقرب تلح لك أنفاس الأنوار، وتزكو أفعالك قبل إلقائها عصا التسيار، وتظهر البركة، في عموم الحركة، وسلم على من أرشدك، وبه من أنت بين يديه أسعدك، مقرًا بإثباته بحرف ندائه، ثم سلم تحية من عند الله مباركة طيبة على نفسك، وعلى أبناء جنسك، فإن السلام هنا مولاك، وحضرة السلام مجلاك، وأقر بوحدانية الأحد، وانف الشريك [والولد][٢]، ولا بد لك أن تغيب هناك، فإن في غيبتك تحصيل مناك، واشهد للمبعوث بالخلة والمحبة، فهي أعلى درجات القربة وأثبت له الرسالة العامة، الظاهرة لسيادته يوم الطامة[٣]، وأضفه إلى الله لا إلى غيره، فإن في ذلك جوامع خيره، فإذا تجلى القاضي والمفتي، على منبره ذي الخمس الدرجات فناده، يا عائذ أعذني، من هذا المفتي، مما يقابل هذه الدرجات من الدركات، فإن تجلى

(١) انظر الفتوحات المكية ٢/ ٩٥.
(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٣) الطّامة: القيامة.

لك [من][1] في المنبر ذي السبع الدرجات، فردد الاستعاذة من المآثم والديون، فإن رأنها[2] أقبح ما يطلع على القلب من الريون.

جعلنا الله وإياكم مما نجا من جحيم دركاته، حين لجأ إلى نعيم درجاته آمين.

٣١ ـ في معرفة أسرار السلام:

سلامٌ عليكم أهلَ بيتي ومسْكني ... فقد جئتكُم بالخير من عند مُسْكني

سلامٌ على اسم قد دعاني لحكمهِ ... لسلطانه فارتَاحَ سرُّ مُمكني

سلامُ اتِّصال وانْفِصال بِمشْهَدٍ ... وعن مَشْهَدٍ أفنَاهُ عني تَمكُني

سلامٌ عليه ثمَّ منهُ سلامُهُ ... به لا بِنَفْسِي لو عرفْتُ تَلكني

سلامٌ على ما لاحَ من حَركاتِنَا ... علينَا فهل يومٌ يرَانِي مُسكني

نزل الروح وقال إذا أردت ـ أيها المصلي ـ أن يقبل كلامك، ويتلقى بالترحيب سلامك، فلا تدخل مصلاك، حتى تعرف من تولاك، وتتفرغ عن أهلك ودكانك، وعمادك وسلطانك، فإذا فرغت من الأكوان، فانصب ذاتك لمشاهدة الرحمٰن، وإلى ربك فارغب في الدوام، إن أردت أن تفوز بلذة السلام، واعلم أن المسلم من صلاته رجلان، لهما طريقان فإن كانا في شخص واحد فقد جمعت له الحقيقتان، فالعالي من سلَّم لكونه انفصل من أمر ما، إلى أمر ما، إلى اسم ما، عن اسم آخر، فيكون سلام توديع وإقبال، إما من جليل إلى جلال، أو من جميل إلى جمال، والدون من سلم على الرحمٰن، وعلى الأكوان، فسلامه على الرحمٰن لانفصاله، وسلامه على الأكوان لرجوعه إليهم واتصاله، ولهذا لا يسلم المصلي على يساره، إلا إذا جاوزه مثله، فيظهر فيه ظله، ومن خرج عن هاتين الحقيقتين لم يصح سلامه، ولا قبل كلامه، فإنه لم يكن عند الحق فينفصل عنه بسلام، ولم يغيَّب عن الأكوان فيسلم عليه عند الإلمام، وهذه صلاة العوام بريئة من الكمال التمام، ليس لها انتظام ولا التمام.

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) الرّان: الغطاء والحجاب الكثيف، أو الدنس أو ما غطّى على القلب وركبه من القسوة للذنب بعد الذنب.

جعلنا الله وإياكم ممن سلم على اسم من اسم، وتحكم في حكم من حكم. أمين.

٣٢ ـ في معرفة أسباب السهو والسجود له:

ولـمَّـا سـهـوْنَـا عـنْ مُـنَـاجـاةِ رَبِّـنَـا	وثـارَ عَـلـيْـنـا ثَـائِـرُ الـغَـفَـلاتِ
تَـثَـلَّـم عـرشُ الـقـربِ مـنـا فـبـادَرَتْ	مـحـاجِـرُنَـا تَـنْـصـبُ بـالـعَـبـراتِ[1]
فـشـرّعَ مـولانـا الـسـجـودَ لِـسـهْـوِنَـا	فَحارَ اللعِين الرجْس بالحسرات[2]
وكـانَ لـذَاكَ الـكَـسْـرِ بـالـفِـعْـل جابرًا	إلَـٰـهِـي وأَخْـفَـاهُ عَـنِ الْـخَـطَـراتِ
فعادَ صحيحًا مُحْكَمَ الفِعل قائِمًا	قـويَّ الـمـبـانـي دائـمَ الـلـحـظـاتِ

نزل الروح الأمين على القلب، وقال: إذا التفت المصلي في نفس صلاته، إلى غير من يناجيه ببعض حركاته، فقد ظهر زهوه، وثبت سهوه، فنظر إليه من ناجاه، فناداه: لم زلت عني، أتنظر إلى من هو خير مني، فيحن القلب، في عالم الغيب، وإن لم يشعر به المصلي، إلى ذلك الخطاب من ذلك التجلي؛ فيسجد له إجلالاً وتعظيمًا، فيلقى رؤوفًا رحيمًا؛ فيجبر له التفاته، فتكمل صلاته، فيسمى هذا السجود إرغامًا للشيطان، ومرضاة للرحمٰن، ولهذا لم يجبر سهو الصلاة بغير السجود، لأنه يحزن المطرود، فافهم هذه اشارة فإنها بنية المتحد، عزية المشهد، وكل يسهو على قدره، فمصل على شمسه، ومصل على بدره، وتكفيك هذه المنحة الأفقية، المصلحة لهذه النية

جعلنا الله وإياكم من لم نره، فلم يسه ولم يبعد، فلم يسجد. آمين.

---

(١) ثلم الشيء انكسر حده. وصارت فيه ثلمة. المحاجر (ج) المَحْجِرُ في العين: ما أحاط بها.

(٢) الرجس: القذر أو الحرام.

الباب السادس
الاختصاصات والانفعالات

١ - في اختصاص الإمام بيوم الأحد وما يظهر فيه من الانفعالات:

سلامٌ على اليومِ السعيدِ المعَظَّمِ ... وسلطانِ أَيَّامِ الوُجُودِ المنَظَّمِ
[تصدَّى لهُ قَلبُ الوجودِ من أفقِهِ ... فعلَّمهُ من كلِّ سرٍّ مُكتَّمِ][1]
هو الأحدُ المختارُ أولُ مُوجِدٍ ... بِه البِنْيَةُ العلياءُ دُونَ التَّهَدُّمِ
تَسمَّى بوصفِ الله من دونِ غيرِه ... من أمثالِه فاختَصَّهُ بالتَّقَدُّمِ
بهِ سرتِ الأَرْوَاحُ في كلِّ مسلَكٍ ... فيُدعَى لها قطبُ النَّدي والتَّكَرُّمِ
تصدى له قلب الوجودِ من أفقِهِ ... فعلَّمه من كل سر مكتم
فأحيا به الأرواحَ في ملكُوتِها ... وأحْيا به أَهْلَ اللَّظا والتجشُّمِ[2]
وناطتْ بها الأرواحُ منهُ فلا يرَى ... بمشهدِه أهلُ الأسَى والتَّندُّمِ

خرجت أبقاكم الله ووقاكم، من روحانية اسم كريم من الأسماء، إلى اسم آخر ليصعد بي إلى السماء، فعندما تحررت عن هذه السُّدفة[3] الترابية، لاحت لنا أعلام المشاهدة الغيبية، فركبنا الجادة، وسألنا المادة، واستعذنا من وعثاء السفر[4]، وكآبة المنقلب[5]، وروعة الحذر، فقطعناها علمًا علمًا، واتخذناها لمعراجنا سلمًا، حتى وصلنا السماء المتوسطة، والحضرة العادلة المقسطة، سما

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٢) اللظى: (مؤ) لهب النار الشديد الخالص الذي لا دُخان فيه. تجشّم الأمر: تكلّفه على مشقة، وفعله على كره.
(٣) السُّدفة: الظلمة (ج) سدف.
(٤) الوعثاء: المشقة والتعب. ووعثاء السفر شدته ومشقته.
(٥) المنقلب: المصير والمرجع.

النبي آي العلا والمهاة، وهما أسنى الآباء والأمهات، في إيجاد الحياة، فلما وصلنا هذه السماء المطلوبة، واستأذن لنا صاحب الحكمة المحبوبة، فأذن السيد فدخلنا، وقام لقدومنا وقعدنا، وقال: من أين جاء هذا الركب المحفوظ، المصان الملحوظ؟ فقلنا: من بلد الجسد الغريب، فقال. مرحبًا بالزائرين من بلد الحبيب، ما أحسنها من مدينة حصينة، قامت أركانها على التربيع، وجعل سلطانها من العالم البديع، وهذا العالم على جنسين: رفيع ونازل، وهذا السلطان من الجنس الرفيع، وقامت بها الصفات الإلٰهية، فدعيت بالحي [العالم][1] المريد القادر المتكلم البصير السميع، فأحكمت بتسع قوى مرضعة غاذية، ونامية، ومصورة، وناطقة، وعاقلة، وحافظة، ومفكرة، ومخيلة، ومحسة، فجاءت حسنة الترصيع، وأتقنت بقوة تجذب المنافع وقوة تمسكها، وقوة تهضم ما حصل في المعدة، خوفًا من المضار [وقوة تدفعها، وشرح ترتيب هذه المدينة يطول، لكثرة ما فيها][1] من الفصول، لكنها جمعت حقائق المحدثات، وبعض الحقائق الإلٰهيات؛ ما خلق الله خلقًا أشرف منها، ولا أُحدِثَ حكمٌ عن أحد مثل ما أحدث عنها، أوتيت جوامع الكلم، وأودعت فنون الحكم؛ يا طول شوقي إليها، ويا حسرتي عليها [ما أشتهي قيام الساعة إلا لردي إليها ونزولي عليها][1] وهي مدينة لا يعرف قدرها، إلا من عرف سر القدر، ولهذا جهلتها أرباب الفكر، هي بوطيقي الحكمة وموسيقى النغمة، وبرزخ النور والظلمة، لا زالت آفاقها سافرة، وأطباقها دائرة، فخدم الجلساء والحجّاب، وسجدوا لظل الحجاب، ثم رفعوا وأصاخوا[2] وأقنعوا وأعاد الكلام السيد الإمام، والنسَّابَةُ العلام، وقال: عرفتم أن هذا المحل الأسنى، لا يجوز عليه التكليف، ولا يتحكم عليه لطيف ولا كثيف، أين المفصحُ عنا ببعض ما نحن عليه، والمترجم عنا ببعض ما قررناه لديه، فَرُفع لنا بيتٌ من الذهب الأحمر، قد فُتِق[3] بالمسك [وجمر][1] بالعنبر[4]، ونصب فيه منبر من الياقوت[5] الأحمر، وخرج الترجمان وعلى رأسه تاجٌ من اللؤلؤ

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. (٢) أصاخ له وإليه: أصغىٰ واستمع.

(٣) فتق المسك: خلط به ما يذكيه، ومنه المسك الفتيق.

(٤) العنبر من الطِّيب.

(٥) الياقوت: حجر من الأحجار الكريمة، صلب ثقيل شفاف مشرب بالحمرة أو الزرقة أو الصفرة. الواحدة أو القطعة منه ياقوتة (ج) يواقيت.

والجوهر[1]، وقد حفت به أقاويل الملأ الأعلى، وروحانية السمٰوات العلى، وما بقي روح إلا حضر، ولا ملكٌ محجَّب إلا ظهر، وسطع الشعاع، وعمر القاع، [والبقاع][2] وسرت الضياءات، وأشرقت الأنوار وازدانت[3] السمٰوات، وظهر سلطان الاستواءات، وتعالى العلاء، وقام البناء، وخلص الولاء، وتمكن الصفاء، وعظم الإشراق، وتلألأت الآفاق، وتبحرت الجداول وأخذت مراتبها الأقاول، وصعد الخطيب المصقع[4] منبره، وحمى أثرُه، وإذا به معتدل النشأة حسن الهيئة، وضاح الجبين أشم العرنين[5]، سبط البنان[6]، ذرب[7] اللسان من أهل أرين، وداره بعليين في أحسن تقويم، يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، مستدير الوجه الأغر، كأنما فقيء حبّ الرمان في خده فأحمر، فسلم ولم يشر ببنانه، وضرب بلسانه أرنبة[8] أنفه، وأداره في شدقة[9] ثم شرع في بيانه [فقال][2] الحمد لله الذي كان ولا شيء معه، وهو على ما عليه كان، ثم أبدع العالم واخترعه ولم يرجع إليه أثر من خلقه الكيان، أوجد ما علم من ذاته لا من شيء، وأخرجها من غير شيء كانت فيه ولا خبء[10]، وكان موصوفًا بالوجود قبل كل موجود، ولا قبل إلا من حيث العبارة، ولا كان إلا من حيث الإشارة، والمنهج القويم، في معرفة ارتباط المحدث بالقديم، فليس بينهما بينية ولا قبلية، إذ القبل مخلوق إضافي، وامتداد زماني، الحياة، فسرت منه في زوايا وجود الكون، وتخللت مسالك كل عين، وقام ميزان العدل، في قبة الفضل، وزالت البغضاء وارتفعت الشحناء[11] وظهر سلطانه في القلوب، باختصاصات الغيوب، لا زال مجده سنيًا، ومكانه عليًا، ثم نزلت فقلت: يا أبا العلا لم اختصصت بالقلب؟ فقال: لكونه

---

(١) اللؤلؤ: الدُّرُّ، وهو يتكون في الأصداف في بعض البحار، ويغوص الصيادرون عليه في مغاوص معلومة. يكثر استخراجه في بلدان الخليج العربي وغيرها. الجوهر: كل حجر يستخرج منه شيء يُنتفع به أو الحجر النفيس الذي تُتخذ منه الفصوص ونحوها.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. (٣) ازدان: حَسُنَ وجَمُل وتحلىٰ وتزخرف.

(٤) المصقع: البليغ يتفنن في مذاهب القول أو من لا يُرتج عليه في كلامه ولا يتتعتع.

(٥) العرنين: الأنف كله أو ما صلب من عظمه حيث يكون الشمم (ج) عرانين.

(٦) سبط اليدين أو الكف؛ أي: كريم. البنان: الأصابع وأطرافها.

(٧) ذرب لسانه: صار شتامًا بذيئًا فهو ذَرِبٌ. (٨) أرنبة الأنف: طرفه.

(٩) الشدق: جانب الفم من باطن الخد (ج) أشداق.

(١٠) الخبء: المخبوء أو المدخر. (١١) الشحناء: الحقد والعداوة والبغضاء.

الحضرة التي وسعت جلال الربّ الموضوعة على صورة القلب، قلت فلم اختص القوي [بها][1] سر المهاة[2]، فقال: لكونه معدن الحياة؛ وسيبدو لك في روحانية كل سماء، ما يقابله منك من القوى والأعضاء، فقلت له: أريد أن توقفني مشاهدة عين، على تأثيراتك في قلوب العارفين، والعلماء، والمريدين، من عالم الكون، وما تعطيه أفلاكك، وما تهبه أملاكك، فأشار إلى بعض جلسائه، وأكرم خدمائه، وقال: اخترق به الدور المربع، وأشرف به على الكون المسبع، فإذا حصل مفاتيح الخزائن، وموازين المعارف، رده إليّ، وأحضره بين يدي، فاخترق بي تسعين فلكًا، فرأيت مع كل فلك ملكًا، يرجع أمر هؤلاء الأملاك إلى ثلاثة أملاك: الملك الواحد [موكل][1] بالتحليل، والملك الآخر موكل بالموت، والملك الآخر موكل بالأنفاس، ومدة تدبيرهم في العالم، ثلاثة وثلاثون ألف سنة، وتدبيراتهم شريفة حسنة، بين أيديهم سبعة أملاك على صورة المردان، كأنهم قضبان خيزران[3]، لهم انثناء وانعطاف، وبركات وألطاف لا نبات بعوارضهم، ولا تأخر عندهم في أداء فرائضهم، ولو حققتم مراتب الموجودات، لاستحال عندكم وجود الأزمان والتقدم بالمكان، وقضيتم فيها الإحالة بعد الإمكان، فمن ثبت قدمه، واستحال عليه إطلاق صيغ الأزمان، والإشارة بصيغ المكان، إلا من طريق المجاز، على الجواز، لما في عالم العبارة من العجز والقصور، في ذلك المقام من العلو والإعزاز، فتطلقها عليه العقول المعقولة بأفكارها، لتجوز منها إلى إدراك المعاني المقدسية [الموصولة في فطرها][1] المؤسسة، ولولا الإمداد لهذه العقول المتعطشة لمعرفة باريها الحائرة، لما احتجنا إلى استعمال هذه العبارات القاصرة، وله الصفات العلى، والأسماء الحسنى، والنبأ الأسنى، وحجاب العزة الأحمى [تجلى][1] اسمه الحي فحييت الموجودات، والقيوم[4] فقامت به الأرض والسمٰوات، ومن فيهن من عوالم البقاء والاستحالات، فعنت لحياته الوجوه، وسجدت لقيومته الجباه، وأقنعت لعظمته الرؤوس، وتحركت بذكره الشفاه، وحبا سيدنا هذا بفنون المعارف والأسرار، ومنحه جزيل المعارف في مطالع الأنوار، فأداره مع الأفلاك، وأسرى به

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. (٢) المهاة: الشمس.
(٣) الخيزران: كل عود لين أو شجر من الفصيلة النجيلية لين القضبان أملس العيدان. (ج) خيازر.
(٤) القيوم: من أسمائه تعالى.

مع الأملاك، فوقف على الآثار الفلكية، وتحقق بأسرار اللطائف الملكية، وخاطب كل روحانية بلغتها فعرَّفته بمكان حكمتها، فلما حل في أوج العلا، نزل في خط الاستوا خوفًا أن ينحرف إلى أحد الميلين فتذهب بعض معارفه، وتستحيل إلى الكثافة بعض لطائفه، وعلم ما يكون في طمو البحور، فأودع الحكم في الصخور، ثم عاد إلى مرقاه[1] الأوسط، وحل منه في الوسط، وهو مقامكم الذي أنتم به قاطنون، وعنه عند انقضاء كلامنا راحلون، ثم لما وصل محفوظ الجوانب، ملحوظ المآرب[2]، نكح المهاة، وأمرها أعراضهم طيبة الروائح، بأيديهم الطوالع والمفاتح، قد شمروا أذيالهم، وقصروا أردانهم، وثبتوا مكانهم، علامون بما يراد منهم، محكمون لما يصدر عنهم، منهم خمسة لهم حركة واحدة، واثنان لهما حركتان، واثنان منهم بين يدي ملك التحليل، واثنان بين يدي ملك الأنفاس، وواحد منهم بين يدي ملك الموت، ما عندهم علم بغير ما هو سلطانهم عليه.

وأما الاثنان فالواحد منهم له علم التحليل والموت، والثاني له علم الأنفاس والموت [فلملك الموت][3] تصريفهما معًا، ولملك التحليل تصريف الواحد منهما، ولملك الأنفاس تصريف الآخر، وهم على درجات معتدلة متساوية في العدد والقوة، وأحكام الفعل، غير أن الاثنين أعلم من الخمسة لتحصيلهم العالمين.

فلما عاينت هذه المراتب، وسلكت هذه المذاهب، أشرف بي على الكون المسبع، وهو العرش الأكمل المعظم المكرم الأرفع، فعاينت ما أحدث الله في قلوب العٰباد وعلى مراتبهم في حركات تلك الأفلاك، وتوجيهات أولئك الأملاك، وذلك أن الله تعالى عند الحركات الفلكية، والتوجهات الملكية، يجمع بين الأنوار والأسرار، في موقف السواء على دقيقة، من الحقيقة. في العالم المعقول والمحسوس، ويسوي بين حقائق النفوس، ويظهر معارف التأسيس، ويكسو الأرواح أنفاس النور، ويذهب كل باطل وزور، ويحل على العلماء بالله وبالأحكام المسائل المعقدة، في العلوم المقيدة، وغير المقيدة، ويوضح المبهمات، ويشرح

(١) المرقاة: الدرجة أو وسيلة الرقي أو آلته أو موضعه أو ما يرقىٰ به أو فيه.
(٢) المآرب: (ج) المأرب: الأرب والبغية. (٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

المشكلات، ويفتح معالم الصنائع في قلوب الصناع، ويحسن مواقع النغمات في الأسماع، وتسيل أودية المعارف في قلوب المعارفين في قلوب العارفين، وتتفجر عيون العلوم في نفوس العالمين، وتعظم أسرار الأسرار والحكم، في قلوب الحكماء المحققين، وتترادف التنزلات الغيبيات، وترتفع الأسرار الرحموتيات، إلى أعلى فروع سدرة الانتهاءات وتتفتح على الشيوخ المربين علوم العلل والأودية، ومعرفة اعتدالات الأهوية النفسانية المردية، وغير المردية، وتبدو لأهل المجاهدات تنتجه المجاهدات، وتعطي ما فيها بالقوة من الكائنات المستحسنات، فطائفة منهم تتنعم بالمشاهدات الذوقية، وطائفة منهم تتنعم بمشاهدات الأنفاس والروائح العطرية، وفي الحضرة تجتمع هذه المقامات، وعليه تبدو هذه البركات، وفي هذه التوجهات والحركات، تنفخ أرواح المعاني في قلوب أهل البدايات، وترضع أطفال المريدين ثدي أوائل التجليات، وينتشر عالم الصعود، وتقلب أحوال البقاء، وتتشوف همم العارفين إلى الوصال، ويتسابق العباد بالأعمال، والمريدون بالأحوال، ويفنى ما يضاد البقاء، ويموت ما يقابل الحياة، ويمحى ما يناقض الإثبات، فهذا ذكر ما عاينت في الكون من تأثير النمط الأول من هذا الدور

[ثم ردني إلى النمط الثاني من هذا الدور][1] فقطع بي تسعين فلكًا، أبصرت أيضًا من كل فلك ملكًا، يرجع أمرهم إلى ثلاثة أملاك: [الملك][1] الواحد موكل بالحياة، [والملك][1] الآخر موكل بالتركيب والملك الآخر موكل بالفناء. ومدة تدبيرهم في العالم أربع وعشرون ألف سنة، بين أيديهم سبعة أملاك مقتبلو الشباب، كأنهم أبناء خمس وعشرين سنة، معصومون في أعراضهم أقوياء في انتهاضهم، أشداء على التصريف، علماء بحدود التعديل والتحريف، وحالهم مع الثلاثة الأملاك كحال السبعة [الأملاك][1] المتقدمين في الخدمة، وترتيب الحكمة؛ خمسة منهم علماء بفن واحد، واثنان لملك الحياة، وواحد لملك التركيب، واثنان لملك الفناء، والاثنان الباقيان. الواحد عالم بالحياة والتركيب، والآخر عالم بالتركيب والفناء، فلما عاينت منحاهم وتحققت مغزاهم أشرف بي على الكون

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

المحبوب، لأرى تأثيراتهم في القلوب بأنواع الغيوب، وذلك أن الله تعالى عند [خلق][1] هذه الحركات الفلكية، والتوجهات الملكية، يظهر عالم الأسرار، على عالم الأنوار، ويكون العلم في المغرب أكثر منه في المشرق، ويقر العارفُ الرباني، بالسبق الإلـٰهي المحقق، ويتقوى سلطان الاصطلام[2] على أهل الأحوال والكرامات، ويتمكن العلم النوري في قلوب أهل المقامات، وطلبت الأسرار عالمها [وسلطنت عاملها، واتحدت شوكتهم، واحتدت ببركتهم، وقامت بمملكتهم، واستحكم سلطان الشهوات على عالم النفوس][1] وبانت حقائق الحس والمحسوس، وظهر الضعف في العقول. وانقطعت موارد المعقولات، واستمرت مواد المنقولات، واحترقت النفوس شوقًا إلى التجليات، واستحكم سلطان الحب في نفوس المحبين حين ظهرت لهم اتصالات النهايات، ورفعت لهم أعلام الغايات، وتعمرت بحار المحسوسات، بفنون الانفعالات، ورضع أطفال المريدين ثدي الملقيات، وتجلت العظمة المعظمة لأسرار الأولياء، وتمكنت النشأة البشرية، بما أعطيت من الأسماء الإلـٰهية، من تسخير الأرواح البرزخية. والأرواح التي أسرارها في أقدامها، والأرواح التي معارفها في جوانبها فهذا [بعض][1] ما عاينت في الكون من تأثير النمط الثاني من هذا الدور، وقطعت كل نمط من هذا الدور بإقامتي فيه خمسة عشر يومًا ونصف يوم وست ساعات، كل يوم منها مقدار ستة أيام ونصف من أيام الدنيا، ثم ردني إلى النمط الثالث من هذا الدور [فجبت][1] تسعين فلكًا، قد وكل الله مع كل فلك ملكًا، يرجع أمرهم إلى ثلاثة أملاك. الملك الواحد موكل بالأنفس والآخر موكل بالأرواح، والثالث موكل بالميزان ومدة تدبيرهم في العالم خمسة عشر ألف سنة، يتصرف بين أيديهم سبعة أملاك كهول، وقد كملت قواهم، وتحكمت عقولهم، وحسن تدبيرهم، وهم في التقسيم على حكم الخدماء المتقدمين في الدرجات والتساوي، فلما اطلعت على سرهم، وكشفت ما خفي على الناس من أمرهم، نزلت إلى الكون لأرى تأثيرهم المودع في ذلك الدور، وذلك أن الله تعالى ساوى في الدقيقة بين عالم الأسرار، وبين عالم الأنوار، وسكن قلق المشتاق، وخمدت نيران الاشتياق، وطرأت على القلوب التغيرات، وقلت المعارف، وتوقفت التنزلات، واحتجبت المقامات المتخيلات

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. (٢) صلم الشيء: قطعه من أصله (استأصله).

وانقطعت موارد علوم العلل والشفا، وذهبت أسرار الأقدام، فكان أصحابها على شفا، ورجع العارفون عالمين بسر الانتقاص، وحكمة المناص، وتوفرت دواعي الإخلاص، وحصل الواقفون في موقف السلب وتجلى الاسم الحفيظ، وسمع في الملأ الأعلى من انضغاطهم كظيظ[1]، وانتقلت المحبة من المحبوب، إلى المحب المطلوب، ووقعت العصمة على الخواطر والقلوب، وانطردت الأبالس والوساوس، ولم يكن لعالم الأرواح قوة التصرف إلا في الخسائس، فظهرت أسرار الأكوان، وما تضمنه الملوان، واستوى الخفيف والثقيل، والبعيد والقريب، فهذا بعض ما عاينت في الكون من هذا النمط الثالث، من هذا الدور، وقطعته في خمسة عشر يومًا ونصف يوم وست ساعات.

كل يوم منها مقدار ستة أيام ونصف يوم، من أيام الدنيا، ثم ردني إلى النمط الرابع من هذا الدور فدرت [مع][2] تسعين فلكًا، قد رتب الله بكل فلك ملكًا، يرجع أمرهم أيضًا إلى ثلاثة أملاك الملك الواحد موكل بالمحو، والملك الآخر بالرجاء[3] والملك الثالث موكل بالعلم ومدة تدبيرهم ستة آلاف سنة - بين أيديهم سبعة أشياخ هرم، لهم قوة الشباب، يتصرفون في كل ما يؤمرون، وحكمهم حكم من تقدم من إخوانهم، من التسخير والانفراد، والاشتراك والمساواة، وغير ذلك.

فلما فككت رموزهم، واستخرجت لغزهم اطلعت على الكون، لأرى ما ظهر من سلطان هذا الدور، في قلوب أهل الغور والحور والعدل والجور؛ وذلك أن الله تعالى عند هذه الحركات العلويات، والتوجهات الأفقيات، أظهر عالم الأنوار، على عالم الأسرار، ووقعت النجوم، وكثرت التنزلات من الحي القيوم، وكورت[4] الشمس، وطمس الحس، وسيرت الجبال، ونسفت[5] الرمال، وعطلت العشار الظاهرة، وحشرت الوحوش المتنافرة، ووقع الطوفان، وزفر البركان، وزوجت النفوس، وتعشق بالمحسوس، ونشرت الصحائف، وتبينت المعارف،

---

(١) كظ الغيظ صدره: ملأه.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) الرجاء: تعلق القلب بمحبوب سيحصل في المستقبل (للتوسع انظر الرسالة القشيرية ص ١٣١ - ١٣٨).

(٤) كورت الشمس جُمع ضوءُها وصار كالكرة أو اضمحلت ووهب ضوءها.

(٥) نسفت الريح التراب: فرقته وذرّته.

وظهرت اللطائف، وأتى بجميع الظَّرائف واتصل حبل التلاق، وكثر بين المحبين اللثم[١] والعناق، وثل[٢] عرش الفراق، ونثرت الكيان نجوم أسرارها، وأطلعت البرازخ لوامع أنوارها، وخلّى البرزخ من سكانه، وتعشق التاجر بدكانه، وضجر أهل السلوك، وتنعم سمراء الملوك، ونبت الريحان[٣]، في النيران، وظهرت يواقيت اللهب في العيان، وعَمرت المعادن كلها بروح التكوين، وجاء الرب في ظل من الغمام، والملائكة في لحف الظلام، وكثرت مناجاة الوعد والوعيد، وتقصفت جوانح المحبين، وذابت أبدان العارفين، وسكنت النفوس بألاَّفها ومألوفاتها، وحنت لعرَّافها ومعروفاتها فهذا بعض ما عاينت في الكون من تأثير هذا النمط [الرابع من هذا الدور وقطعته في قدر المدة التي قطعت فيها النمط][٤] الذي قبله، فلما وقفت على هذه المعارف وحصّلت فنون هذه الأسرار واللطائف، رددت إلى السيد الإمام إدريس صاحب التأسيس، فقال لي إيَّاك والنسيان، فإنه سبب الحرمان، ثم قال لي: اركب جوادك، واشحذ فؤادك، وسر إلى حضرة أبيك، وحافظ على ما يحصل لك في تجليك، واعرف أسرار الإنسان الوحيد، وهنالك يتبين لك الفرق بين المُراد والمُريد.

جعلنا الله وإياكم ممن عرف نفسه، وشاهد شمسه، بمنه، لا رب غيره آمين.

٢ ـ في اختصاص المأموم بيوم الاثنين وما يظهر فيه من سر الانفعالات:

سـلامُ الله يـا أبـتِ الأثـيـرُ ... عليكَ الطيبُ الزَّاكي الخَطيرُ

لك العُلْياءُ والفَلَكُ المُعلَّى ... لك السجين والفلكُ الأسيرُ[٥]

وزيـرُك مثـلُ ذاتِك لا يُجَارَى ... سـريـعُ الـعَـدْوِ كـرَّارٌ يَـدُورُ

لـه المَحْقُ المُعَلَّى إذْ تَعالَى ... وإبْـدَارٌ إذَا يَـدْنُـو كَـبِـيـرُ

لـه الوصْفَانِ والاثْنَين مُلْكًا ... كـمـا لأبِـي ذُكـا والـزَّمـهـريـرُ

---

(١) اللثم: التقبيل.

(٢) ثُلَّ عرشه: هُدم ملكه وذهب عزّه.

(٣) الريحان: كل نبت طيب الرائحة من أنواع المشموم. أو جنس من النبات طيب الرائحة من الفصيلة الشفوية.

(٤) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٥) السجين: وادٍ في جهنم. أو موضع فيه كتاب الفجار.

يُفيضُ على العَوالِمِ ما لَدَيْه ... كريمًا مثلَ رُتْبتنَا يفورُ
فيَنْمُو حينَ يَنمُو كلُّ شَيْءٍ ... ويَبْخَلُ حينَ يَبخَلُ أَوْ يَبُورُ
هو المَحْيا إذَا يَدْنُو إلينَا ... وإذ يَغلو هُو الموتُ المُبِيرُ
تَوَلَّعَ بَالفِراقِ وبالتَّلاقِي ... هُوَ الوثابُ والكابي العَثُورُ
يَقُومُ بِذَاتِه مَحْقَانِ عِلْمًا ... وإبْدَارَانِ مَدرَكُهَا عسيرُ
إذَا يَدْنُو فإبْدَارٌ وَمَحْقٌ ... وإنْ يَغلُو كَذلِك يَا خبيرُ
وَمَا يَنْفَكُّ عَنْ محقٍ محيطٍ ... وإبْدَارٌ وإظْلامٌ ونورُ
مع الأحْيَانِ والأنفَاسِ فيه ... تعَالَى الواحدُ الربُّ القَدِيرُ

ولما دعتنا دواعي الاشتياق، إلى الكشف على ما أودع الله من الأسرار في هذه الطباق، رحلنا نريد حضرة الميثاق، وهي حضرة أب الآباء، وعنصر أجسام الأولياء والأعداء، أول بوطيقي تَكوَّن إكسيرُها[(١)]، فصار فضة بيضاء، قزديرها[(٢)]، الجامعة للقبضتين، والحاكمة للحكمتين، واندفعنا من قلب الأفلاك، وقد حفت بركابنا أقاويلُ الأملاك فما بقيت [حقيقة][(٣)] مررنا بها في طريقنا إلا تجلت بأحسن زيٍّ وقامَتْ وخَدَمَتْ، ولا روحانية إلاَّ سألتُ النزول عليها، واحترمت وأكرمت، فأخبرتهم أن الحاجة الآن في رؤية الوالد، والغرض في مشاهدة الإنسان الواحد، فإذا انقضت المآرب، وتميزت المذاهب، وسالت المذانب، وافترقت العواقب، واتحد الأول بالعاقب، وبانت المطالب، وتحصلت الرغائب، وعقلت تفاصيل المواهب مع الإقرار بوحدانية الواهب، والتحقت بالعدم والوجود الأكاذب، أسرعنا إن شاء الله إليكم الكرة، ونزلنا عليكم عند ابتداء الدورة، فاستعدوا لحلولنا، وتأهبوا لنزولنا.

ثم أخذنا نقطع دروب الدائرات وقلوب الروحانيات، إلى أن نزلنا بفناء الوالد، والإنسان الواحد الموصوف بالناجي والهالك، والمعروف بالباكي

---

(١) الإكسير مادة كان الأقدمون يزعمون أنها تُحوِّل المعدن الرخيص إلى ذهب.

(٢) القزدير ربما المقصود القصدير معدن أبيض فضي اللون، له قابلية للبسط يمكن معها طرْقه إلى أوراق رقيقة جدًا تستخدم لتغليف كثير من المواد الغذائية، وتُطلى به أواني النحاس والحديد لحفظها من الصدأ، كما يُصهر مع الرصاص فيصلح للحم قنوات المياه وغيرها.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

والضاحك، فأرسلت إليه رسول الهمة، ينهى إليه إلمامي بحضرته، في القيام بمسرَّته وأدخلني عليه، وأحضرني بين يديه، فقبلت يمين بساط مقامه، وسجدت تعظيمًا لمعالي أعلامه، وإذا به في بيت من اللجين(١) [من أحسن](٢) ما نظرت إليه عين، قد فَتَح فيه خوختين، الواحدة عن يمينه ينظر منها إلى عليين، والأخرى عن شماله ينظر منها إلى سجين، بواب الخوخة(٣) اليمينية ببغاء(٤) مستندة إلى الباب، وبواب الخوخة الشمالية عُقاب(٥)، وعلى رأس الوالد تاج من الياقوت الأبيض، كأنه البرق إذا أومض، وعليه حلة(٦) دمشقية، وأمامه مجامير(٧) كافورية(٨)، تبرق من أسارير وجهه ظهيرية، في المجامير بخور(٩) المصطكى واللوبان، وبين يديه أطباق الياسمين(١٠) والسوش، والجرجير(١١) والأقحوان(١٢)، فإذا شم الأقحوان تبسم، وإذا استنشق الجرجير اهتم، فلا يزال باكيًا ضاحكًا، مملوكًا مالكًا، والإنسان الواحد [بين يديه](٢) قائم يبث [إليه](٢) ما عنده من معالم العوالم، فقال لي مرحبًا بالابن السعيد، والطالب المستفيد، يا أيها الابن ما الذي أوصلك إلينا، وما السبب الذي أنزلك علينا، فخدمتُ بساطه، واستغنمت انبساطه، وقلت أدام الله أيام الوالد المعظم المقدم، وعدل قسطاسه(١٣)، وأبرم

---

(١) اللُّجين: الفضة.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) الخوخة: باب صغير يكون جُزءًا من باب كبير.

(٤) الببغاء: طائر من الفصيلة الببغاوية. يتميز بمنقار معقوص وأربع أصابع في كل رجل، وله لسان لحمي غليظ وألوان جميلة يُقلّد كلام الإنسان (ج) ببغاوات (مع).

(٥) العُقاب: طائر من كواسر الطير قوي المخالب، حادّ البصر، له منقار قصير أعقف (ج) عقبان.

(٦) الحلة: الثوب الجيد الجديد أو الرداء والبنطال من جنس واحد وهو ما يسمونه (الطقم).

(٧) المجامر (ج) المجمر: أداة يُحرق فيها الجمر مع البخور.

(٨) الكافور: شجر كبير من الفصيلة النارية، ينبت في الهند والصين. تتخذ منه مادة عطرية بلورية الشكل يميل لونها إلى البياض تُستعمل في الطب وهو أصناف كثيرة (ج) كوافير.

(٩) البخور: ما يتبخر به من عود ونحوه، ويعطي رائحة ذكية حين إحراقه.

(١٠) الياسمين: جنس نباتات من الفصيلة الزيتونية والقبيلة الياسمينية. تُزرع لزهرها ويستخرج دهن الياسمين من زهر بعض أنواعها.

(١١) الجرجير: نبات عشبي حولي من الفصيلة الصليبية ينبت بريًا وزراعيًا في المناطق المعتدلة في طعمه حرافة ويؤكل مشهّيًا.

(١٢) الأقحوان: نبات عشبي حولي تزييني من الفصيلة المركبة ينمو بريًا وزراعيًا. وهو من المحاصيل الصناعية والطبية. وأوراق زهر الأقحوان صغيرة يشبهون بها الأسنان.

(١٣) القسطاس: أضبط الموازين وأقومها. أو ميزان العدل.

أمراسه[١]، وحرس أنفاسه، لما عرف العبد أنك صاحب العِلْمين والصورتين، وحامل سر الآيتين، أراد أن يقف عليهما منك مواجهة، وأن يسمعها منك مشافهة، فقال: همة شريفة وداعية سلطانية منيفة، ثم دعا بترجمانه[٢]، وصاحب لسانه، وقال: اصعد على منبر الاستوائية، واذكر بعض ما عندنا، وعند حاجبنا من سرائر [علوم][٣] الكونين والصورتين، فصعد الخطيب وتكلم، وقال بعد أن بسمل وصلى ثم سلم: الحمد لله الذي جمع لآدم [عبده][٣] وخليفته ورسوله بين يديه، وحباه[٤] بصورتيه ومنحه سورتيه، وأودعه سريرتيه، وحصل فيه قبضتيه، هداه نجديه[٥]، وأنجب له سبيليه، وخاطبه بكلمتيه، وأمره على ملأيه، واستخلفه على كونيه، واصطفاه برسالتيه، واختصه بخلافتيه وكرمه بمشاهدتيه، وخصه بجنتيه، ووهبه معرفتيه، وأنزله بين علميه، وأشهده مركزه وقاب قوسيه، وأسكنه في البرزخ بين كتابيه، لإظهار صفتيه، فقام عظيم الشأن، سلطانًا على الأعيان، واستوزر له الزبرقان[٦]، الذي هو نظير الرئة في الأبدان، فيعلو وينمو فيفضل ويدنو، فيبخل ويذبل، فوزيره مثله على صورته وسورته، له وجهان وطريقان وسران وتجليان ومحقان، وإبدران ومحق وإبدار [في كل أوان][٣] عند العالمين [بما][٣] في الصنعة العلوية من الإحكام والترتيب، والاتقان، واعتدال الأوزان، وله محق واحد، وإبدار واحد، عند العامة، فله الضدان وسرعة التأثير في الأكوان، وهو شبيه بالإنسان، من جميع الوجوه القباح والحسان، وله التقابلان، وإليه ينظر الثقلان[٧]، وفيه كسران وبدايتان، وغايتان، ونقصانان، وكمالان، وسران، وأمران، وتأثيران،

---

(١) الأمراس: (ج) المرسة: الحبل (ج) مَرَسٌ.

(٢) الترجمان: الناقل الكلام من لغة إلى أخرى (ج) تراجم، وتراجمة.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٤) حبا فلان صاحبه: أعطاه. أو أعطاه بلا مَنّ ولا جزاء.

(٥) هداه النجدين: أي الطريقين. طريق الخير وطريق الشر لوضوحهما.

(٦) هو الزبرقان بن بدر التميمي السعدي (توفي نحو ٤٥ هـ = نحو ٦٦٥ م) صحابي، من رؤساء قومه. قيل اسمه الحصين ولقب بالزبرقان لحسن وجهه. ولاه رسول الله ﷺ صدقات قومه فثبت إلى زمن عمر وكف بصره في آخر عمره وتوفي في أيام معاوية وكان فصيحًا شاعرًا فيه جفاء الأعراب. الأعلام ٣/٤١، والإصابة ١/٤٥٣، وجمهرة الأنساب ٢٠٨، وخزانة البغدادي ١/٥٣١.

(٧) الثقلان: الإنس والجن.

وحكمان، وله يدان، ورجلان، وعينان، وأذنان، وثديان، وعلوان، وسفلان، ويمينان، وشمالان، وفوقان، وتحتان، وخلفان، وأمامان، ومخاطبتان، وقلبان، ولسانان، [ومغربان، ومشرقان] [ومعدتان][1] وأثران، وعرشان، وكرسيان، وروحانيان، وتبييضان، وتحميران، وتسويدان، وتكليسان، وحياتان وموتان، واعتدالان، وانحرافان وعقدتان، وفيه من كل شيء اثنان، فسبحان من فطره وفطر الخليفة آدم على هذا الاتقان، إنه ولي الامتنان والصلاة على الحقيقة المحمدية، صاحب الإمامة المطلقة، والخلافة المحققة، ما اتصلت الأرواح بالأرواح، والأبدان بالأبدان.

ثم نزل وتكلم الأب فقال: اعلم يا بني شرح الله صدرك، ورفع في ذروة التوحيد قدرك، أنَّ الله تعالى لما كنى على الحقيقتين، وأبان عنهما بالقبضتين، في الموطنين، وأنبأ عنهما في عالم العبارات بالحرفين، وجعلهما على السواء في الفطرتين، والنعيمين، والعذابين، والطاعتين، والمعصيتين، باعتدال الكفتين وجعل الآخرة ذات دارين، لتحيط بالعالمين، وفيها يقع الميز بين الفريقين كما وقع في أوان القبضتين، قبل أخذ الميثاقين، وجعل الدنيا ذات برزخين، فأظهر الكافر في صورة المؤمن، والمؤمن في صورة الكافر، لذي عينين، وجعلهما محل تمحيص وبلوى الطائفتين فوجه إليهم على لسان واحد منهم حكمين، فأمر ونهى، لتميز الكلمتين، فمن وحد حبي بنار وجنتين، ومن أشرك جوزي بجنة ونارين، واعلم يا بني أن الله خلق الإنسان بين ستة أعلام: الفوق، والتحت، واليمين، والشمال والخلف، والأمام، فالفوق والتحت، اختص بهما ربّ العزة من طريق المثل والمثال، والحقيقة والخيال، فالفوق للرؤية والتحت للحجاب، فكانت الجنة ثمانية أبواب للرؤية الإلـٰهية، وكانت النار سبعة أبواب للحجب النفسانية، ولو كان الحجاب [بابًا مغلقًا][1] لفتح يومًا ما، وانقلبت الحقائق، واستوى البصير والأعمى.

وأما بقية الأعلام، اليمين، والشمال، والخلف، والأمام، فهي مرتبة على مراتب الجنة والنار، ومنها يأتي المَلَكُ بالطاعة المحلة دار القرار، وإبليس

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

بالمعصية الموصلة إلى دار البوار، قال الله تعالى ﴿ثم لَآتِيَنَّهُمْ مَنْ بَيَنَ أَيْدِيهِمْ ومِنْ خَلْفِهِمْ وَعَن أَيْمانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧] أخبر بذلك عن إبليس، وفي مقابلته ملك التقديس، وهذه قسمة مدينة الإنسان وهو مخاطب من ثلاث جهات روح ونفس وجثمان، في كل عَلَم من هذه الأعلام الأربعة.

ولهذا كانت مدينةً مربعةً، وللشيطان في كل عَلم سبعةُ مَرَدة، وللملك في كل عَلم سبعةُ وزعَةٌ، ملكان للروح، ومَريدان، ومَلكان للجسم ومَريدان، وملك لَلنفس ومَريد، وملك واحد سادس بين الروح والنفس، ويقابله مَريدٌ عنيد، وملك سابع بين النفس والجسم، ويقابله مَريدٌ عَنيد. وهكذا في كل علم من الأعلام مردةٌ للوسواس، وملائكة للإلهام، فمتى أتى الملك بلمته[1] وهمته، أتى إبليس بلمته وعزمته، ومن ارتقى عن الملك والشيطان، بدت لعينيه إصبعَا الرحمٰن، ولما كانت أعلامُ الإنسان أربعة، والجنة أربعة، والناس أربعة، كانت [ملائكة][2] المنازل في الكثيب والحجاب أربعة، فالمنزل الواحد في الكثيب والحجاب منابر، والمنزل الثاني أسرة، والمنزل الثالث كراسي، والمنزل الرابع مراتب، وقد يدخلها كسر، كما دخلها في الأعمال وفي عدم تتميم الأحوال، قال عليه السلام: «يُقبَلُ منَ الصّلاةِ عُشْرُهَا تُسْعُهَا ثُمْنُها هكذا إلى نِصْفِها فقد جاء بالعدد المكسور، مع كونها حضرة النور، فإذا رأيت في هذه المراتب كسرًا، فهو على هذا الحد، لنقص كان في أداء العهد، ولقد نبه عليه الصلاة والسلام، في قتل جعفر بن أبي طالب[3] وزيد بن حارثة[4]، وعبد الله بن

---

(١) اللَّمّة: الناس المجتمعون. واللُّمَة: الرفقة والأصحاب في السفر (للواحد والجمع).

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) هو جعفر بن أبي طالب (عبد مناف) بن عبد المطلب بن هاشم (توفي ٨ هـ = ٦٢٩ م) صحابي هاشمي من شجعانهم. يقال له «جعفر الطيار» وهو من السابقين إلى الإسلام أسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم ويدعو فيها، وهاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية، فلم يزل هنالك إلى أن هاجر النبي ﷺ إلى المدينة فقدم عليه جعفر وهو بخيبر (سنة ٧ هـ وحضر وقعة مؤتة فنزل عن فرسه وقاتل ثم حمل الراية فقطعت يمناه فحمل الراية باليسرىٰ فقطعت أيضًا، فاحتضن الراية إلى صدره وصبر حتىٰ وقع شهيدًا. الأعلام ٢/ ١٢٥، والإصابة ١/ ٢٣٧، وصفة الصفوة ١/ ٢٠٥، وحلية ١/ ١١٤

(٤) هو زيد بن حارثة بن شراحيل (أو شرحبيل) الكلبي (توفي ٨ هـ = ٦٢٩ م) صحابي، اختطف في الجاهلية صغيرًا واشترته خديجة فوهبته إلى النبي ﷺ حين تزوجها فتبناه النبي وأعتقه وزوجه=

رواحة[1]، [على ما ذكرناه فأخبر أن في سرير عبد الله بن رواحة][2] ازورارًا[3] عن أسرة أصحابه وكذا شهدناه، فإن عبد الله بن رواحة، توقف قليلاً في غزاته عن القتال كما رويناه ولما كان المصطفَوْن ثلاثة الروح والنفس والجسم، في حق الموحدين وكان المبعدون ثلاثة الروح والنفس والجسم، في حق المشركين، فافهم ما قررناه لديك، وأبرزناه إليك.

فالروح خليفة والنفس وزيره، والجسم مبلغ يتشرف به سريره، ولكل واحد من هذه الثلاثة، منبر وسرير وكرسي ومرتبة من شكله، وعلى مثله، وقال عليه الصلاة والسلام، في سر التثليث «لَن تَهلِك أمةٌ أنا أوَّلها، وعيسى آخِرُها، والمهديُّ وَسطُها»[4] فانحفظ الطرفان والوسط، وانضم الملك وارتبط، فأتى بالثلاثة على حكم النشأة، وتقابلِ الهيئة، فارفع رأسك وانظر إلى الصور، الذي هو قَرنٌ من نور، وانظر إلى اتساعه في عليين، وما أعطى الله فيه من الدرجات لأصحاب اليمين، وانظر أيضًا إلى ضيقه في سجين، في أسفلَ سافلين، وما أودع الله فيه من الدركات للمحجوبين، فنظرت فرأيت الأمر على ما قاله، وأن كل إنسان لا بد له من أحد الدارين لا محالة، وهذا صورة ما رأيت [على التقريب][2]

شرح ما في الدائرة من الرمز

فهذا ما قيل لي في حضرة التمثيل وقد تمثل في وقت آخر في صورة أخرى، كما مثلت النار لابن قسي[5] في صورة حية، ومثلت لابنِ بَرَّجان[6] في

بنت عمته، وهو من أقدم الصحابة إسلامًا. وكان النبي ﷺ لا يبعثه في سرية إلا أمرّه عليها، وكان يحبه ويقدمه وجعل له الإمارة في غزوة مؤتة فاستشهد فيها. الأعلام ٣/ ٥٧، والإصابة ١/ ٥٦٣، وصفة الصفوة ١/ ١٤٧، وخزانة البغدادي ١/ ٣٦٣.

(١) هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري (توفي ٨ هـ = ٦٢٩ م) من الخزرج، أبو محمد صحابي، يُعد من الأمراء والشعراء الراجزين. كان يكتب في الجاهلية، وشهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وكان أحد النقباء الاثني عشر، وشهد بدرًا وأحدًا والخندق والحديبية، واستخلفه النبي ﷺ على المدينة في إحدى غزواته، وصحبه في عمرة القضاء. وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة. الأعلام ٤/ ٨٦، وتهذيب التهذيب ٥/ ٢١٢، والإصابة ت ٤٦٦٧، وحلية ١/ ١١٨.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. (٣) ازورارًا: مائلاً.

(٤) أخرجه السيوطي في (الحاوي للفتاوى ٢/ ١٣٤).

(٥) انظر ترجمته في الأعلام ١/ ١١٦. (٦) انظر ترجمته في الأعلام ٤/ ٦.

صورة جاموس[١]، ومثلت لنا في صورة دار له طبقات، علوّا وسفلاً فلنقل في بيان ما مثل في هذه الدائرة:

[إن الدائرة][٢] العليا صورة الكثيب الذي يجتمع الناس [عليه لرؤية الحق وهو في جنة عدن والناس][٢] على أربع مراتب: ربع منه تنصب لهم فيه منابر، وهي الرسل والورثة من الأئمة المهديين وهم فيها بين كامل، وهو جامع المقامات والصفات وأهل جلال، وأهل جمال، وما ثم طبقةٌ رابعةٌ في كل مرتبة، وفي مقابلتهم في النار في منزل الحجاب، منها خاصة وهو منزل فيها، يقابل الكثيب من الجنة وهي للأئمة المضلين الذين شرعوا ما لم يأذن به الله، وقالوا لأتباعهم هذا من عند الله، وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون

والمرتبة الثانية تنصب لهم أسرة. وهم الأنبياء الذين هم على شرعٍ من ربهم في أنفسهم، بما أرسلوا، وما جرى مجراهم ممن له إخبار إلـٰهي من نبي ما هو على شرعة خاصة، وحالهم كحال الرسل أعني ثلاثة أقسام: كامل، وذو جلال، وذو جمال. وفي مقابلته من النار الدجاجلة، وأصحاب الخيالات الفاسدة، الذين ضلوا في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا

والمرتبة الثالثة أصحاب الكرسي، وهي للأولياء الصالحين، الذين تولاهم الله، فالله وليهم وهم أولياؤه، وهم فيها على ثلاثة أقسام [كامل][٢] وذو جلال وذو جمال، ويقابلهم في النار أهل الكراسي وهم أولياء الشيطان، ووليهم الطاغوت[٣]

والمرتبة الرابعة أهل مراتب، وهم المؤمنون بالله وما جاء من عند الله، وهم أيضا على ثلاثة أقسام كامل وذو جلال، وذو جمال. ويقابلهم في النار أهل مراتب، وهم المؤمنون بالباطل قال الله تعالى ﴿والَّذِينَ آمَنُوا بالْبَاطِلَ وَكَفَرُوا بِالله

(١) الجاموس حيوان أهلي من جنس البقر والفصيلة البقرية ورتبة مزدوجات الأصابع المجترة يُربىٰ للحرث ودر اللبن واحدته جاموسة (ج) جواميس. والجاموس قد تكون الكلمة معربة من (كاو) بمعنىٰ البقرة و(ميش) علامة المذكر بالسنسكريتية.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) الطاغوت الطاغي المعتدي أو كثير الطغيان أو هو الشيطان أو كل ما عُبد من دون الله من الجن والإنس والأصنام (ج) طواغيت.

أولئكَ همُ الخاسِرُون﴾ [العنكبوت: ٥٢] وإنما سميناهم محجوبين عما يراه أهل السعادة من الله، وأما هؤلاء فيرون ما اعتقدوا، وهم المتولي تعذيبهم فيودون أنهم لم يروه، لما يعيبهم منه، وأما الشجرة فلها فروع لأهل الجنان عالية، ولها فروع لأهل النار مستقلة، هي التي تسمى [في الشجرة عروق وأصول، ففروعها العالية لأهل الجنان تسمى السِّدرة، وعروقها في أصل النار تسمى شجرة الزقوم[١]، فيها المرارة في الطعم، على قدر ما في ثمرها من الحلاوة في الطعم، لأهل السعادة][٢] ويقوم في كل مرتبة خطيب من أفضلهم، وهو الكامل من هؤلاءِ [ومن هؤلاء][٢] فيخطب بهم ويذكرهم بما يذكره في الخطب بعد هذا [يقام][٢] خطيب في السعداء، وخطيب في الأشقياء، ويجتمعون حوله فإذا فرغ الخطيب السعيد من خطبته، شكرهم وشكروه، ودعا لهم ودعوا له، فإذا فرغ خطيب الأشقياء، من خطبته، لعنهم ولعنوه، ودعا عليهم ودعوا عليه فيكفر بعضهم ببعض، ويلعن بعضهم بعضا، ومأواهم النار، وما لهم من ناصرين. وذلك في الوقت الذي يكون فيه السعداء [في الجنة][٢] بهذه الحالة، يكون الأشقياءِ في جهنم بهذه الحالة ومنزلهم جهنم خاصة فإن غاية القرب الكثيب، وغاية البعد جهنم.

واعلم أنَّ السعداءِ في كل مرتبة درجات، وللأشقياء دركات؛ فلأهل المنابر إحدى وعشرون ومائتان وثلاث آلاف ولأهل الأسرة تسع وتسعون وثلاث آلاف ولأهل الكراسي ثمان وسبعمائة وألفان، ولأهل المراتب سبع وأربعون ومائة وأربع آلاف.

واعلم أنه إذا تميز فريق في الجنة، دار الثواب والنعمة، وفريق في السعير[٣] دار العذاب والنقمة، أذن الرحمٰن لأئمة السعداءِ أن يقوموا خطباء. في أتباعهم [وأذن الجبار لأئمة الشقاء أن يقوموا خطباء في أتباعهم][٢]

خطيب السعداء: صعد الخطيب الناطق المنبر، وقام بين يديه خدماؤه الكرام البررة، وقال: الحمد لله من غير تقييد بنعت، كما قيده سادات أهل الوقت[٤]،

---

(١) الزقوم: شجرة بجهنم أو طعام أهل النار. (٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٣) السِّعير: النار ولهبها (ج) سُعُر.
(٤) انظر الرسالة القشيرية ص ٥٥ ـ ٥٦ (الوقت).

المقدس الحميد، ذي العرش المجيد، الذي تردى برداء الكبرياء والعز، وأودع معرفته في القصور والعجز، جاعل الملائكة رسلاً، ومعرف العقول إليه سبُلاً، نصب المنابر وأقعد عليها إرساله، وأشهدهم جماله وجلاله، وأنطقهم بأوضح ما تكلم به أو قاله، تعالى في ذاته عن إدراك المدركين، وتسامى في قدسه، أن تحيط به غايات السالكين، حارت الأسرار في مشاهدة عظمته، وعبدت الظلم أنوار كلمته، واحتجبت بسبحات عزة أحديته، في أزليته وأبديته، نزل في علوه، وعلا في نزوله، وفصل في إجماله، وأجمل في تفصيله، اصطفاكم أيها الحاضرون بالنعمة والرؤية، وأوصلكم إلى منازل القربة والبغية، وأحلكم الجوار الأحمى وحمى سلطانه بغير العمى، فأنعموا بالمعارف الصمدية، وجولوا في ميادين الحقائق المحمدية، وامتطوا متون العتاق[1] الدرية، وانفسحوا في فسحات التوحيد، وترأسوا بخصائص المشاهدة على [كل][2] موجود، فطوبى[3] لكم وحسن مآب، وهنيئًا لكم بما طعمتموه، من لباب معارف الألباب، غضضتم الأبصار للموافقة والمساعدة، فقرت أعيُنكم بالمعاينةَ في المشاهدة، لم أزل في دنياكم أرغبكم في هذه المشاهدة المقدسة، وأشوقكم إلى هذه المناصب المؤسسة، وأحرضكم على تحصيل المقام المحمدي، والتجلي الأحدي، فيقولون: صدقت جزاك الله عنا خير ما جازى به مرشد حق، وأقعدك عنده مقعدَ صَدْق.

خطيب الأشقياء: صعد الخليفة الناطق منكوس الرأس، وقام خدماؤه بين يديه أهل الرّيب[4] واللبس، وقال: الحمد لله الذي لا أحكم عليه بوصف، ولا أقيده بنعت، فأي موطن وقف احتجب عن أبصار المعطلين وأهل الإصرار، والذين أشركوا من الآدميين، والذين تملكوا، فسألهم في ذلك الرسول الأخفى، فقالوا: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ [الزمر ٣]، فأهلكتهم عادتهم ولم تنفعهم عبادتهم، ولم تغن عنهم من الله شيئًا، آلهتهم وتبرأ منهم عند اضطرارهم أئمتهم،

---

(١) العتاق من الخيل: النجائب.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) الطوبىٰ: الحُسنىٰ، والخير، وكل مستطاب في الجنة من بقاء بلا فناء وعزّ بلا زوال وغنىٰ بلا فقر.

(٤) الريب: الظن والشك والتهمة.

ولم تنفع البراءة أولئك الأئمة، وضوعف لهم العذاب خلف حجاب الظلمة، فكانوا هم وأتباعهم عن سعادتهم بمعزل، وأنزل من هذه الدار التي أنتم فيها ماكثون بشر منزل.

أيها الحاضرون، والجماعة السوء الخاسرون، هذا مقام الأسف الذي لا ينجي حين لم يساعد الجد، وهذا موطن الاعتراف الذي لا يرد حين لم ينفع الجحد. أنا شر متبوع، وأنتم شرُّ أتباع، وأنا أخسر متشيع فيه، وأنتم أخسر أشياع، أوردتكم المهالك، وأحللتم بساحة مالك، أخذت بنواصيكم إلى معاصيكم، وأنزلتكم إلى الشرك من معاقل فِطرِكم وصياصيكم[(١)] فزورت لكم الأقاويل المزخرفة، وأوضحت لكم المناهج المتلفة، ونصبت لصيد عقولكم حبائل الجهالة والخداع، فوقعتم فيها شر وقوع، لا يرام منه انفكاك ولا يستطاع، وقلت لكم لو كان ثم إلـه، لحمى سبله، وعصم مَن أيدي عدائه رسله، وجعلت عندكم فيمن تخلص منهم، إنما تخلص بفراره وعدم قراره، وباتباعه الأراذل، وأشياعه الأسافل، وألحقت بالمعجزات، بالسحر والخيالات وقلت. إنما جعلها كما فعلت [أنا][(٢)] لصيد العقول القاصرة خيالات، فركبت بكم جادة[(٣)] الكفر والضلالات، وخضت بكم لجج الغمرات، وأنزلتكم منازل الحسرات ونصصت لكم، أن في الأخذ بما دللتكم عليه سبيل نجاتكم، وتحصيل درجاتكم، وارتقاء عقولكم، عن حضيض[(٤)] حسها، ومعراج[(٥)] أرواحكم عن خسائس نفسها، وعطفت على بعضكم بأنه مأثم، إلا هذا الدولاب الدائر، وهذه التكوينات عن هذه العناصر، ولا يزال هذا الدولاب راجعًا وسائرًا، وأنه المعبر عنه بالإلـه، وما شاهدنا فاعلاً، [فيما][(٢)] يثبته سواه، وأن التناسخ صحيح، والقائل بغير هذا يخبط في مهامه[(٦)] من الجهالة قبيح، وكذبت بيوم الدين، فحرمت شفاعة الشافعين، وقلت بإحالة حشر الأجساد، لكون الآخرة ليست بدار، كون ولا فساد، وأن النبوة سياسة حكمية، ليست لها أصول أصلية، وأن الميزان عبارة عن إقامة العدل في ذاتكم، وأن

---

(١) الصِّيصية: الحصن. (٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٣) الجادة: الطريق الأعظم تتفرع منه الطرق أو وسط الطريق (ج) جواد.
(٤) الحضيض: ما سَفَل من الأرض. (٥) المعراج: اسلم والمصعد (ج) معارج.
(٦) المهامه (ج) المهمه: المفازة البعيدة.

الصراط عبارة [عن أخذكم][1] في تطهير خلقكم وصفاتكم، وأن الحوض في الحكم، عبارة عن العلم، وكون آنيته عدد النجوم إشارة إلى فنون العلوم، وجعلتها عندكم رموزًا فلسفية، وإشارات تمويهية ليس وراءها غير ما ذكرناه، ولا يوجد فيها سوى ما قررناه، وسخرت بالشريعة وتابعت سلطان الطبيعة، كذبت الرسل، وأعميت السبل، فيا سوء مذهبي ويا شؤم من اغتر بي، ويا شر منقلبي فيقولون: لعنك الله من مضل كذلك فعلت جازاك الله عنا ما جازى به ملحدًا، وجعل لك في أسوأ المنازل مقعدًا، فيلعن بعضهم بعضًا، ومأواهم النار، وما لهم من ناصرين.

أهل الأسرة: [خطيب السعداء][1] استوى الخطيب الناطق على سريره باسميه، وقام وزراؤه الأدباء بين يديه، وقال الحمد لله الذي استوى على العرش، اسمه الرحمٰن، عند استواء الألوهية على عرش الإنسان، فقال: «ما[2] وسعني أرضي ولا سمائي، ووسعني القلب الموصوف بالإيمان، فأقام علم البيان، مقام العيان، حتى عجزت عن ردك هذا الضرب من العلم حقائق الكيان، أفاض على الأكوان عامة أنوار رحمانيته وحكم فيها أسماء ربانيته، ونظم اثني عشر نقيبًا في سلكه، وأقامهم سايسين في ملكه، وجعل لكل نقيب أمدًا ينتهي إليه حكمه، وحدًا يقف عنده علمه، وجعلهم على أربعة مذاهب، لاتحاد الرسالة والنبوة، والولاية والإيمان، بالمنابر والأسرة والكراسي والمراتب. فمنهم من وصلت مادته إلى الفلك الأثير واستقرت، فتكونت المعادن والنباتات والحيوانات النارية واستمرت، ومدتهم أربعة وعشرون ألف سنة، ومنهم من وصلت مادته إلى ذلك الهوى ولبثت. فتكونت المعادن والنباتات والحيوانات الهوائية وثبتت. ومدتهم ثمانية عشر ألف سنة، ومنهم من [بلغت][1] مادته، إلى فلك الماء وسكنت، فتكونت المعادن والنباتات والحيوانات المائية وتمكنت، ومدتهم خمسة عشر ألف سنة، ومنهم من بلغت مادته الأرض فتكون الإنسان والمعادن والحيوانات والنباتات الترابية ومدتهم

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) هنا إشارة إلى حديث «ما وسعني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي. .» أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٧/ ٢٣٤)، وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٦٠، ٣١٠، ٣٧٦).

واحد وعشرون ألف سنة، وقال الله تعالى يخاطب هؤلاء النقباء، والسادات النجباء، الذين اختصهم بالاستواء المعبود، والظل الممدود ﴿إنّي مَعَكمْ لَئِنْ أَقَمْتُم الصَّلاَةَ وآتَيْتُمْ الزَّكاةَ [وآمَنْتُمْ برسُلِي وعزَّرْتُمُوهُمْ وأقرضتمْ الله قَرْضًا حَسنًا﴾ [المائدة: ١٢] فأقاموا صلاتهم فضاعف صلاتِهم، وأدّوا زكاتهم فقدس ذواتهم، وآمنوا بالرسل، فأوضح لهم السبل، وعزروهم فعزروا، واقرضوا الله قرضًا حسنًا، فوفَّاهم سرًا وعلنًا من كونه محسنًا، فلما استوى على سرير ملكه [فأثر][1] وكان الإمام المكبَّر، نظرت العقول في آياته، وما أودع الرحمـٰن من التكوينات في حركاته، وأنتم أيها الحاضرون [المصطفون][1] الأخيار [المقربون][1] والمجتبون الأبرار، أتذكرون إذا أبنت لكم في الدار الدنيا عن استواء الرحمـٰن، أنه ليس كاستواء الأكوان، وأنه لو جلس عليه جلوسًا كما يدعيه المشبِّهة، لحده المقدار، وقام به الافتقار، إلى مخصّص مختار، لا تحيط به الجهات والأقطار، والافتقار على الله محال، ولا سبيل إلى هذا، فالاستقرار بمعنى الجلوس عليه محال، ولا سبيل إلى هذا الاعتقاد بحال، وما بقي لكم فيه سوى أمرين مربوطين بحقيقتين: الأمر الواحد أن نصرف [لفظ][1] هذا الاستواء إلى الاستيلاء والأمر الآخر أن نؤمن بها كما جاءت من غير تشبيه ولا تكييف، ونصرف العلم بها إليه، فإنه أسلم بالمؤمنين، عند قدومهم عليه، ولهذا يختم المنزِّهُ تأويله بقوله «والله أعلم» لمعرفته بأن التنزيه قائم بذاته، ولكنّ صرف هذه الآية إلى هذا الحكم خاصة لا يلزم. وعرفتكم أن أسماء الله لها حقائق ورقائق، وأن بامتداد تلك الرقائق المعنوية المنزهة الأقدسية، يظهر فيكم سلطانها، ويضلكم ويهديكم إغماضها وتبيانها وقلت لكم تحفَّظُوا من مكر الله في التأويل واستدراجه، واسألوه الثبوت والاستقامة على منهاجه، وطهروا قلوبكم بماء التقديس والتنزيه، من التجسيم والتشبيه، فإنه ﴿لَيْس كَمِثْلِهِ شَيءٌ وهُو السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١] ويستوي ويجيء وينزل وهو في السماء، وفي الأرض كما قاله، وعلى المعنى الذي أراده، من غير تشبيه ولا تكييف، وهو العليم القدير على هذا دللتكم، وإليه دعوتكم، فأوصلكم استعمالكم ذلك إلى ما أنتم فيه الآن من النعيم المقيم في دار القرار، واختصكم بلذة الجوار، فانعموا بخير جار، في خير دار، فيقولون:

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

صدقت الحمد لله الذي صدقنا وعده، ورضي الله عنك رضاء لا سخط بعده، وجازاك عنا أفضل ما جازى به ناصحًا، وجعلك لكل باب [مقفل][1] من التجليات الإلٰهية فاتحًا.

خطيب الأشقياء: استوى الخطيب الناطق على سريره، ذليل النفس، وقام وزراؤه بين يديه في أضيق حبس، وقال الحمد لله المنزه في علوه، المقدس في سموه، الذي لا يحده مكان، ولا يحويه زمان، ولا يقيده آن، ولا تختلف عليه الحالات، ولا يتعذر عليه [حل][1] الأمور المشكلات تنزه عن الحد المقدار، واتصف بالإرادة والاختيار، وتقدس عن الحركة والانتقال، وتعالى عن الأشكال والأمثال، ليس كمثله شيء في ذاته، ولا يشبهه مخلوق في صفاته، أيها الحاضرون الخاسرون سمعًا، أنتم الذين ضل سعيكم في الحياة الدنيا وأنتم تحسبون أنكم تحسنون صنعًا، وأنا الذي سلكت بكم مسالك الغيّ والضلال، وقررت في نفوسكم كل ما هو على الله محال، وزينت لكم سوء أعمالكم، وأعميت لكم ضرر أحوالكم، فبئس المعلم كنت فيكم، وبئس ما قبلتموه، فبئس المورد الذي قد أوردتموه، شبهتم معبودكم سبحانه وتعالى بذواتكم، وجعلتم كلامه ككلامكم، في حروفكم وتقطيع أصواتكم، تكتبون المصحف بآلات موضوعة، [وأدوات مصنوعة][1] تلك الحروف التي صنعتموها بالقدم، وتدعون أنكم في ذلك على الطريق الأمم، وأنكم فضلتم بهذا الاعتقاد على سائر الأمم، ثم عمدتم إلى خالقكم وعلامكم وجعلتم له جسمًا كأجسامكم، وجوارح كجوارحكم، وصورة كصورتكم وتبشيشًا كبشبشتكم وقدمًا كقدمكم وفرحًا كفرحكم واستواء كاستوائكم، وضحكًا كضحككم، وأصل ضلالكم في هذا كله من إضلالي، ومن زور قولي لكم ومحالي، فلعنكم الله من أتباع فيقولون: لعنك الله من متبوع غوى، أورثنا أتباعه عذابًا لا يستطاع.

أهل الكراسي خطيبُ السعداء: قعد الخطيب الناطق على كرسيه الأسنى، وقام وزراؤه بين يديه على قاب قوسين أو أدنى وقال الحمد لله الذي وسع كرسيه السمٰوات والأرض، ووضع [فيه][1] ميزان الرفع والخفض، ودلى إليه

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

قدمي النهي والأمر وصيره [طريق][1] روحانيات التدبير في السر والجهر، رتب لهم فيها المنازل، ليحل فيها النازل

فأما الروحانيات الآدمية فتنزل كل ليلة، وتستمر في كل منزل، من ربها كرامته ونيله، فإنها سريعة الحركة، كثيرة البركة، وأما إخواتها، وإن اجتمعوا معها في سرعة السير، فإنه يبطىء بهم عنها حكم الدور، فإن عتاق أفلاكهم تسري بهم وبحقائق أملاكهم أيها الحاضرون السعداء هل تستمعون؟ أتذكرون حين رؤيتكم نزول الحق [والليل][1] إلى السماء الدنيا من أجل الخلق، وينصب له في كل سماء كرسي، يقعد عليه، والملائكة بين يديه؟ فنفيت التشبيه، وقلت إن صح [هذا][1] الخبر فقد عرف المراد، والباري على وصفه من التنزيه فإنَّ النبيّ عليه الصلاة والسلام قال «كان الله ولا شيء معه، وهو على ما هو عليه كان»[2] فنزهه عن المكان، بوجود الأكوان، لكن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر أن يخاطب الناس على قدر عقولهم، ويبين لهم على قدر طاقة تحصيلهم، وقد قبل إيمان السوداء في إشارتها إلى السماء، مع علمنا بأن الله تبارك وتعالى في علاً عن إدراك العلماء، ثم أثبت لكم أنَّ الرب هو النازل، ومعلوم أنه الثابت غير الزائل فهذا حظ السر بالعلم من نزول هذا الاسم، فقضى الحاجات، وقبل السعايات، وتاب على التائبين، وغفر للمستغفرين، وأعطى السائلين وأجاب الداعين، وشملت رحمته المتهجدين والنائمين، فأنزل من كرسيه كلمتيه وأرسلها على قبضتيه فتميزت بالأخذ والترك، وانفصلت بالتوحيد والشرك فانقلب أهل الشرك [والترك][1] إلى دركاتهم، وانقلب أهل التوحيد والأخذ إلى درجاتهم، وهم أنتم، طاب مسكنكم، ونعمتم، فأعطى الكرسي بالقوة حقيقته، وأبرم في العالم رقيقته.

يا أيها الحاضرون ـ ألم أكن فيكم نعم الداعي والحافظ، فيقولون: صدقت الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ورضي [الله][1] عنك فلقد كنت نعم الواعظ، جزاك الله عنا أفضل ما جازى به داعيًا، وجعل لك في كل مقام من مقامات الجمع المقدس ناديًا

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٢/ ١٠٥)، وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ٢٦٣)، والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ١٨٩).

خطيب الأشقياء: قعد الخطيب الناطق على كرسيه في النار [وقام][1] بين يديه وزراؤه الفجار، وقال: الحمد لله الذي خلق اللوح والقلم، وكَتب فيه ما هو كائن إلى يوم القيامة مما علم، وجعل الكرسي موضع قدم المنزه وجوده أن يكون مسبوقًا بعدم، فحقت الكلمات في اللوح علينا أهل الخسران وعلى أهل الريحان والروح إذ جعلنا كرسيه علمه لا غير، وكذبنا به فناط بنا الضّير[2]، وأحرمنا الخير، دللتكم أيها الحاضرون الضالون المكذبون على ما فيه شقاؤكم، وحرضتكم على ما يسلط به عليكم بلاؤكم وخاطبت كل طائفة منكم على قدر نقصان علمها، وقهرها تحت سلطان وهمها فمن غلبت منكم روحانيته على خسَّة جسمانيته جعلت له هذه العبارات الحسية، إشارات إلى أمور معنوية، وكل من ألحقها بالمحسوس، فنظره معكوس وحشره منكوس، وقلت في قوله تعالى ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَه﴾ [سبأ: ١٠] ـ إنه أراد الرجال، وقلت في ذلك [إنه][1] محال، وإعطاؤه لسليمان تسخير الرياح، إنما أراد به الأرواح، وكون مريم تمثل الروح بشرًا إليها، أن خيالها حكم عليها، فكذبت بالملك والشيطان والمس وقلت إن هذه كلها من المخاطبات التمويهية لإيقاع اللبس، وإن ذلك عبارة عن أخلاط فاسدة، تجسدت أغذية ردية، وإن الملائكة قوى في النفس روحانية، وخواطرُ نفسانية، وإنه ما في الأفلاك سوى نجومها، وإن الملائكة عبارة عن قوى سلطان علومها، وأمثال هذا الهذيان، الذي لا يقوم عليه برهان، وأما من غلبت منكم جسمانيَّته على روحانيته فخاطبته على ما علمت من قصور فهمه، وعدم علمه. وقلت له: إذا لم يكن كلام ربك بحروف وصوت فما تسمع؟ وأنزلت له الصفات المقدسة المعنوية على مثال ما يصححه أول عقله، فقبل ولم يدفع، فلحق بأهل التشبيه والتجسيم، ووصف القديم بصفات الحدوث فالحق بالجحيم، فلعنكم الله لقصور أفهاكم وعقولكم، وعدم نظركم في معاني منقولكم، فيقولون: صدقت لعنك الله مفسد مضل، وألبسك ثياب الهُون والذل.

أهل المراتب:

خطيب السعداء: ظهر الخطيب الناطق في مرتبته، وقام وزراؤه بين يديه قائلين بحرمته، وقال: الحمد لله رب العالمين، [ونعمت][1] العاقبة للمتقين، هذا

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. (٢) الضَّير الضُرُّ.

الحمد هو آخر دعواكم معاشر السعداء، ويرجع الأمر على الابتداء، وهكذا تكون الدرجات في الجنان، والأحوال على ترتيب ما كان عليه الإنسان، فالحمد لله تملأ الميزان، وهي آخر موضوع، ولا إله إلا الله تثبت الإيمان وهي أول مسموع، فانعموا رضي الله عنكم بين طرفين شريفين، وحقيقتين عظيمتين، توحيد وثناء، فسنًا وسناء فالتوحيد للسنا والسناء للثناء، فقد جمع لكم بين الرفعة والضياء، فالحمد لله الذي [جعلني][1] أعلمتكم بهذه الأمور، ونهجت بكم مناهج النور، فيقولون صدقت. الحمد لله رب العالمين، رضي الله عنك، جازاك الله عنّا أحسن ما جازى به الداع، ومنحك لذة الاستمتاع، في السماع عند الإيقاع.

خطيب الأشقياء: قعد الخطيب الناطق على مرتبته من الفضا وقام وزراؤه بين يديه في لظى، وقال الحمد لله ولا أدري كيف، لأني في موطن العطب[2] والخوف، لم أزل في ربقة[3] التقليد مغلولاً، وبقيد الشرك مقيدًا مكبولاً، لا أدري ما المعبود فيكون مني الإقرار أو الجحود، فلما قبلتم يدي لعنكم الله وعظمتموني، وجعلتموني إمامًا، وقدَّمتموني، فرحت نفسي الخسيسة بتلك الرياسة المحسوسة، ولم تأخذوا في تعظيم حالي إلا رغبة في جاهي وطمعًا في مالي، ولم يكن عندي علم ألقيه إليكم ولا معرفة أسردها عليكم، ومنعني الكبر أن أسأل العلماء العمال، ورأيت العلماء السوء منكم يحذمون بابي، ويلازمون ركابي، رغبة فيما عندي من الأموال، فإن قلت قولاً باطلاً صححوه، وإن زورت كذبًا حققوه وشرحوه، وقالوا: هذا هو الحق الذي لا يرد، والعلم الأقدس الذي لا يحد، لقد أعطيت أيها السيد من الذكاء [والفطنة][1] وجودة القريحة[4] ما لم يعطه أحد، واغتر الجاهلون بهم في ذلك، فجروا على مذهبهم فأوردهم المهالك، فغالطتني نفسي واحتجبت عن تصريف عقلي برئاسة حسي، فصرت أخترع الأكاذيب، وأشرع المذهب وفتحت بيوت الأموال، وملكت بها العلماء السفال، واتبعتموني على كل باطل فكنتم قومًا[5] بورًا، فلا تدعوا اليوم ثبورًا[6] واحدًا، وادعوا ثبورًا كثيرًا،

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. (٢) العطب: الهلاك.
(٣) الربقة: العروة ذاتها (ج) رباق وربق.
(٤) القريحة: مَلَكة يستطيع بها الإنسان ابتداع الكلام وإبداء الرأي.
(٥) البور (من الناس): الهالك لا خير فيه. (٦) الثبور: الهلاك أو الويل والخسران.

تخيلتم أن ربوبيتي دائمة، ومملكتي لا تزال قائمة، واغتررتم بوعدي، فأجهدتم نفوسكم في شكري وحمدي، فاليوم أقول لكم ما قاله الشيطان الرجيم، حين قضى الأمر في سواء الجحيم: ﴿إنَّ الله وعدَكمْ وعْدَ الحقِّ وَوَعَدْتكمْ فَأخْلَفْتُكم ومَا كَان لِي عَلَيكُمْ مِنْ سُلْطَان إلاَّ أنْ دَعوتكُمْ فَاسْتَجَبْتُم لي فلا تَلومُوني ولُومُوا أنْفُسكُم ما أنَا بمُصرِخكم ولا أنتم بمصرخِيَّ إني كفرتُ بما أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ [إبراهيم: ٢٢] زادكم الله إلى عذابكم عذابًا، وفتح لكم إلى كل شر بابًا، فيقولون: صدقت. وأنت الكذوب لعنك الله [وأخزاك، وأهانك][1] وأرداك، جازاك الله عنا [أسوأ][1] ما جازى به مفسدًا ملحدًا، وجعل لك في كل منهل من الثبور موردًا.

فلما عاينت هذه المشاهدة المتقابلة، وعرفت سبب ضحك الأب في المنازل العالية، وبكائه في المنازل السافلة، قلت له: يا أبت إني أريد أن تخبرني بما علمت من الأسماء، وهل كانت لك خلافة في السماء، فقال لي: يا بني - إن القدم الواحدة مخصوصة بالسماء، والخلافة ذات قدمين فلا يصح فيها وجود الخلفاء، وأما ما سألت عنه من معالم الأسماء، فإنّ الله عرض عليّ الحقائق قبل تأليفها، وعرفني بأسمائها وأسماء من يتألف منها، وأعلمني بكيفية تركيبها وتصريفها ثم عرض عليّ الملائكة [تلك][1] الحقائق، وأخفى عنهم ما أشهدني من الرقائق، لما تقدم [منهم][1] في حقي من التجريح، كما رأيته في البناء الصحيح، فقال: ﴿أنبئوني بأسماء هَؤلاَء إنْ كنتُمْ صَادِقين﴾ [البقرة: ٣١] وأشار إليهم لكونهم حاضرين، ولو أراد الأسماء خاصة، لقال عرضها؛ وفي قوله: عرضهم بحجة [صادقة][1] واضحة يعرفها من فرضها، فعرفت الملائكة أسماء الحقائق في حال افتراقها حين اختصصت أنا بمعرفة أسماء تركيبات حقائقها فقالوا: ﴿سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إلاَّ ما عَلَّمْتنَا إنَّك أَنْتَ الْعَليمُ الحَكيمُ﴾ [البقرة: ٣٢] قال [الله جلّ ثناؤه][1] ﴿يا آدمُ أَنبئهُمْ بأسْمَائِهم﴾ [البقرة: ٣٣] فألَّفتُ الحقائق بطريق ما، وقلت: هذا فرس، وألفتها بطريق آخر، وقلت: هذا إنسان، فأنبأتهم بأسمائهم فظهرت حجة الله على خلقه، وقام لهم برهان حقه فَبِمثل هذه الأسماء اختصصت،

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

وهي التي على الملائكة نصصت، وإلا فليس في الأسماء عند وجود الأعيان معرفة غامضة عند الأرواح، لأنها على مجرد الاصطلاح؛ ولهذا اختلفت عوالم العبارات عنها عند شهودها، ولم تختلف المعاني التي بها قوام وجودها، ولهذا قالت الأعراب: هذا فرس، وهو جواد، وهو طِرُفٌ[1]، وقالت الإفرنج[2] فيه كَبَالَه وقالت الروم: ألوَغْ وقالت الترك أَطْ وقالت الأرمن فيه: سى وقالت العجم[3] فيه: أسب. فالنفس تعقل معانيها وإن اختلفت أساميها في مباينها فقلت له: هذه الأسماء الكائنة. فهل اختصصت أيضًا بالأسماء الإلـٰهية؟ فقال. عليها فطرت الصورة الإنسانية انظر فهي مُصرِّفتك وتحققها فهي معرفتك، وبمعرفتها تفاضلت أشخاص هذا الجنس، وبمشاهدتها تقدس العقل وزكت النفس، فقلت له كذلك وجدتها، ولهذا عبَّذتها، وما عَبَذْتها ثم قلت له: يا أبت ـ أنت جامع القبضتين، وصاحب الحكمتين، وحامل الصورتين، فأخبرني عن السرّ الذي يرد المعادن إلى معدنين، وأوقفني على الكنزين الأحمرين والأبيضين، وعن سر كل وصفين. كالجلال والجمال والانفصال والاتصال، والتركيب والتحليل، والتجميل، والتفصيل، والفناء والبقاء، والإثبات والمحو، والسكر والصحو[4] والرب والعبد، والحر والبرد، وما أشبه ذلك، فإما أن تخبرني بحقيقة تجمع لي هذه المعاني، وإما بتفصيل هذه المباني.

فقال أما التفصيل فيطول، وإيضاح الحقيقة الجامعة أولى بالوقت، فأقول: إن الأشياء المنفعلة إنما تنبعث من فاعلها على [حقيقة][5] وجوده في الأعيان، ولهذا لم يبق أبدع من هذا العالم في الإمكان، وأبين ما يكون ذلك في الإنسان، إذْ له الجود المطلق، والفيض المحقق، فإن تفطنت فقد أبنت لك عن دَرَج التحقيق، وألقيتك على الطريق، فادرج عليه، حتى تعاين أسرار التفضيل لديه، وأما بحثك عن الكنزين والأمر الذي يرد المعادن إلى معدنين، فاعلم أن هذا الأمر على

---

(١) الطِّرْف: الكريم من الناس. ورجل طِرف في نسبه؛ أي: حديث الشرف.

(٢) الإفرنج: سكان أورية (مع) «فرنسية».

(٣) العجم: من ليسوا عربًا، الواحد: عجمي نطق بالعربية أو لم ينطق.

(٤) الصحو والسكر: الصحو رجوع إلى الإحساس بعد الغيبة، والسكر غيبة بوارد قوي. (للتوسع انظر الرسالة القشيرية ص ٧١ ـ ٧٢، والفتوحات المكية ٤/ ٣٢٢ ـ ٣٢٦).

(٥) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

مرتبتين: المرتبة الواحدة في الشاهد، تسمى خرق العوائد، وهي تصريف المحسوس على حكم هم النفوس، وهي مختصة بأرباب الهمم ومعادن الحكم، فقوتهم تسري في الأرواح، بقلب صفات [أعيان][1] الأشباح، فهذه صناعة علمية، وصورة حكمية آلاتها روحانية، ومواردها سماوية، إكسيرها مقرون بسعادة الأبد، وفعله مشاهدة الأحد، يتصرف في العقلاء، تصرف الأفعال بالأسماء، وأما المرتبة الأخرى: فهي صناعة علمية موقوفة على عناية أزلية، تورث الجنان، ومجاورة الرحمٰن، ولهذا قال في الكتاب المبين: ﴿تتبوأ منَ الجنةِ حيثُ نشاءُ فنعم أجرُ العامِلينَ﴾ [الزمر ٧٤] فلمثل هذا فليعمل العاملون، وفيه فليتنافس المتنافسون، فمن أراد أن يقف عليها، ويصل إليها، فإنها الكنز الذي لا يهد جداره والزند الذي لا يظهر أواره[2]

هي حكمة لا يودعها الله إلا الأمناء من عباده، والمتأهلين بحضرة إشهاده، فإذا أراد الشيخ أن يظهر في المريد ربوبيته، يخفي شيئيته ويضرب له ميقاته، ثم يحجب عنه [أوقاته][1] ويأمره بالقصد إلى خط الاستواء، حيث يكون الليل والنهار، والحر والبرد فيه على السواء وأعن فيه إلى الجبل الشاهق في السماء، فستجده جبلاً عالي الذرىٰ صعب المرتقى، فيه أنواع من الحيوان، وكهوف، وغيران، يعمره بيض وسودان، جردته أكثر من خضرته، تحرقه الرياح، وتعمره النارية والنورية من الأرواح، لهم سلطان عظيم، يسكن في قبته، ووزعته حافون بقنته[3]، له أجناد وأمراء وحكام وحكماء، فقام بنفس خاطر السعادة، والتوجه إلى طريق الاستفادة، بخرق العادة، والبحث عن الأمر الذي به دوام الملك الذي بيده إلى أيده، فاستعمل الفكر المحرق لما قام به من الشوق المقلق، فأنتج له [أن][1] هذا الأمر موقوف على معرفة الحكمة، وأنها موضوعة بين النور والظلمة، موقوفة على المعدن والنبات، محكوم عليها بعدد شهود الزناة ولكن قصر به [الفكر][1] عن تعين ذاته، وعن الإدراك لجميع صفاته، فقال له بعض حكمائه، وأخص علمائه أيها الملك مطلبك في قدرتي، وحاجتك تحت قوتي، ولكن قد لا تعرف قدرها،

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) الأُوار: حرّ النار والشمس، أو اللهب والدخان.

(٣) قنت قنوتًا: أطاع، وقنت الله وقنت له: لزم طاعته وأقرّ له بالعبودية فهو قانت.

فيحرمك الله خيرها، وأنا أبهك أولا على كيفية إيجادها، وحسن إسعادها، فإنها من الله بمكان، وكأنها مشاركة للقدر في إيجاد الأعيان، فهي حكمة علوية ومدرجة في صناعة عملية.

لتعلم أيها الملك أنَّ الله هو الحكيم الخبير، وأنه على كل شيء قدير، وأنه قبل كل شيء، وأنه أوجد الأشياء لا من شيء، ولكن مع اتصافه بهذه القدرة المحققة، النافذة المطلقة، لم توجد هذه المعادن ابتداء حتى خلق الله سبحانه وتعالى الأفلاك العلوية، والروحانيات السماوية، واللمحيات الأفقية، وأودع كل فلك روحانية كوكبية، تحتوي على خاصة بها، وعند وجودها خلق الأرض والماء، والهواء والأثير[1]، ثم أوجد فيها منها دائرة الزمهرير، ثم أجرى الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، وخصّ كل متكون عن هذه الأجزاء بسر من مكنون سره، فظهرت المعادن في أعيانها وتخلصت بكرِّ أزمانها، فإذا كان الله تعالى مع قدرته، ونفوذ إرادته وقوة علمه، لم يوجد أشياء من هذه المعادن إلا بعد [خلق][2] هذه الأدوات، وأجرام[3] هذه المسخرات، فكيف تطمع [أنت][2] أيها الملك أن تكون فعالاً لهذه الحكْمة مع عدم هذه الأدوات، وتحصيل هذه الآلات؟ فإن قدرتك قاصرة، وصفقتك إن لم تحصِّل هذه الأدوات خاسرة، وما فعل الله شيئًا من هذه الأدوات، وقدم هذه المقدمات آلات مع غناه عنها، إلا لحكمة عَلِمَها مَنْ عَلِمها، وجهلَها مَن جَهلَها قال الملك: وكيف السبيل إلى تحصيل هذه الأدوات، وتركيب هذه المقدمات؟ فقال الحكيم: يا أيها الملك. ألست ساكنًا تحت خط الاستواء وأنك من أهل السواء؟ فقال الملك: بلى، فقال الحكيم: من أراد أن يعرف [أصل][2] نشأة العالم وترتيب هيئته، من خط الاستواء يعرفه، فقال الملك: فكيف أصنع فإني لا أجد في نفسي قوة، تصور هذه الأسباب والمقدمات، وإيجاد هذه التأليفات والمركبات فقال الحكيم: إنَّ الله سبحانه وتعالى، قد منحني القوة علة [بناء][2] ما يماثلها وإقامة ما يشاكلها ووهبني أسرار كيفياتها، وكميات حركاتها، ولي أصحاب من الحكماء، أهل الفطنة[4] والذكاء، أشد بهم أزري، وأحكم بمشاورتهم ورأيهم أمري لينقضي غرض المولى وتقدم له

---

(١) الأثير: المُفَضَّل على غيره والمكرَّم.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) الأجرام السماوية: النجوم.

(٤) الفطنة: الحذق والمهارة.

هذه الروحانيات العلى، فسر الملك بما قاله الحكيم، وزال عنه ما كان أحاط به من الهموم، وقام الحكيم فاخترق مخاريق هذا الجبل العظيم، ينظر فيه أين نقطة دائرة المركز الذي تقوم عليه النشأة، ويترتب عليه نظام الهيئة، فرأى الرياح والبخارات، التي تنحل من مسامات ذلك الجبل، تصير كالدائرة تتحرك في موْضعها، ولا تتعدى إلى غير مهيعها فأعمل الحيلة حتى روض ذاته، فالتحق بالأطيار، وسوى جناحيه وطار، واخترق معظم تلك الرياح محلقًا في جوها، ينزل بنزولها، ويسمو بسموها إلى أن انتهى إلى موضع لا يتعدى النازل فيه على الصاعد، ولا الصاعد على النازل، فقال الحكيم: الله أكبر قام الملك وظهر، فإذا بذلك المركز المعقول، أرضًا ذات أشجار ويقول، وأدار عليها الماء فدار، وأدار عليها الهواء فصفق النسر بجناحيه فيه وطار، وأدار به دائرة الزمهرير، وحلق به الفلك الأثير، فلما أكمل هذه الأركان، لإنشاء ما يريد من المعادن والنبات والحيوان، لم ينفعل ما أراد عنها لأنها أشباح بلا أرواح، وإناث بلا ذكور، فاحتاج إلى [إقامة][(١)] النجوم الثابتة، والبروج الحاكمة والكواكب السيارة، وحركات أفلاكها، وفتح مسالك أملاكها فأقامها [فكانت الآباء بالعلويات][(١)] وهذه الأمهات السفليات، فتناكحا بالحقائق الروحانيات والرقائق السماويات، فتولد بينهما بنات الحكم المعدنيات، والنباتيات، والحيوانيات، ولم تبلغ [قوة][(١)] هذا الحكيم فوق هذا الحد، ولكنه وفيٌ بالقصد، فلما استوت هذ البنية، على حسب ما أعطته الروية، وحسن النية، وجرت الأفلاك، وأعطت قواها الروحانيات، وظهرت التكوينات والانفعالات، وأشرف الملك الكريم، على ما فعله الحكيم، وعاين تكون هذه الحكمة في هذه الأجزاء وعرف أن الأمر لا يقوم إلا بوجود الأرض والسماء، وأعجبه ما رأى من حسن الراء، فأدركه الطيش والتوله، فخاف عليه الحكيم التأله، فأعمل الحيلة والنظر، حتى بدا له ما أراده وظهر، وشرع في إنشاء بستان ذي أفنان[(٢)]، فيه من كل وليد وقهرمان[(٣)]، ومن الجواري الحسان، والنخيل والأعناب والرمان، ضروب وألوان، تنساب فيها الجداول انسياب الثعابين بين تلك

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) الأفنان: (ج) الفنن: الغصن الغض الورق أو المستقيم.

(٣) القهرمان: هو المسيطر الحفيظ على من تحت يديه. (فارسي معرب) (لسان العرب ١٢/ ٤٩٦ مادة: قهرم).

الأزهار والبساتين، وابتنى فيها قصورًا من الذهب والفضة البيضاء وأسكنها من كل جارية غضاء وفرشها بالحرير من السندس والاستبرق[1] والعبقري[2] المرقق، وجعل حصاها الياقوت والمرجان، والزمرد والجوهر وترابها فتيت المسك، وأكمامها العنبر، ثم شرع في إنشاء دار أخرى ذات، لهب وسعير، وبرد وزمهرير، وقيود وأغلال[3]، وسرابيل[4] من قطران[5]، وأفاعي كأنها البُخْت[6]، وأساود عظيمة الشخت[7]، وعقارب مكونة من السّحت[8]، وبيوت مظلمة، ومسالك ضيقة، وكروب وغموم، ومصائب وهموم، ثم أشرف على الدارين، وقال: انظر ما بين المنزلتين، فراعه ما رآه، وسأله ما السبب الذي دعاه؟ فقال الحكيم: جعلت لك هذه الدار دار الرضا ينعم بها من أطاعك ووالاك، وجعلت لك هذه الأخرى، دار الغضب تعذب بها من عصاك وعاداك. واعلم أنَّ الله ما أسكنك في هذه الدار، إلا لتجعلها دار اعتبار، فتفكر وتعتبر، وتذكر وتزدجر[9] وتعظم من سواك فعَدلك، وصوَّرك فجمَّلك، ووالاك وملكك، وعلمكَ وحنَّكك[10]، فإن كنت مطيعًا لربك، عادلاً في رعيتك، فستصير إلى النعيم عند الله، كما تصير أنت من أطاعك إلى هذا النعيم؛ وإن كنت عاصيًا جائرًا في حكمك ظالـمًا، فستصير إلى ضيق وعذاب وجحيم كما تصير أنت من عصاك وناوأك إلى عذاب أليم، فخف ربك وذنبك، وأصلح مع الله قلبك، وانذر قومك، وطهّر ثوبك، ولا يحجبنك سلطان عادتك، عن تحصيل أسباب سعادتك، فإنَّ الدنيا لمحة بارق، وخيال طارق وكم من ملك مثلك قد ملكها، ثم رحل عنها وتركها، ولا بد لك من الرحلة عنها إلى الآخرة،

---

(١) الاستبرق: الديباج الغليظ أو ثياب من حرير وذهب.

(٢) العبقري: الديباج أو البسط الموشية. (لسان العرب ٤/ ٥٣٥ مادة: عبقر).

(٣) الأغلال. (ج) الغُلّ: طوق من حديد أو جلد يُجعل في عنق الأسير أو المجرم أو في أيديهما.

(٤) السرابيل: (ج) السربال: ما يُلبس من قميص أو درع.

(٥) القطران: مادة سوداء سائلة لزجة تستخرج من الخشب والفحم ونحوهما بالتقطير الجاف، وتستعمل لحفظ الخشب من التسوس والحديد من الصدأ (مح).

(٦) البُخت: الإبل الخراسانية وهي طوال الأعناق، وتنتج من ناقة عربية ذات سنام واحد وجمل ذي سنامين (ج) بخاتي (مع)

(٧) الشَّخْتُ: الدقيق والضامر خلقة، لا من هزال (ج) شخات.

(٨) السحت: الحرام، وما خبث من المكاسب كالرشوة ونحوها.

(٩) ازدجر فلانًا وغيره: انتهره ومنعه ونهاه. (١٠) حنكه الدهر هذبته تجاربه.

فإما أن تعمر دَرَجها، وإما أن تعمر دركها[١]، واعلم أنَّ الله تعالى ما جعلك ملكًا على خلقه، وأقامك بين الباطل والحق في مقام حقه، لقصور قدرته عن إصلاح الخلق وتدبيره، وتصريفه في إظهار الملك وتسخيره، وإنما ضرب لك [بك][٢] مثلاً في عالم الفناء لتستدل به على ترتيب الملك الإلـٰهي في دار البقاء، ولهذا جعل هذه الدنيا ظلاً زائلاً، وعرضًا مائلاً، وجعلك عنها راحلاً، فهي جسر منصوب على بحر الهلاك، وميدان موضوع لمصارع الهُلاَّك كم أبادت من القرون الماضية، والأمم الخالية، والجبابرة المتألهين الطاغية والفضلاء والحكماء، والأدباء والعقلاء، والأولياء والأنبياء، فهل ترى لهم من باقية؟ وأنت أيها الملك على قارعة مذهبهم، وعن قريب تلحق بهم، فإما إلى نعيم في دار الخلود بجوار الصمد، وإما إلى عذاب الأبد، فاجهد في تحصيل أدوات البقاء والنجاة، فإنَّ الدنيا متاع [قليل][٢] والآخرة خير لمن اتقى، والعارية مردودة، وأعمالك بين يديك موجودة، غير مفقودة، في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، ولا علانية ولا سريرة، وهذا الذي تعين على من نصيحتكم إن كنتم تعلمون، وما على الرسول إلا البلاغ، والله يعلم ما تبدون [وما كنتم][٢] تكتمون، فالسعادة كل السعادة في المحافظة على الأمور الشرعية، والقيام بالحدود الوضعية، فقال الملك جزاك الله خيرًا لقد وعظت فأبلغت، وقذفت بالحقّ على الباطل فأدمغت[٣]، وأقبل الملك معتبرًا في تلك الانفعالات الدورية، والأحكام الكورية، ولاحت لعينه نشأة الحكمة التي أرقته، وشوقته فأقلقته، فاعتز بها سلطانه، وتقوت بوجودها أركانه، فإن دخلت في هذا الجبل، وشرح لك الملك استقصاء مسالكه، مع من يعرفه من ممالكه فستقف على تكونها، وقوة تمكنها بعد تلونها وفي هذا الجبل العزيز، يتكون الحجر المرموز، وليس بكامل في ذاته، ولا متمم في صفاته، فأدر سماواتك، واستنزل روحانيتك، عسى ينجلي عنك غمامها، ويبدو لك بدر تمامها، وكذلك إنْ لقيت روحانية متجسدة، ذات همة متعبدة فستبين لك عينه، وتريك أينه، وتجود عليك بتمام تدبيره وتعرفك بكيفية تسخيره، فإنَّ التقديس بالأتفال لا يزال في استفال فإنَّ الحقائق الروحانية والرقائق السماوية، تتأذىٰ مما تتأذى منه الإنسانية.

---

(١) الدرك: أسفل كل شيء ذي عمق كالبئر ونحوها

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. (٣) دمغ الحق الباطل: محاه.

فالحذر الحذر من صفقة الغُرَر[1]، واطلب الشيء من معدنه، ودبره في موطنه، فإنه من الحقائق الطيبة الممزوجة بالأتفال، لا بد لمن أراد أن يكمل ذاته من مباشرة الأزبال، فإنها عنها تكون، وبها تحقق وجوده [وتعين][2] ولا يغرنك التحاق الأسافل بالأعالي، والتحام الأباعد بالأداني فإن للمعادن موطنًا، ولكلّ ساكن مسكنًا، فمن حال بينها وبين معدنها، ودبرها في غير موطنها، سقط في يديه، وعاد وباله عليه، وكانت صفقته خاسرة، وتجارته بائرة، فإن كنت إلى تدبير هذه الصيغة وإيجاد هذه الحكمة بالأشواق، فانزع هذه الطباق، وسل عن الجبل المعروف، فستجد مطلوبك في الحروف، فنزلت في طلب ما عنه سألت، فوفق لي روحانية متجسدة في محرابها متعبدة، تقطع الليل ساجدة وقائمة، ولباب ربّها لازمة، فلما سلمت من صلاتها، وفرغت من دعواتها، كوشفت بغرضي، فأخذت في إزالة مرضي، وقالت أنا على علم ما سلب العقول فقدانه، وعسر على أهل الطلب والذكاء وجدانه، فعشقهم في هذا الأمر حيرهم فيه، فصرفهم عنه وأعماهم، فلو ضحوا وآثروا الزهد فيه لحصل لهم بوقوفهم على ما هم فيه، [وما هم][2] وأنا أريد أودعك إياه وأنزهك في محياه وأعرفك بمعناه، وأتحفك [بسر][2] معناه، وأفرق لك بين حكمته [في مماته، وحكمته في محياه][2] فانهض معي، بلا حول ولا قوة إلا بالله، فرحل بي إلى خط الاستواء، فإذا الجبل المذكور يعانق عنان السماء[3]، فنزل إليه شخص من سراة الأرواح، في نسيم الأرواح، لطيف الإشارة، فصيح العبارة فقال مرحبًا وأهلاً، وسعةً وسعلاً، فقال الشيخ هذا الغلام قد أنزلته عليك، وسلمته إليك، له همة في طلب الحكمة وتشوق إلى طلب معدن الرحمة فسلمني إليه ووقف، وقبلني الآخر ولم يتوقف، وسرت معه وانصرف إلى أن أدخلني على الملك، فقبلت يمين بساطه، وانبسط فسررت بانبساطه، وعرف مقصدي، وأخذ [فيه][2] بيدي، وأشار إلى بعض وزعته، وقال سر به في ملكي ثم مكنه من حاجته، وأخذني المملوك وكان من أحسن المماليك فاخترق بي جميع المسالك، فرأيت ملكًا عظيمًا، وسلطانًا جسيمًا، بديع الترتيب

(١) الغرر: بيع الغرر: بيع ما لا يوثق بتسلمه كبيع السمك في الماء، أو الطير في الهواء، وما كان له ظاهر يغرّ المشتري وباطن مجهول.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) عَنان السماء: ما يبدو لك منها إذا نظرت إليها، وما علا منها وارتفع.

والنظم، رفيع الكيف موزون الكم[1]، ما من مسلك فيه إلا وعليه حافظ، ولا مجلس إلا وفيه واعظ، فمما رأيت فيه نهرًا عظيمًا يجري منه، وينتهي فيه، ينبعث من صهريج[2] محكم البناء تخرج منه ترع[3] لمزارعهم، وجداول تسقي أشجارهم وبساتينهم، فإذا كثرت الأمطار عليهم، وترادفت السيول، وعظمت الترع والجداول، وسالت الجعافر[4] والمذايب خافوا على أنفسهم الدمار، لترادف تلك السيول وتوالي الأمطار، ولهذه الأنهار أسداد مدبرة محكمة، لا يقوى كل أحد على فتحها إلا العالمون بذلك.

وإلى جانب ذلك الجبل قرية فيها عالم حكيم صنع، اسمه مالك، قد ورث فتح تلك الأسداد، عن الآباء والأجداد، فيفتح منها بصنعة معلومة، ما يخاف منه، فينتشر على الأرض، فيفيض الماء، وتقلع السماء، فتصلح الأحوال، بوجود الاعتدال، فإن النقص والتطفيف[5] سبب البوار، ودليل الدمار، فأخبرني الصاحب أنَّ ذلك الماء، لما أخرجه الحكيم في ذلك الجبل وأجراه، وأقام مجراه، سواه بالأرصاد، وأوقف منفعته على الاقتصاد، وضرب لابتداء جريته ميقاتًا، وربط لإيجاد أقوات ما يعطيه أوقاتًا، فمن عرف ما أودع في تدبيره الحكيم من العلوم، تدبر منه حكمته بصنعة قيومية تنظر إليها روحانية النجوم.

ومما رأيت في ذلك الجبل صهريجًا معلقًا في الهواء، عليه قبة عظيمة محكمة البناء، تسقط من تلك القبة حجارة رخوة، بصنعة هندسية روحانية، في ذلك الصهريج، وفيه سرب ينتهي إلى صهريج آخر معلق في الهواء، فترسب تلك الأحجار فيه فيثقل، وعندهم نهر يسمى النهر العزيب، يجري في أوقات مدبرة في سرب، حتى ينتهي إلى ذلك الصهريج، فإذا امتلأ طفت الحجارة على وجه الماء، وذلك الصهريج مصنوع من الكبريت[6]، فيعود ذلك الماء حميمًا فتطبخ تلك

---

(١) الكم: مقدار الشيء.

(٢) الصهريج حوض كبير يجتمع فيه الماء، ويُطلق اليوم على أسطوانة ضخمة من المعدن يُنقل فيها الماء أو النفط على مركبة (ج) صهاريج.

(٣) الترع: (ج) الترعة: مخرج الماء من النهر أو القناة الواسعة للسقي أو الملاحة.

(٤) الجعافر (ج) الجعفر: النهر الصغير أو الجدول.

(٥) التطفيف: نقص الكيال أو البخس في المكيال والميزان.

(٦) الكبريت: جسم صلب أصفر اللون، هشّ، عديم الرائحة، لا ينحل في الماء، يوجد في الطبيعة=

الحجارة، فتكون منها الحكمة، وهي تسمى الكيمياء، وما نزل على روحانيتها صار تفلا(١) وماء، فلا تزال هكذا أبدًا

ورأيت في ذلك الجبل مرجلا(٢) على صورة الإنسان، له سريان: صغير وكبير، يسمى البركان، تخرج منه نار محرقة، وقد وكل الحكيم به شخصًا مدبرًا مجوفًا [شبه الروبان](٣) يلتقف(٤) منه حرارة تلك النار، وله سرداب له فتح إلى الهواء، فتخرج تلك الحرارة على باب ذلك السرداب، ولولا ذلك لتهدم ذلك الجبل واحترق كل من فيه من ساكنيه، ولقد أخبرني تجار أهل البحر بهذه النيران وأن في جزيرة صقلية(٥) جبلاً عظيمًا، خارجًا في البحر، قد عانق العنان، يقال له: البركان، تخرج منه نار عظيمة، تفور كما يفور المرجل على النار، وترمى بأحجار رخوة على وجه البحر، وهي [الأحجار](٣) التي تستعمل لإخراج الوسخ من الأقدام في الحمامات وغيرها، وكذلك هذا الموضع الذي ذكرته في هذا الجبل. ثم نهض بي إلى قصر الملك فرأيت قريبًا منه بستانًا من الورد الأحمر، ورأيت فيه سردابين عظيمين، قد أودع فيه الحكم طلسمين: الطلسم(٦) الواحد: يعطي هبوب الرياح والزعازع(٧)، والطلسم الآخر يعطي نسيم الحياة، وله حكم في الغارب والطالع، وفي ذلك البيتِ عشر جماعات، قد رتبهم الحكيم لأعمال بعض الصناعات، وقد قام فيهم شخص عريض، لين الشمائل معتدل [القد](٣) أريض، يدعى تاج الأقاول، ومعتمد الأوائل، له قدم في اختراق الهواء، وباع متسع في علوم الأرض والسماء، يحمل من عالم الغيب والشهادة، ما ترونه في مستقر العادة، ويختص بسر ذلك العلم المحققون من أهل الإرادة فغمزني صاحبي،

إما حرًا، وإما متحدًا ببعض المعادن على شكل كباريت المعدن. مثل: كبريت النحاس وكبريت الرصاص. وهو ذو لهب أزرق عند الاشتعال. ويدخل في صناعة حمض الكبريت، والبارود الأسود، وتركيب بعض الأدوية والمراهم وفي صناعة الثقاب.

(١) التفل: البصاق والزبد. (٢) المرجل: القِدر يُطبخ بها (ج) مراجل.

(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. (٤) التقف الشيء: تناوله بسرعة.

(٥) صقلية: جزيرة تابعة لإيطالية في البحر المتوسط.

(٦) الطلسم: السرّ المكتوم أو نقوش تُنقش على أجسادٍ خاصة في أوقات مناسبة بكيفيات ملائمة لحوائج معلومة يزعمون أنها ترد الأذىٰ (ج) طلاسم وطلسمات.

(٧) رياح زعازع: شديدة تزعزع الأشياء.

وقال: انظر إلى أوسط جماعة وتحققهم، فإنهم مطلوب أرباب الصناعة، فمن حصل منهم واحدًا فقد استغنى، وحصل على المعنى وتهنى، ولم يتعن، فطوبى لمن أخرجهم من أماكنهم، وغربهم عن مواطنهم، وشاهدت في [هذا](١) الجبل من العجائب والأرواح المسخرة والسيميا(٢) الصحيحة، والانفعالات الثابتة الكاملة، والانبعاثات المحققة الشاملة الفاعلة، ما تضيق [به](١) هذه العجالة عن شرح أمره وإيداع سره، فلما طالعت هذه الأعلام المنصوبة وعاينت الغاية المطلوبة، أخذت في الإسراء والرجوع، إلى سماء معلم الأسماء فقلت للوالد: أريد أعرف ما للإنسان الواحد من التصرف في أهل الإرادة السالكين طريق السعادة، فقال: شأنك وإياه، ولا تغفل طرفة عين عن الله، فناديته. يا هلال يا بدر يا قمر فما أجاب. وقال: خسر من دعاني هنا بهذه الأسماء وخاب، فناديته يا سلطان الأنوار والظلم، فضحك وأجاب، وقال: لا أجيب من ناداني في سمائي بغير أخص أسمائي [وأما من ناداني من غير سمائي فكل اسم يناديني به فهو من جملة أسمائي](١) فقلت: أريد أن تخبرني بما لك من التصرفات، في الأحوال والمقامات، وما تعطيهم من التنزلات، والتجليات، والكرامات، [فقال](١) إنَّ الله قدر لي المنازل في الأعالي والأسافل، فلي في كل يوم منزلة، وأحوالنا في هذه المنازل مختلفة، فإذا نزلت بالنطح، والبطين، والجبهة، والحزنان، والصرفة، والنعايم والبلدة، أعطيت من الأعمال المجاهدات، ومن التنزلات الإشارات ومن التجليات الاصطلامات، ومن الكرامات المشي على البحور الزاخرات، وإذا نزلت بالثريا(٣)، والدبران(٤)، والهقعة(٥)، والعوّى(٦)، والسماك(٧)، والذابح(٨)،

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. (٢) السيمياء: العلامة.

(٣) الثريا: مجموعة من النجوم.

(٤) الدَّبران: نجم يدبر الثريا أي يتبعها، وهو من منازل القمر.

(٥) الهقعة: ثلاثة كواكب نيرة قريب بعضها من بعض فوق منكب الجوزاء، وقيل: هي رأس الجوزاء كأنها أثافيّ وهي منزل من منازل القمر، وبها شبهت الدائرة التي تكون بجنب بعض الدواب في معده ومركله. (لسان العرب ٨/ ٣٧٣ مادة: هقع).

(٦) العوى: اسم نجم، أو منزل من منازل القمر وقيل: هي أربعة كواكب ثلاثة مثفاة متفرقة والرابع قريب منها كأنه من الناحية الشامية (لسان العرب ١٥/ ١٠٩ مادة: عوا).

(٧) السِّماك: السماكان: نجمان نيران. يُقال لأحدهما السماك الرامح وللآخر السماك الأعزل.

(٨) الذابح: منزل من منازل القمر، أحد السعود، وهما كوكبان نيران بينهما مقدار ذراع في نحر=

وبلع[1] أعطيت من الأعمال الرياضات والخلقيات، ومن التنزلات برد الأنامل الحاملات، لجميع العلوم الكائنات، ومن التجليات ما يختص بالنزول في السمٰوات، ومن الكرامات قطع ما بعد من المسافات، بيسير الخطوات، وإذا نزلت بالهنعة[2]، والذراع، والغفر[3]، والزبانى[4]، والسعود[5] والأجنبية، والمقدم؛ أعطيت من الأعمال ما تكثر فيه الحركات، ويسرع فيه تغير الحالات؛ ومن التنزلات ما تحمله المعصرات، ومن التجليات، ما يظهر في المواطن البرزخيات، ومن الكرامات اختراق الهواء كالطير والذاريات، وإذا نزلت بالنثرة[6]، والطرفة[7]، والإكليل[8]، والقلب[9]، والشولة[10]، والموخر، والرشا[11]؛ أعطيت من الأعمال الوصال في الهاجرات، ومن التنزلات ما يختص بسريان الحياة في الحيوانات، ومن التجليات ما يأتي على أيدي المرسلات، ومن الكرامات إحياء الموات، فهذا يا أخا الإجلال، ذكر حالتي معكم على طريق

واحد منهما نجم صغير قريب منه كأنه يذبحه فسمي لذلك ذابحًا. (لسان العرب ٢/ ٤٤٠ مادة: ذبح).

(١) بلع اسم لأحد منازل القمر

(٢) الهنعة: منكب الجوزاء الأيسر، وهو من منازل القمر، وقيل: هما كوكبان أبيضان بينهما قيد سوط على أثر الهقعة في المجرّة. (لسان العرب ٨/ ٣٧٧ مادة: هنع).

(٣) الغَفْر منزل من منازل القمر ثلاثة أنجم صغار، وهي من الميزان (لسان العرب ٥/ ٢٩ مادة: غفر).

(٤) الزُبانى: كواكب من المنازل على شكل زبانى العقرب (لسان العرب ١٣/ ١٩٥ مادة: زبن).

(٥) السعود: عدة كواكب، يقال لكل واحد منها: سعد كذا، ومنها سعد السعود وهو أحدها.

(٦) النثرة: نجم من نجوم الأسد ينزلها القمر. وقيل: كوكب في السماء كأنه لطخ سحاب حيال كوكبين، تسمية العرب نثرة الأسد وهي من منازل القمر. (لسان العرب ٥/ ١٩٢ مادة: نثر).

(٧) الطرفة أو الطرف: من منازل القمر، كوكبان يَقْدُمان الجبهة وهما عينا الأسد ينزلهما القمر. (لسان العرب ٩/ ٢٢٠ مادة: طرف).

(٨) الإكليل: منزل من منازل القمر وهو أربعة أنجم مصطفة. (لسان العرب ١١/ ٥٩٦ مادة: كلل).

(٩) القلب: قلب العقرب: منزل من منازل القمر، وهو كوكب نيّر، وبجانبيه كوكبان. (لسان العرب ١/ ٦٨٨ مادة: قلب).

(١٠) الشولة: منزلة وهي كوكبان نيران متقابلان ينزلهما القمر يقال لهما: جُمة العقرب (لسان العرب ١١/ ٣٧٦ مادة: شول).

(١١) الرشا: من منازل القمر، وهو على التشبيه بالحبل. وقيل: الرشا: كواكب كثيرة صغار على صورة السمكة يقال لها: بطن الحوت، وفي سرّتها كوكب نيّر ينزله القمر. (لسان العرب ١٤/ ٣٢٣ مادة: رشا).

الإجمال، وأقمت في هذه السماء، في تحصيل هذه الأنباء يومين، كل يوم منهما على قدر أربعة عشر يومًا من أيام الدنيا.

جلنا الله وإياكم ممن عقل معناه [وأكرم مثواه][1] وبر أباه، وحفظه وتولاه، وقدس في كل موطن معناه، وأبين له طريق هداه [ونزه][1] في كل وجهة محيّاه[2]، وأكرمه مولاه في مماته ومحياه، وحياه عند اللقاء الأنزه، بالتحيات الطيبات المباركات وبياه[3] فالفائز والله من زكى روحه، والخائب من دساه.

٣ ـ في اختصاص العشاء بيوم الثلاثاء ومن هو الإمام [فيه][1]، وما يظهر فيه من الانفعالات بمشيئة الله تعالى:

سلامٌ على يومِ الثُلاثاءِ إنَّهُ — لَهُ هِمَّةٌ خضتْ بَعُشق مُحمَّدِ
له الدَّرجُ الْعَالي إلى كلِّ غايةٍ — من العالَم الْعُلْوِيِّ في كلِّ مَشْهدِ
به كانَ بأسُ الله في الكلِّ ظاهرًا — ولَكنَّه في كلِّ عَضْبٍ مُهَنَّدِ[4]

ثم أنشأ لي جوادًا من المرة الصفراء، والتحفت بالبردة الحمراء، وسرت أريد سماء الخلافة النبوية، والإمامة البشرية، فلما وصلت الفلك الخامس، إذا بالخليفة جالس مرتد برداء العزة والسلطان، عديم النظراء والأقران، فسلمت فرحب وأهل، ووسع وسهل، وأمر بذبح ما حضر من الحيوان، وتسعير النيران، فحمرت القدور[5] الراسيات، وأحضرت جفان[6] كالجابيات، وجيء بالكوامل المستديرات، عليها من الخبز المرقق، واللحم المدقق، ما تسرى برؤيته الحياة في الأشباح، وتتنعم بمشاهدته لطائف الأرواح، ناهيك من طعام صدر عن سر الحرفين، ونزل من كرسي القدمين، فلما تملأنا من الطعام، وحمدنا الله تعالى على ما منحنا من سوابغ الإنعام، أظهر الخليفة عزة نفسه، وقوة بأسه، وبيده قضيت من الذكر اليماني رقيق الأشفار[7]، ماضي الغرار[8] فقلت، حذار من أسد العرين[9]، حذار،

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٢) المحيّا: جماعة الوجه أو حُرّه.
(٣) بياك الله: سرّك وعجّل لك ما تحب أو بوأك منزلة حسنة وقرّبك.
(٤) عضب السيف: صار قاطعًا. المهنّد: السيف المطبوع من حديد الهند.
(٥) القدور: (ج) القِدر: إناء يُطبخ فيه.
(٦) الجفان: (ج) الجفنة: القصعة العظيمة.
(٧) الأشفار: (ج) الشفر والأشفار حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر وهو الهدب.
(٨) الغِرار: حد السيف والرمح والسهم.
(٩) العرين: مأوىٰ الأسد الذي يألفه.

وبين يديه جماعة [من][1] الأنجاد الأجواد، قد امتطوا متون الصافنات[2] الجياد، عليهم الدروع المحكمة السرد، وبأيديهم رماح الخطي[3] وقواضب الهند، وهم عازمون على إيقاع البلايا والمحن، وإظهار الحروب والفتن، وإهلاك الأعداء من النحل والملل والفتك فيهم بحد القواضب والأسل[4]، وقد ظهر سلطان الغضب المقلق، [وارتفع][1] لنار الحمية اللهب المحرق، وبان الطريقان، وامتاز الفريقان، وكل فريق يذب عن سنته، ويحمي ذمار سننه، فقلت: يا سوء المكر الذي يحيق بعالم الخفض، ويا بؤسًا لأهل الأرض، وقام وزير الخليفة خطيبًا في ذلك الملأ الأعلى، عن إذن الخليفة المولى، وبيده عصا من الحديد، يلحق بها القريب والبعيد، متوجًا بعمامة حمراء، مرتديًا برداء أحمر، عليه فظاظة[5] نكير ومنكر، فعندما أراد الشروع في خطبته العمياء، والتحريض على إمضاء فتنته الداهية الدهياء، أقام المؤذن صلاة العشاء، فبادرت للصف الأول خلف الإمام، فبينما أنا أحضر نية الإحرام[6]، إذ سنح[7] بخاطري رسول الإلهام، لأبيات سمائية في أسرار صلاة عشائية.

[والله الموفق لا رب غيره][1]

دعـانـي لـلـمُـسـامـرةِ المنادِي	مع المحبوبِ حين أتَى العِشَاءُ
فأسبقتُ الوُضُو وجئت قصدًا	إلـيـه ولـم يـنـهـنـهـنـي الـلـقـاءُ
فـكـبـرْنـا نـشـيـرُ بـأن أتـيـنـا	فـمـا رفـعَ الـحـجـابُ ولا الـلـواءُ
فـأثْـنَـيْـنَـا بـحُـمْـدَيْـهِ جَـمـيـعًـا	فَـشَـالَ الـسِّـتـر وارْتـفَـعَ الـغِـطَـاءُ
وقـال: أَصَبْتَ خيرًا يَا سمِيري	وصـحَّ لـكَ الـسَّـنَـا ثـم الـسَّـنـاءُ

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٢) الصافنات (ج) الصافن: من الخيل: القائم على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة.
(٣) الخطي: من الرماح المنسوب إلى الخط، وهو ساحل البحرين وعُمان الذي كانت تُحمل الرماح إليه.
(٤) الأسل الرماح.
(٥) الفظ: الجافي السيىء الخلق الخشن الكلام.
(٦) أحرم المصلّي: دَخل في الصلاة بتكبيرة الإحرام.
(٧) سنح لي رأيٌ في كذا: عرض وظهر وسنح الخاطر بكذا: جاد وسمح.

تُسامِرُني بلفظك من بعيدٍ وللمَعْنَى على القُرب استِوَاءُ

فلا شَرْقٌ ولا غَرْبٌ لِذَاتِي وليس لها الأمامُ ولا الوراءُ

ولَيْس لها الأَسَافِلُ والأَعَالِي وليس لها الكِفَاحُ ولا الأزاءُ

لنَا الظلماتُ والأنوارُ حجبٌ على الأبْصَارِ ثمَّ لنَا العَمَاءُ

فَإن أكْنِي بَنَيْتُ على وجُودِي لِتَعليم فَأنتَ لهُ لِجَاءُ

فيا قومُ اسمَعُوا ما قالَ رَبِّي وما أَغطَى التعبُّدُ والحياءُ

[ولما أن صفَا الودُّ اتحذْنَا فكان المرتدِي وأَنا الرداءُ[1]]

فلما أحرمنا بدت ظلمات العمى، فلما افتتحنا المخاطبة أجبنا من غير أرض ولا سماء، فلما جهرنا قيل من أنتم ومن أنا، فلما أسررنا وقفنا في العناء، فلما كبرنا في الركوع هيمنا في الهواء، فلما رفعنا [ظهر][1] سلطان الحيرة، فلما [سجدنا][1] أسدل حجاب الغيرة، فلما استوينا جالسين رأينا المستوى على السرير غيره، فلما سلمنا سلبنا المعرفة، ورمى بنا في بحر الصفة، فلما فرغ الإمام من صلاته وأكمل جميع تسبيحاته ودعواته، أخذ الخطيب عصاه، وقام إلى ما كان قبل ذلك نواه، فقال: الحمد لله، واضع الملل وشارع النحل، تارة بالوحي، وتارة بالإلهام، فوقتًا خلف حجاب الإشراق، ووقتًا خلف حجب الإظلام، فأضل وهدى، وأنجى وأردى، وأقام أعلام الضلالة والهدى، ففصل بها بين الأولياء والأعداء، فجعل الهدى لحزب السعادة سلمًا، ونصب الضلالة لحزب الشقاوة علمًا، وأوقع بينهما للفتن والحرب، في عالم الشهادة والغيب، وثبتت في صدورهم الشحناء، وبدت بينهم العداوة والبغضاء، فسفكت الدماء، واتبعت الأهواء، فالسعيد منا من ناضل عن شرعه المؤيد بالآيات، وقاتل عن وضعه المقرر بالمعجزات، والشقي من احتمى بحمى الضلالات، ودافع عنها بمجرد الحمايات، وأعمى نفسه عن ملاحظة الصواب، فيما وقع من الخطاب، فبادروا إلى نصرة الدين المكي وقاتلوا بما ثبت في نفوسكم من اليقين اليمني وقد خاب من طلب أثرًا بعد عين، ورجع بعد معرفته بعلو مرتبته الصدق إلى المين، جعلنا الله وإياكم ممن ذب عن شرعه المعصوم، وناضل عن دينه المعلوم.

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

وأنا أيها الأشراف الأقاول، والربانيون الأوائل، روح المقام المحمدي، ومعطيه سيف منزل الاستخلاف الكلي، لنا الحياة والنمو، والاعتدال والسمو، ومعالي الدرجات، وبلوغ الغايات، والترقي إلى المعالي، والتلقي من المقام الأنزه العالي، وتحليل الجامد، والترحيب بالمقاصد، والعز القاهر، والسلطان الظاهر، والنضال عن الدين، وسفك دماء الملحدين، ونصرة الغزاة الموحدين، ونيل الأغراض وسرعة الانتهاض، إلى إزالة الأمراض، فله الشكر سبحانه على ما أولى، وله الحمد في الآخرة وفي الأولى.

٤ ـ في اختصاص العصر بيوم الأربعاء، ومن هو الإمام فيه، وما يظهر من الانفعالات، بعون الله ومنه وكرمه:

سلامٌ على عيسى المسيحِ ابن مريمَا ... نـبـيٌّ لـهُ الأرواحُ أيَّـانَ يـمَّـمَـا

تبَدًّا ونورُ الشمسِ في الأُفقِ طالعٌ ... فلم أذرِ مِمَّن أشرقَ الكَوْنُ مِنْهما

تولَّدَ في الأرْحَامِ من غيرِ شَهْوةٍ ... عن النَّفْحَةِ العُلْيَا فَصَارَ مُحَكَّمَا

على سِرِّ إحْياءِ المواتِ ونَشْرِهَا ... فـكـانَ لـيـومِ الأربـعَـاءِ مُـتَـمِّـمَـا

وكـاتِـبُـه الـوهـميُّ يُـرْسِـلُ هَـمَّـةً ... على رُوحِ فَرَّارٍ فَتْسمَى مُجسَّمَا

فكانَ لَطِيفًا في التَّحالِيلِ صانِعًا ... وكانَ شُجَاعًا في التَّراكيبِ مُقْدَما

فلما فرغ خطيب الفلك الخامس من خطبته، وقرع الأسماع بموعظته، وأثنى على نفسه بعلو درجته، خرجنا نريد السياحة في فلوات المعاني، والسياحة في الفلك الثاني، فسحت في مساحات الأكوار والأدوار، وسبحت في ساحات الأنوار والأسرار، فتلقتني النفخة الروحية المنبعثة من القوة اللوحية، بالشعلة اليوحية المتكونة في الأرحام، من غير التحام، فقلت: سلام على الكلمة والروح الإلٰهي، والمنزه عن الاستنكاف[1] الرباني، فقال: وعليك السلام، أيها الطالب علو المراتب، والذاهب في أقصى المذاهب، فقلت: الحمد لله على شهادة اعتصامية حاكمة من نبوة خاتمة فناداني بالحبيب المضاف إليه، ودعا لي بالتثبيت المعول عليه، وسألني هل وقفت على حقائقي، وميزت بين لطائف رقائقي؟ فإن موارد

---

(١) استنكف من الشيء وعنه: امتنع عنه وأعرض استكبارًا وأنفة.

الألطاف أرواح القدس، إنما تكون بعد تقدم معرفة النفس. فأنشدته [هذه الأبيات أقول][1]:

إنّ القُلوبَ بذكرِ الله وآلهةٌ … والسّرُ في مَشهدِ المذْكُور مَشغُولُ
والنّفسُ في البرزخ الكَوْنيّ قابلةٌ … والروحُ في الفلكِ العلويّ مَقبُولُ
والعقْلُ بين أَمِينَيْهِ جَليسُهما … والحسُّ في الفَلكِ السفليّ مغلُولُ

فقال: أبدعت في تفصيلك، ونعم ما أودعت في تجميلك، فهل بان لك نور الخلق والإبداع فيعشق بك البقاع والقاع؟

النور نورُ المُبْدعَاتِ الوُلَّهِ … في أَوجهِ الأعلى النزيه الأنبهِ
فانظُرْ إلى رُوحٍ تجسَّدَ في الثَّرى … وانظُر إلى جسمٍ مريض أشوه
يُبْدي الَّذِي يُخْفِيه في مَلكُوتِه … من مُلكِه الأدْنَى القرِيب الأنْوهِ
تُبْصر عجائِب في منازل خلْقِها … بمُشَبَّهٍ فيها وغيرِ مُشَبَّه
فالروحُ يُشْبه جسمهُ إن جَاءَهُ … والجسمُ لَيْس كذاك عندَ تَولُّهِ

فقال: وهل سلكت أول طريق السعادة، وهو الإيمان بالغيب والشهادة، فعرفت منزل صاحبه؟ وأين يبلغ جواده الكريم الشامخ براكبه؟ فأنشدته.

قلْ للَّذِي يُؤمنُ بالله … أَنتَ على نورٍ منَ الله
أنتَ [الإمام][1] المُصْطَفى والذِي … يَأتي مِنَ الله إلى الله
أنتَ الذي دأنَ لكَ المُسْتوى … وعز سُلطَانكَ بَالله
فافْخَر فإنَّ الفَخْر لا يَنبغي … إلاَّ لَمنْ يَعتزُّ بِالله
لولا الذي عِنْدَكَ من صدْقِهِ … ما كنْتَ في ظِل من الله
واحْذَر فَإنَّ الله مستَدرجٌ … نفْس الذي يغترُّ بِالله
واحسِبْ على نَفْسِكَ أنفاسَها … واهرَبْ مِن الله إلى الله

فقال: هذا الإيمان قد حصل، فهل ألم بك الإسلام ونزل، فأعطاك فائدته

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

وأجرى فيك عائدته فأنشدته [هذه الأبيات][1]

إذا أَسْلَم العَبْدُ واسْتسْلما وكانَ لأمْر الهدَى مُحكما
يُنادي به فِي طباقِ العُلا ألا قرِّبُوا السَّيِّد الملهما
فيأتي إليه بُراقُ الهُدَى يكونَ له للعُلا سُلَّما
فَيَعْلُو عَليْهِ بأذْكارِهِ فيُنزلهُ المخضر المُغلما
وينزلهُ في ذرا أَوْجِهِ فيسمع في حينه: مَنْ وَمَا
وأَنتَ الذِي جئتَ بِي قاصِدًا إليْك وخَاطبْتَ كيْ أفهَما
فهِمتُ الذِي هِمتُ فِيهِ وَمَا يُفِيدُ الفؤادَ إذَا سلَّما

فقال: هذا قد شهد لك بالإسلام بالتمام، فهل للإحسان بساحتك إلمام؟ فإنه يعطيك أسرار الكمال، وتصريفات الجلال والجمال، فأنشدته [هذه الأبيات][1]

إذَا كانَ إحسانِي شُهودِيَ خَالِقي وَكوْنِي مشْهُودًا فما لِي إحْسانُ
فإنَّ وجُودِي من وجُودِ مُشاهِدِي وأنِّي في عَيْنِ المُشاهِدِ إنسانُ
لئن كنتُ قد ساءَتْ ظُنُونِي برؤيتي وجُودكَ يا جُودِي فإنَّك مِحْسانُ
ترانِي إذا جَاء الشِّتاءُ بمنْزلِي كئِيبًا، ومسرُورًا إذَا جاءَ نِيسانُ[2]
وما ذاكَ إلا أنَّ في الصدقِ ثَلْمَةً تَذَل لها عادٌ بِذِلّ وساسان

فقال: هذا الإحسان قد ظهرتُ منك أعلامه، وانتشرت فيك أحكامه، فهل انتقلت عنه إلى سر السرى، فعلمت أنه لا يعلم ولا يرى؟ فأنشدته [هذه الأبيات][1]

سرِّي بسرِّ السُّرى للسرِّ مَوصُولُ ولا تكَيُّفَ، إنَّ الكَيْفَ تَضْليلُ
إذا عجزْتَ عَن إدرَاكِ الإلـٰهِ بِما يُعْطِيه بُرهانُه، فالعَجزُ تحْصيلُ
فلاَ تُفصِّلْ ففي التَفْصِيل تجْمِلةٌ ولا تجَمِّل ففي الإجمَالِ تفْصِيلُ

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) نيسان: الشهر الرابع من شهور السنة الشمسية الميلادية، ومدته ثلاثون يومًا، وهو من شهور الربيع.

العلمُ باللهِ نفيُ العِلمِ عَنْ خَلدِي ... لكنّ مشْهَدَهُ لِلعَقلِ مغْقولُ[1]
إِذَا شَهِدْتَ الْفَنا فيهِ شُهْدتَ وَقد ... أتى بذلكَ مَعْقُول ومَنْقُولُ
العلمُ بِاللهِ ذَوْقٌ لا دَلِيلَ لَهُ ... ما الله في العَقْلِ لِلبُرْهَانِ مَدْلُولُ

فقال: هذا سرك ظاهر، وسرك به قاهر، فهل أوقفك على سر الأيام المقدرات الموجودة عن الأيام المسخرات؟ وهل أشهدك سر الأبدية في يوم الاستحالات، وكيف جمع المحالات؟ فأنشدته [هذه الأبيات][2]

لقدْ كانَ الوُجُودُ بِلاَ زَمَان ... ولاَ كَوْنٍ وكانَ لَهُ التمامُ
فلمَّا أن أراد وجودَ عَيْنِي ... وكانَ الخَلْف قَيَّدَهُ الأمَامُ
فَما يُدرى الوجُودُ بغير ضدٍّ ... كما المأمُومُ مَيَّزهُ الأمَامُ
فأولُ ما بدَا روحٌ تَعالَى ... وصحَّ له الإقَامةُ والدَّوامُ
فيَومٌ ثم يَوْمٌ لا يُجَارَى ... وأَرْبَعَة فَقَامَ بِها النظَامُ
وأيَّامُ الإلَهِ مُقَدَّرَاتٌ ... فلَيْس لها وجُودٌ والسَّلامُ
فمِنْها سِتَّةٌ ظَهرَتْ وبَانَتْ ... وقيَّدَهَا التَّصَرُّفُ والمُقَامُ
وَوَاحِدُهَا عَزِيز سرْمَدِيٌّ ... لهُ القَدَمُ الصَّحِيحَةُ والمَقَامُ[3]
وذَاكَ السَّبْتُ رِفْعَتُهُ نَهارٌ ... بأقْوام وشِقْوَتُهُ ظَلامُ
إلى الأبَدِ الَّذِي ما فيه وَقْف ... وفِيهِ كَانَ لِلنَّفْس القَوَامُ

فقال: نعم ما به أتيت، وصحيحًا يا حبيبي كل ما رأيت، لقد جمع لك بين مشاهدة العين، ومكاشفة الكون فأنت الإمام الذي لا يجارى، والعلام الذي لا يبارى، ثم أقيمت في عالم المثال، صورة الدجال، فقتله في عالم المعاني حيث أرى، وألحقه بالثرى، ثم جيء بكساء صوف من النور الأصفر، فانتزع من عرضه قدر أربع أصابع ليس أكثر، ولم يكن لطول [ذلك][2] الكساء ابتداء ولا انتهاء، وقال: هذا كفنك، وفيه مسكنك، ثم أمرني بالزهد والسعاية والجد، وأحضرت بين أيدينا مائدة الابتلاء، فأكلنا معترفين بالمنعم والنعماء، ثم منحني عوارف

---

(١) الخَلَد: البال، والقلب، والنفس (ج) أخلاد.
(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٣) السرمدي: منسوب إلى السرمد: وهو الدائم الذي لا ينقطع.

اللطائف، وفنون المعارف، وترتيب المواقف، ومنازل العلوم وأسرار ما تحمله في سباحتها النجوم، وميز لي بين الخواطر، وأوقفني على المراتب والكراسي والأسرة والمنابر، وأدخلني حضرة الإلهام والوحي، وحذرني موارد القياس والرأي، ورفع لي عن منازل المبشرات، وكشف لي عن معادن النبوات، ونصب لي موازين الفكر، وعرض عليّ مقادير النظم والنثر، وخاطبني بغرائب السجع[1] والشعر، وأبان لي عن سر التحقيق بالتحليل، وفرق لي بين التحقيق والتخييل، وأوقفني على غلطات الأذهان، والتفرس[2] في الأعيان، وسر المشي على الماء، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، وكشف لي عن خواص [سر][3] المعادن والأحجار، وقال: ليس أقبل للسر من الفرار، ولقد تطاول إليه الحيوان وما حواه نبات المعارف في كل جنان، ثم [قال لي ع][3] ما سمعتك، وخذ ما أودعتك، وانزل به في الآن، فسترى في أعيان الأكوان، وهذا وقت صلاة العصر قد حان، فصلِّ معنا وانصرف حيث شئت، من الطريق الذي عليه جئت، فأقيمت الصلاة، وتقدم الإمام، واستوت الجماعات، وترتبت الصفوف، وطال الوقوف، فخطر في النفس أن أقرع الأسماع، بأبيات من الشعر، في أسرار صلاة العصر، [وهذه هي الأبيات الحسان][3]

دَعَانِي إلٰهي كي أُناجيه بالسرِّ
فنادَى المُنَادي قَدْ أتى مَشْهَدُ العَصْرِ

فَقمْتُ فأسْبغْتُ الوُضُوء ولَمْ أَزَلْ
بِعِلْمي به عُري عَلى أَسبغِ الظهْرِ[4]

فكانَ لنَا نُورًا على نورِنا الَّذِي
أَتَيْنا بهِ مِنْ قَبلُ [في][3] مَشْهَدِ الظهْرِ

فقال: عُبيدِي. قُلْتَ: لبيَّكَ سيِّدِي
أَتدْرِي بأنِّي وَاهِبُ النَّفْعِ والضُّرِّ

---

(١) السجع: في البديع هو الكلام المنثور المقفىٰ (ج) أسجاع.
(٢) تفرس فيه: تثبت ونظر. وفيه الشيء: توسمه.
(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٤) أسبغ الوضوء: أتمه.

وأنَّ لِـي الـتَّـحْـريـكَ فـي كـلِّ حـالَـةٍ
وأن لِـي الـتَّـسـكـيـنَ. قـلـتُ لـهُ: أَدْرِي

فـقـالَ لِـي: اشْـرعْ فـي الـصَّـلاةِ فـإنَّـنـي
أُنَـاجِـيـكَ فـيـهـا بـالـبـشـارةِ فـي الـسِّـر

• وأعْـطـيـكَ عِـلْـمَ الإلـتِـحَـامِ بِـصُـورَتـي
وكـونَـكَ مِـنِّـي فـي الـوُجُـودِ عـلـى قَـدْرِ

فـيَـلْـثِـمُ مِـنـهـا الـثَّـغـر فـي رَوْضَـةِ الـمُـنَـى
فَـبُـورِك مِـنْ لَـثْـمٍ، وبُـورِكَ مِـنْ ثَـغْـرِ[1]

وتَـمْـتَـصُّ مِـنـهُ ريـق عِـلْـم ولا تَـرَى
تُـشَـبِّـهُـهُ بِـالـسَّـلْـسَـبِـيـلِ وبِـالْـخَـمْـرِ[2]

تُـعـانِـقُـهـا الـلَّـيـلَ الـطـويـلَ بِـحَـضْـرَتِـي
وتَـنْـكَـحُـهـا بـالـوَهْـبِ مِـنْ غَـيْـرِ مـا مَـهْـرِ

فَـلاَ شَـيء أَحْـلَـى مـن نِـكَـاحٍ بـلا مَـهْـرِ
ولا شَـيءَ أَغْـلَـى مـن صَـلاةٍ بـلا طُـهْـرِ

[فـإنَّ ظـهـورَ الـقـيْـدِ بُـرهـانُ نَـقْـصِـهِ
فما أحسنَ اللغز الذِي سقتُ في شِعرِي][3]

فلما كبر الإمام، صح الإلمام، فلما افتتحنا التحفنا، فلما ركعنا امتطينا، فلما رفعنا اعتنقنا، فلما سجدنا اضطجعنا، فلما جلسنا استوينا، فلما سلمنا علمنا بأنا وهِمْنَا فيمنْ همنا وما فهمنا، ثم قمت بعد أن فرغنا من الصلاة أسمع الحاضرين تعظيم الأرواح والكلمات، فقلت: الحمد لله الذي اختص هذه الحضرة بالعلمين، ونزه إمامنا هذا عن الشهوتين، وإعطاه لواء الختمين، وأضافه إلى كلمة وسبح به في لجج حكمه، انتسب إليه فعبد، واستوى عليه فقصد، اختص بخصائص الفهم، ووهب له غرائب العلم، ونطق في المهد[4]، بالإقرار والجحد، فقال: ﴿إِنِّي عَبْدُ

---

(١) لثم الفم أو الوجه: قبّله.

(٢) السلسبيل: الشراب السهل المرور في الحلق لعذوبته. أو هو الخمر

(٣) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٤) المهد: فراش الطفل (ج) مهود.

الله آتانِي الكِتَاب وجَعَلني نَبيًا وجَعَلني مُبَارَكًا أيْنما كُنتُ وأوْصَانِي بالصَّلاةِ والزَّكاةِ مَا دُمتُ حَيًا﴾ [مريم: ٣٠ و٣١] فعرف ماله قبل فطامه، وحكم على نفسه بالاستقامة قبل استحكامه وشهد لنفسه بقبول الوصية الإلـٰهية، بالصلوات النورية والزكاة البرهانية، وسلم على نفسه في الثلاثة الأحوال، ثم نزه نفسه تعالى عما قاله أهل الضلال؛ [الضلال][1] فقال: ﴿ذلك عِيسى ابن مَرْيَمَ قول الحقِّ الذِي فيه يمتَرون ما كانَ لله أن يَتخذَ من وَلدٍ سبْحَانهُ إذَا قَضَى أمرًا فإنّما يَقُولُ له كُنْ فيكُون وإنَّ الله ربِّي وَرَبُّكُمْ فاعْبُدُوهُ هَذَا صِراطٌ مُستقيمٌ فاخْتَلفَ الأحزَابُ من بَينهمْ فَويلٌ للَّذين كفَرُوا من مَشهدِ يوْم عظيم﴾ [مريم: ٣٤ ٣٧] فبادروا أيها الحاضرون إلى هذا النبيّ الكريم، بالتوقير والتعظيم تفوزوا بالمقام الجسيم، عند الرؤوف الرحيم.

جعلنا الله وإياكم ممن عرف شرف الكبير، ورحم الصغير، فنال المقام الخطير، آمين.

٥ ـ في اختصاص الظهر بيوم الخميس، ومن هو الإمام فيه وما يظهر فيه من الانفعالات:

سلامٌ على مُوسى الكَليم المكلَّم	سـلامٌ عَـلـيـهِ مِـنْ نَـبـيٍّ مُـكـرَّم
أتانا على خَمسين يَوْمًا مُحكما	فـأظْـهـر فِـيـهِ كـلَّ روُح مـحـكَّـم
وَأخْلى لهُ قَاضِي السَّماء محلهُ	فـزوج فيـه كـلَّ شـخـصٍ مُـجسَّـم
وبُـيَّـض فِـيـه كـلُ شـيء مُـسـوَّد	وفـتِّـح فِـيـه كـلُ بَـابٍ مـخـتَّـم
وشال حجَاب الغيب عَن عَين قَلبه	فـشَـاهَـد فِـيـه كـلَّ وسْـم مُـوَسَّـمِ

ثم رحلنا نبتغي سماء الكلام، لنقف على ورثنا من موسى عليه السلام، فلما دخلنا عليه، وحضرنا بين يديه، سلمنا وخدمنا، فأكرمنا واحترمنا، وجمع لنا بين إقبال الأخوة والأبوة، إثباتًا لشرف النبيّ محمد ﷺ، ووفاء بمقام النبوة، فقلنا له: هات حظنا منك، لنخبر به عنك، وأوقفنا على ما لديك، وما صرف [الرحمـٰن فيه من][1] النظر إليك فشال الحجاب، فانفتح الباب، من خلفه جنتان، ذواتا أفنان،

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

فيهما عينان يجريان، فيهما من كل فاكهة زوجان، فيهن قاصرات[١] الطرف لم يطمثهُن[٢] إنس[٣] قبلهم ولا جان[٤]، كأنهن الياقوت والمرجان، فقال: هذا لمن حرم في الدنيا الأمان.

ثم شال عن يساره الحجاب، فانفتح الباب، من خلفه جنتان مدهامتان، فيهما عينان نضاختان[٥]، فيهما فاكهة ونخل ورمان، فيهن خيران حسان، حور مقصورات في الخيام، لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان، متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان، فقال: هذا لمن عاش بالأمان، وبقيت الأعيان، تطّلب العيان بالعيان، فشاهدنا ما أخبرني الله في السورة الذي يذكر فيها: الرحمٰن، علم القرآن خلق الإنسان، علمه البيان، غير أن جنى الجنان، ليس بدان، فلما قصرت أيدينا عن تناول شيء منها، سألته: ما السبب الذي قصر بنا عنها؟ فقال: يا ولي تناولها موقوف على التركيب الثاني، إن قمت بتعظيم معرفة المثاني وأنت في التركيب الأول، فاصبر حتى يتحول، فإذا سترت روحانيتك جسمك، ووسمت وسمك، وعرفت سعادتك وإعادتك واسمك، وصرت في الصور الحول القلب، يذهب منها كل مذهب، حينئذ تتناول ما بسق[٦] من أشجارها، وتستنشق ما شئت من روائح أزهارها، وتقف على سر حجرها وأحجارها، فهنالك يبدو لك شرف الاعتدال، وصورة الكمال، وسر الثوب الذي مال، وروح الضياء والظلال، والتحاق النساء بالرجال وشفوفهن عليهن في جنات الأحوال، ويظهر لعينيك استواء المنحرف الميال، ويبقى العلم ويذهب الخيال، وتتضح المعاني ويزول الإشكال، وينحفظ الترتيب، باعتدال التركيب، وتبرز حقيقة الأبد، ويدوم البقاء بالديمومية الإلٰهية من غير أمد، وتلوح كيفية التولد، وماهية التعبد، وأسرار الصلاة والصدقات، وسبب الأولياء والشهود في النكاح والصدقات، ومعالم

---

(١) امرأة قاصرة الطرف: خجلة حيية، لا تمدّ عينها إلى غير زوجها.

(٢) الطمث: الدنس.

(٣) الإنس: البشر وواحده إنسي، والجمع أناسي.

(٤) الجان: اسم جمع للجن، وقد خلقهم الله من مارج من نار، وقد سموا بذلك لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار.

(٥) النضاخة: عين نضاخة: فوّارة غزيرة تجيش بالماء، وترمي به صُعُدًا.

(٦) بسق النخل وغيره: طال أو تمّ ارتفاعه.

الوقوف بعرفات[1]، وسفك دماء القرابين بمنى لابتغاء القربات، ومقام الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات، المقرون بذكر الآباء والأمهات، وانتظام الشمل بالحبايب، والتحاق الأحباب بالأقارب، وتنوع المراتب، باختلاف المذاهب، وسرور الروح والنفس، بتحصيل الجمال والأنس، وتقف على سر إجابة دعوة المضطر وإن كان كافرًا وهدى الطالب إذا كان حائرًا، وتعلم أن الله لا تضره معصية عاصي، ولا تنفعه طاعة طائع، ولم يسمى بالمانع، والجواد ليس بمانع؟ ثم قال: ناد يا حنان يا منان، يا رؤوف [يا قديم][2] الإحسان، يا من جعل معدن النبوة أشرف المعادن، وموطن الأحكام أرفع المواطن، أنت الذي سويت فعدلت، وفي أي صورة ما شئت ركبت ما سويت، يا واهب إذ لا واهب، ويا مانح المثوبات أهل المكاسب، أنت الذي وهبت التوفيق، وأخذت بناصية عبدك ومشيت به [على][2] الطريق، وخلقت فيه الأعمال الرضية والأقوال الزكية، وأنطقته بالتوحيد والشهادة، ويسرت له أسباب السعادة، ثم أدخلته دارك، ومنحته جوارك، وقلت له: هذا بعملك، ولك ما انتهى إليه خاطر أملك. فناديته كما أمرني فأجاب، وقرعت بابه بهذه الكلمات ففتح ورفع الحجاب، فلما تجلى دك الجبل الرأسي، وحزرت على رأسي، فانصرف الإدراك إلى القلب، فأبصر، وقال: أين هذا من مقام الله أكبر، وهو الله أكبر، فلما أفقت بعد الصعق، وأبدرت بعد المحق نطقت بالتنزيه، الذي يوهم التشبيه، والتحقت بأول إيمان الأولياء الأبرار، بأنه لا تدركه الأبصار، إلا في غير هذه الدار، وأخلصت المناب، فمن الله وتاب، فقلت لموسى عليه السلام: هذا ميراث مشهدك، وأسنى مقعدك، صدق خاتم الأنبياء في إبانته عن مرتبة العلماء بأنهم ورثة الأنبياء، والحمد لله الذي أورثنا [ثم أماتنا][2] وبعثنا فقال موسى: هل رأيت معدن النورين، ومحل السرورين [فقلت][2] وأين ذلك؟ فقال: في صلاة الظهر [نور][2] في نور، وسرور [في سرور][2] فقلت: لو حان وقتها صليتها في حضرتك، ووقفت عليها من مرتبتك، فإنك الأخ، من تمنيك الأنفس، والسيد من المقام النبوي الأقدس، فقال: أما

---

(١) عرفات: جبل قرب مكة يقف عليه الحُجاج يوم التاسع من ذي الحجة. ويوم عرفة غير منون ولا تدخله الألف واللام.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

ترى الشمس في مدرجة السلوك قد شرعت في الدلوك؟ فأقم الصلاة، وأحرم وحلل كل ما يأتيك فيها ولا تحرم، حتى تسلم، فإذا سلمت حرمت عليك الأشياء [وحكمت عليك الأبناء، فوقع في نفسي][1] من أسرار صلاة الظهر [أشياء][1] ضمنتها أبياتًا من الشعر، فاستمعها الإمام، قبل أن يشرع في القيام، وهي [هذه الأبيات][1]:

دَعَانَا لِلْمُنَاجَاةِ السَّلامُ ... وقالَ لنَا التَّكَلم والكَلامُ
وأَسْبغتُ الوُضُوءَ على حُضورٍ ... إلـٰهِيٌّ يُؤيِّدُهُ التَّمَامُ
وأَحرمنا فحرَّمنَا المعَانِي ... وكبَّرنا فكبرنَا الإمَامُ
تناجَيْنا طويلاً في المغانِي ... على كثب وقَد رفِع القِرامُ
وفاتحنَاهُ بالتَّحميدِ كيْما ... يُراجِعُني فيَثْبُتُ لِي المقَامُ
فمِنِّي اللَّفظُ والمَعْنى إليهِ ... ومنْهُ إليَّ معْنى والسَّلامُ
فيُظهرنِي بِه فِيما لدَيْهِ ... على كَونِي إذَا اشْتدَّ اللِّزَامُ
ويَظهرُ لي فأكتمُهُ فيخفي ... فأظهرُه فيسْترُه الغمامُ
وَيأتِي الأمْرُ مِنهُ إليّ حَتْمًا ... بأنَّ الكشْفَ فِي الدّنيَا حرَامُ
فأسْترهُ فيَستُرنِي فيَبْدُو ... لدَى السُّترَينِ آياتٌ جِسامُ[2]
فأرجِع لِلأنامِ مِن الكَلامِ ... وعِندِي مِنه أهْوالٌ عِظامُ[3]
فمِنْها العَينُ والتَّحكِيمُ فِيها ... ومنها الانزِعاجُ والاضطِلامُ
أكاسِيرٌ ترُدُّ المَيْت حيًّا ... ويُمطِرُ عِندَ رُؤيتِها الجهَامُ
وكانَ الحقُّ مأمُومًا ورَائِي ... على تعظِيمهِ وأنا الإمَامُ
وذلك في الظَّهيرةِ حِين زَالتْ ... غزَالتُنا فصَحَّ لنا المُقامُ
فهذا اللُّغزُ إنْ فكَّرتَ فِيه ... وجَدتَ الحقَّ حقًّا يا غلامُ

[فلما رفعنا رُفعنا][1] فلما أحرمنا أحللنا، فلما افتتحنا منحنا، فلما ركعنا سمعنا، فلما رفعنا أطعنا، فلما سجدنا وجدنا، فلما جلسنا أنسنا، فلما سلّمنا سلِمنا، فلما فرغ الإمام من جزيل المثوبات، واستعاذ من وبيل العقوبات، صعدت

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٢) الجسام: (ج) الجسيم: العظيم.
(٣) الأهوال: (ج) الهول: الفزع.

منبر النور، وفي يدي عصا من البللور، وقلت: بسم الله الرحمٰن الرحيم: الحمد لله الذي ألحق العلماء بأنبيائه وأسكن أرواحهم مع ملائكته في سمائه، وجعلها طيارة في فسحات الأفلاك، سيارة في روحانيات الأملاك. أفاض عليها من نور تجليه ما أداها إلى الصعق، وأبان لها من مقامات القرب ما حكم عليها [به][1] سلطان السحق، دعتها نغمات إيقاع السماع في الأسماع، إلى الاستماع، فاشتاقت إلى خطاب الأحباب، بمدارك لباب الألباب، من غير حجاب ولا حجاب، فوقعت المحاورة والمخاطبة، والمجالسة والمعاتبة، وزالت المراسلة والمكاتبة، فسطعت أنوار أسرار ثوراتها، وتبلبلت بلابل سرها بكلماتها، فقالت وقال، وأطالت وأطال، ثم منحها الوصيات القدسيات، والتدبيرات الإلٰهيات، وأطلعها على أسرار النيات، في المناجاة بالنيران المتخيلات، وقيل لها إن جل الخير، في السعي على الغير، فمن أراد مني قضاء مآربه، فليقض حاجة صاحبه، وإن لم يستند فيها إلى جانبه، ولو ذهب في غير مذاهبه.

يا أيتها الأرواح الطاهرة، والأنفس الزاهية المتظاهرة، ها أنا أقرب إليكم منكم ولكن لا تغتروا، فكما أنا لكم، أنا عليكم، وقد أبنت لكم في مقام المعرفة، أنه لا تقيدني صفة، فالزموا مواطن العدل، وانعموا بسوابغ الفضل، فإني الشهيد الذي لا يقبل الرشا، والبصير لا يقوم ببصره غشا، فلا تحاسدوا ولا تدابروا، ولا تقاطعوا ولا تهاجروا، ولا تباغضوا ولا تنافروا، وكونوا عباد الله إخوانًا، تنالوا بذلك رفعةً وأمانًا، فأنتم السابقون [المقربون][1] وأنتم الرسل المقربون وأنتم المرشدون الأعلون، فلا ينجو بكم الغير وتشقون فاحفظوا وصيتي ولا تنسوها فرجعت الأرواح بألوية رسالاتها منشورة، ونصبت كل لواء بإزاء كل صاحب سورة، وخاطبت النُّهى، ومنحت اللّهى، جعلنا الله وإياكم ممن تميز في صدر الجلال والبها، وتعزز بالسمو على سدرة المنتهى.

٦ ـ في اختصاص المغرب بيوم الجمعة، ومن هو الإمام فيه وما يظهر فيه من الانفعالات:

يــومُ الــعَــرُوبَــةِ آخِــرُ الأيّــامِ   ألــســتــة الــمــشــهُــورةِ الأعْــلامِ

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

فيه تَلَقُّفَ لوحُنَا أسْرَارهُ مِن رَبِّه بوسائط الأقْلامِ

في كلِّ ما يجر به في تَصريفهِ بوَسائِط الأحْكام في الأحْلاَم

فالسِّر يلعبُ بالنفّوس وبالنهى كتَلاَعُبِ الأفْلاَكِ بالأيَّام

حتَّى إذَا ما تَنقضي أيَّامهُ يَبْقَى جَهُولاً بالمَقَام السَّامِي

ثم نزلنا من سماء النظام إلى سماء التصوِر التام، بحسن الانتظام، لنأخذ إرثنا من يوسف عليه السلام، فوجدناه على سرير قدسه، فاستنزلنا روحانية نفسه، فنزل في حسنه البديع، موافقًا [حركة][1] الربيع فأبصرنا وجهًا كأنه بدر التم، أو الشمس حين تجلى عنها الغيم، فتصدعت القلوب، وتيتمت النفوس وهيمت الأرواح، وتقيدت العقول، وتوقفت الحواس، وانكشف البال وتغير الحال، وبلبل بلبُلُ الوجد بين في الجوائح، وتقصفت الأعضاء وحذرت الجوارح، ودُعي داعي الأشواق، وقام بالقلب الاصطلام والإحراق، وتمكن الأرق[2] واشتد القلق واستوى [سلطان][1] الذبول، بجيش النحول، وأرسلت سماء الدموع، على أرض الخضوع، فقلنا له: هذا فعلك على النصف، فكيف لو اجتمع الموصوف والوصف، وبين يديه صورة ينشئها، وبنية يهيئها، قد زينها أحسن تزيين، وأسرى في مسالكها أحوال التلوين، وأرسلها في الكون، محبوبة إلى كل عين، تسحر الناظر وتقيد الخاطر، وتعطي اللذة قبل النيل، وتحير السمع في ترجيع القول، إن غنت عنت، وإن نظرت سحرت، وإن لمست أبلست، وإن ملكت فتكت، وإن لعبت أتعبت، وإن لهت ولهت، وإن أعرفت أرعفت[3]، على رأسها تاج من الغمام، وعلى جبينها إكليل من الدر التمام وفي إصبعها خاتم الحمام، إن هجرت أقبرت، وصلت وإن وصلت أقبلت، إلا أن لها سياسة مدنية، ورياسة إنسانية، تتواضع فتهتك السرائر، وتترافع فتتعب البصائر، الهيبة منوطة بذاتها، والجلال من جملة صفاتها، فبينا أنا أنظر في جمالها، وأهيم بين دلها ودلالها، إذ أقيمت صلاة المغرب، فقالت: [قم نشاهد الأمر المغرب][1] فقمت، وقد رويت أبياتًا من الشعر في أنزه ما يكون

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. (٢) الأرق: امتناع النوم ليلاً.

(٣) أرعف القربة ونحوها: ملأها حتى يفيض الماء منها.

في المغرب من الأمر، في غيابات السر، وهي [هذه الأبيات ربّ يسر كل عسير][1]

أَفَلَتْ شَمسُنا بِمغْربِ ذاتِي ... فَدعَانِي إلى الصَّلاةِ الشَهِيدُ

فَتوضَّأتُ ثم جِئتُ إليهِ ... من قريب وإنَّه لَبعيدُ

قُلْتُ ربي. فقال: لَبَّيْك عَبْدِي ... أَيْنَ حَمْدِي؟ فقلتُ: أَنْتَ الحمِيدُ

فافْتَتَحْنَا به فَرَدَّ علَينا ... مِثْله واكْتَفَى وَكان المَزِيد

وَتَدَانَى فَكان مِني كأنِّي ... ثُم وَليَّ فقُلتُ أينَ تُرِيدُ؟

قالَ: نَمضِي، فإنَّ قوْمكَ جَاؤُوا ... ومُقَامي مَع الْكَيانِ شَدِيدُ

قُمْ فحَيِّهم فَقُلتُ سلامًا ... وبقَلبي من الفِراقِ وَقُودُ

ما أَلذ الخلوَّ بالله ليْلاً ... لَو يَصِح المقصُود صَحَّ الوُجُودُ

فاستَمِع رَمْزَ ما أغارُ عليهِ ... يا حَبيبي، وإنَّنِي لكنُودُ[2]

يشْبُهُ العَسْجد الكريمَ وُجُودي ... وهُو شخصي وَجَدَّ مِنْه الوَرِيدُ[3]

لو رَأَى عَالمًا به لاَ بِذَاتي ... لتوَالى عليَّ منه الشهُودُ

فَأنا عَالِمٌ بهِ وبذَاتي ... فَوصَالٌ وقتًا ووقْتًا صُدُودُ

فلما كبرنا كبرنا، فلما قرأنا أنبأنا، فلما ركعنا رفعنا [فلما رفعنا][1] وضعنا فلما سجدنا شهدنا، فلما جلسنا يئسنا، فلما سلمنا حكمنا، فلما فرغت الصلاة وأجيبت الدعوات، قمت إلى منبر من الياقوت الأكهب[4] بخطبة ذهبت فيها أحسن مذهب، وقلت: الحمد لله الذي أحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم سواه ونفخ من روحه المكين، فلما أقامه في أحسن تقويم، رده إلى أسفل سافلين، فلما أناطه بالمركز ليقيم في دولة العز أعطاه سر التدبير والتفصيل،

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) كند النعمة: جحدها ولم يشكرها فهو وهي كنود.

(٣) العسجد: الذهب.

(٤) الكهبة: لون ليس بخالص في الحمرة، وهو في الحمرة خاصة وقيل: لون إلى الغبرة ما هو، فلم يخص شيئًا دون شيء. وقيل: الدهمة. (لسان العرب ١/ ٧٢٨ مادة: كهب).

ووهبه في كل ما علمه قوة التحصيل، فما بقي روح مجرد إلا سجد، ولا ريح معبد إلا شهد، ولو تكبر وجحد.

ولا صامت إلا تكلم، ولا ميت إلا حيّي وسلم، فإنه النور الأعلى، والقطعة المثلى، ولولا ما هو من ذلك المقام، ما انقادت لسلطانه الروحانيات الجسام، فشقت هذه السدفة الترابية أنواره، وتخللت مسالكها أسراره، ونفدت إلى حضرة توحيد موجدها، وعاينت كريم مشهدها، من غير أن تؤثر فيها هذه الظلمة، لما هي [عليه][1] من نفوذ الهمة، فأقرت الأرواح المجردة بعلو منصبها، واعترفت بسمو مذهبها، وأن لها أرفع المناصب، وأشرف المناسب، ثم اختصت دونها بالمكاسب، فعظمت لديها المواهب، فكم روح مجرد تكلم فيها بما لا يعلم، قبل أن يعلم منها ما علم، ثم أقر لها بعد ذلك بكمال المقام، وأن الروح المجسد له الكمال والتمام، وحسن التقويم والنظام، ثم صبغها في الجمال العرضي، للتعشق الغرضي، فعشقت نفسها بنفسها، حتى لا تتعلق بغير جنسها، فتذعن لغير الجنس، فكان يذهب عنها ما كان لها من العز بالأمس، ويظهر التيه عليها ممن نقص عن مقامها، وتقاصر عن تمامها، فبقيت بذلك [عزتها][1] عليها موقوفة وهمم غير جنسها إليها بالخدمة مصروفة، وهي بذاتها في ذاتها مشغوفة، وجعل لها هذا الشغف العرضي، في الجمال العرضي، حجابًا على الجمال المطلق، والحسن البديع الفائق المحقق، القائم بذات الحق، الذي لا يقيد بالوقت ولا يدرك بالنعت.

ومن مراتب الكمال قوله عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللهَ جميلٌ يُحبُّ الجمَالَ»[2] ومن غوامض السر المكنون، قوله تعالى ﴿ومِن آياتِه أنْ خَلقَ لَكم مِن

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح (الإيمان ١٤٧)، وأحمد بن حنبل في (المسند ٤/ ١٣٣، ١٣٤، ١٥١، ٢٤١) والحاكم في (المستدرك ١/ ٢٦)، والطبراني في (المعجم الكبير ٨/ ٢٤٠، ٢٩٣، ١٠/ ٢٧٣، ١٨/ ٣٦٦) والهيثمي في (مجمع الزوائد ٢/ ٢١٤، ٥/ ١٣٢، ١٣٣)، والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٥١٠٨) والبغوي في (شرح السنة ١٣/ ١٦٥)، وابن حجر في (المطالب العالية ٢١٧٠)، والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٦/ ٤٩٨، ٨/ ٣٣٨، ٣٤٨، ٩/ ٥٥٥، ٥٥٦)، والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٧١٦٥، ١٧١٦٦، ١٧١٦٧، ١٧١٦٨، ٧١٨٧، ١٧١٨٨، ١٧١٨٩، ١٧١٩٠، ١٧١٩١) والسيوطي في (جمع الجوامع ٤٧٧٧، ٤٧٧٩، ٤٧٨٠، ٤٧٨١، =

أَنْفُسِكمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إليْها وَجَعَل بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحمَةً إن في ذلِكَ لآيَات لقومٍ يَتَفكَّرُون﴾ [الروم ٢١] فمن انحجب من هذه الأرواح المجسدة بهذا الحجاب، عن هذا الجمال، لم يزل في سفال العوال، ومن لم يحتجب به صح له المقال العال، ويحدث له الظلال، بالغدو والآصال، ومن انحجب [عنها][1] بهذه الأرواح المبعدة عن هذا الحجاب، لم يزل في سفال السفال

جعلنا الله وإياكم ممن تعشق بربه وإن لم يُرَ به آمين

٧ ـ في اختصاص الصبح بيوم السبت، ومن هو الإمام فيه وما يظهر فيه من الانفعالات:

لـم يـبْـق لـلأيَّـام يـومٌ يـنـتـمـي ... فِـيـهِ إلـيـه غـيـر يـوْمِ الـسّـبـتِ

يَـوْمٌ لـه فـضـلٌ عَـلـى إخـوَانِـه ... فـيـهِ وَضـعـنَـا سِـرَّنـا بـالـسَّـبْـتِ

يـوْمٌ إذا رُفِـعـتْ لـنـا أعـلامُـهُ ... قطعَتْ إليهِ رِكابَنَا بالسَّبتِ[2]

مـنـهـنّ مَـنـطـقـةٌ عـزيـز نَـيـلُـهـا ... وقلائِصُ مؤصُوفةٌ بالصَّمتِ[3]

وقـلائِـصٌ حـزِنـتْ عـلـى ركـابـهـا ... وقـلائِـصُ مـوْسُـومـةٌ بـالـسـمـتِ

وقلائص في سيرِها تشكوُ الطوى ... وقلائِصٌ شغلتْ بِرَعي النَّبتِ[4]

وقلائص تشكوا الوجا وقلائص ... حفيت وتسرع في السُّرى المنبتِّ

لا تَشْتكي ألم الوجَا بخُلُوصِها ... في سيْرِها مِنْ سطواتِ السَّبتِ

٤٧٨٢، ٤٧٨٣، ٧٧٨٠)، والقرطبي في (التفسير ١/ ٢٩٦، ٧/ ١٩٧، ٢٠/ ١٠٣)، وابن كثير في (التفسير ٦/ ٢٦٩)، والألباني في (السلسلة الصحيحة ١/ ٢١١، ٣/ ٣١٢، ٤/ ١١٦، ١٦٧)، والسيوطي في (الدر المنثور ٣/ ٧٩، ٤/ ١١٤)، والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٤/ ٢٩٠)، والشجري في (الأمالي ٢/ ٢١٧)، والمنذري في (الترغيب والترهيب ٣/ ٥٦٧)، وابن حجر في (فتح الباري ١٠/ ٢٦٠)، وابن السني في (عمل اليوم والليلة ١٦٩)، والبغوي في (شرح السنة ٤/ ٨٥)، وابن الجوزي في (تلبيس إبليس ٢٠٢)، والبيهقي في (الأسماء والصفات ٤٢)، وابن حجر في (الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ٤٣)، وابن سعد في (الطبقات الكبرى ٧/ ١٤١)، وأبو عوانة في (المسند ١/ ٣١)، وصاحب (ميزان الاعتدال ١١٠٠)، وابن الجوزي في (العلل المتناهية ٢/ ١٩٨)، والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٢٦٠)، والفتني في (تذكرة الموضوعات ١٦٠)، وابن عدي في (الكامل في الضعفاء ٥/ ١٩٢٩).

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. (٢) الرِّكاب: الإبل التي تُركب.

(٣) القلائص: (ج) القلوص من الإبل الفتية المجتمعة الخلق.

(٤) الطوىٰ: الجوع.

لله مــن يــومٍ كــبــيــرٍ، فِــعــلــهُ — في الكوْنِ محمُودٌ كريمُ الشَّخْتِ

يومٌ تصرَّفَ في جهاتٍ سِتَّةٍ — مَلكٌ على الأيَّامِ سامِي التَّختِ

شمْسُ اليَمينِ مَعَ الإمَامَ، وفوْقَهُ — ليلُ الشمالِ وخَلفهُ والتَّحتِ

ما زَالَ مَخصُوصًا على إخوانِهِ — بالجمْعِ فِي تصرِيفِه والشَّتِّ[1]

فلهُ المَشِيئةُ في [سرَائِر][2] ملكِهِ — بالوَصْلِ في تَرْتيبها وَالبتِّ

لا ينتمي لحقيقةٍ عُلوية — إلاَّ إذَا جاءَتْ بوفقِ البخْتِ[3]

للشرْع منهُ شفاعَةٌ مقبُولةٌ — مَوْسومةٌ من أجْلِ أهْلِ المقتِ[4]

بينَ الذِي ما زَالَ يُعْبدُ واحِدًا — في الفَطرتَينِ وبَينِ أهْلِ التَّختِ

يُدْنِي سعادَته مِن أهْل جَلالِه — وكذَا شَقاوَتهُ مِن أهْلِ السّحتِ

فكأنَّه صُوفي وَقتٍ وُجُودِهِ — ما زَالَ يَسكنُ تحتَ حكمِ الوَقتِ

ثم جاءت الروحانيات المسرَّحة الإنسانية، بأيديهم الرايات السود الخراسانية، ومعه براق أدهم، كأنه قطعة ليل مظلم، فامتطيته عشاء، واندفعت طالبًا اعتلاء، إلى أن وصلنا سماء الخليل فاستأذن الرسول، فإذا بإبراهيم عليه السلام قد غشيته الأنوار الليلية، والضياءات الإلـٰهية، فعندما أبصرت هذا الأب الثاني، سويت المثاني، واندفعت [أقول][2] بهذه الأبيات

ألا مِنْ مُبلغٍ عَني مَقامَا — وقَفْتُ عليه يا أَبتِ، السَّلامَا

ومُلتَزم دَعَوْتُ بِه إلـٰهي — لِقلْبي، والتَزَمْتُ به التِزَاما

وقبلْتُ اليمينَ يَمينَ ربِّي — وراعَيْتُ المودة والذمَامَا[5]

وكانتْ قُبْلة قبلت لِكوْنِي — أردْتُ بِها التَّقدمَ والإماما

فخاطَبَني اليَمين فَزادَ وَجْدِي — وهيَّمني فَأوْرَثَني السَّقاما

وقد استند إلى البيت المعمور، المغَشى بأستار النور، «يدخله ـ كما قال عليه السلام ـ في كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه أبدًا»[6]، فهفا إليه الروح،

---

(١) الشت: من الأمور: المتفرق

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) البخت الحظ (مع) فارسية (ج) بخوت.

(٤) المقت أشد البغض.

(٥) الذمام: العهد والأمان والكفالة والحق والحرمة (ج) أذمة.

(٦) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ١٩/ ٢٧٣)

وتأخرت التربة، وهاجت بها الأشواق إلى الطواف[1] بالكعبة، فانبعث الحس من زاوية تربته، مخبرًا بما استقر عنده من الشوق إلى كعبته، فقال [هذه الأبيات:][2]

إنّي إلى الكعْبَةِ الغرَّاءِ مُشْتَاقُ ... فِيها لعَاشِقِها في السِّرِ أغلاقُ

إذا تَذكَّرت أسْرارِي ومَشْهَدهَا ... فِيها تحرِّكُنِي لِلْبَيْن أشْوَاقُ

الله يَعْلم أنّي لَستُ أذكُرُها ... إلا وعِنْدِي لِذَاك الذكْر إحْراقُ

فالرّوحُ تائِهةٌ والنَّفسُ وإلْهةٌ ... والقَلبُ مُحْترِقٌ والدّمْع مُهْراقُ

فلما سمع بذلك الوالد الإسلامي، والسيد النجدي التهامي، قال: يا بني، أبعد الوصول إلى البيت المعمور، ووقوفك في مشهد [النور][2] تحن إلى البيت الذي يبور، القائم بالتراب والصخور، فقلت أيها السيد [الإمليد][2] لا حرج على من حن إلى جنسه، فإنه اشتاق إلى نفسه، ألا ترى كيف هفا إلى البيت المعمور وهم بالخروج من حبسه؟ فهو ينزعج ويمسكه الأجل المسمى، فهو كمقعد يحمله أعمى، فلو تخلص من ناشئة ليلته وشدة وطأتها[3] وتحرز من ثقل الكلمة التي ألقيت عليه وعظيم سطوتها، فلو وهب السراج راح، ولو منح المفتاح استراح، يا أبت. كيف لا أشتاق إلى تلك المناسك والأعلام، وأنت الذي أسستها لعالم الأجسام، وأعليتها للمتثاقلين عن النهوض إلى هذه المشاهد الكرام؟ فقال: ظننت أنَّ سرك انحجب بتربته، ولهذا حن إلى كعبته، ثم قال: يا أبا رزين ويا أيها العاشق المسكين، المشغوف بالحجارة والطين كيف تركت سرك بالكعبة [حبيسًا][4] وصرت في العالم العلوي رئيسًا، فتنفس أبو رزين تنفس الصعداء[5]، وقال: واشوقاه إلى أعلام الهدى، وعظم هيجانه واشتد، ورق أنينه ثم أنشد [هذه الأبيات][4]

قُل لبيْتِ الحبيب رفقًا قَليلاً ... بِقُليْب أَمسى عَليلاً ذَلِيلا

(١) الطواف: (شرعًا) الدوران حول الكعبة.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. الأملد: الناعم اللين.

(٣) الوطأة: الضغطة والأخذة الشديدة أو موضع القدم.

(٤) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٥) تنفس الصعداء: التنفس الشاق الممدود بعمق من همّ أو توجع.

لَسْتُ أنسى بلا بلا بفؤادي — يَوْمَ نُودِي بِنا الرَّحيلَ الرَّحيلا
لَيْتَ أنِّي يَوْمَ النَّوى والتدانِي — لِوداعي أبقَى لدَيْه قَتِيلا
لَسْتُ أنسى بِبطْن مَكةَ يَوْمًا — قَولَهُ لي بالله صبرًا جميلا
إنَّ بِي مثل ما بِكم فلتَكُن بِي — طَيِّب للنفسِ للسُّرور وَصُولا
لمْ أزَلْ حِينَ بِنْت عنهُم وَقامُوا — أشْتَكي الوَجْدَ والجَوَى والغَلِيلا[١]
وأُنادِي [في][٢] كلُّ فجٍّ فؤَادِي — وأُقاسِي مِنْه عَذابًا وَبِيلا[٣]

فرق له المولى، وقال: النزول إلى الكعبة بهذا الواله المسكين أولى، فقلت: يا أبت إذا مشينا بأخينا هذا أبدًا إلى مغناه متى يلتذ السر بمعناه؟ فقال: يا بني - إذا سريت بفكرك في عالم المعاني انحجب حسك عن التلذذ بالمغاني، وإذا سرى سرك في المغنى لم ينحجب سرك عن مشاهدة المعنى، فالبقاء مع الحس أولى، في الآخرة والأولى، وسيبدو لك شرفه عند الرؤية في جنة المنية فقلت. يا أبت: فما تراني صانعًا؟ فقال انزل به الآن البيت بعمرة، قبل أن يبدو الفجر طالعًا، فنزلت بهمة مهمة فوقعت في بيداء مدلهمة، ليس فيها نبات إلا السمرات[٤] ولا سكان سوى الأفاعي والحيات، قد درست طرقها فتاه طارقها، عديمة الأنس لم يسكنها جن ولا إنس، وحشية الطبع، كريهة الوضع، فقطعتها بجهد وعناء، ومقاساة وبلاء، إلى أن أشرقت عليَّ الأعلام، فلبيت بعمرة يا ذا الإجلال والإكرام، فلما عاينت البيت هاج القلق، وعظم الحرق وبادرت إلى الحجر الأسود[٥] فقبلته، وشرعت في الطواف فأكملته، واستجرت بالمستجار، والتزمت الملتَزَم، وركعت في المقام وشربت من ماء زمزم[٦]، ثم سعيت وأحللت، ثم نهضت إلى السماء ورحلت، فلما رآني الخليل، قال: مرحبًا بالابن الجليل، هذا الفجر قد بدت دلائله، وطلعت منازله، وبدت أعلام الفتح، من أجل صلاة الصبح، فتوضأ يا بني من السلسبيل، فإنه موقوف على أبناء السبيل، فغسلت

(١) بان منه وعنه: بَعُد وانفصل. (٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.
(٣) الفج الطريق الواسع بين جبلين أو في الجبل. وبل الأمر اشتد وساءت عاقبته.
(٤) السَّمُر ضرب من الشجر
(٥) الحجر الأسود: حجر في الكعبة يستلمه الحجاج عند طوافهم.
(٦) زمزم: بئر بمكة عند الكعبة غير منصرف للعلمية والتأنيث (ماء زمزم): كثير.

يدي، ولم يكن بها أذى، فقال أمين النهر من ذا؟ ثم تمضمضت فأفرطت ثم استنشقت فعبقت ثم استنثرت فأوترت، ثم غسلت [وجهي فأريت، ثم غسلت][1] يدي إلى المرافق فسررت، ثم مسحت برأسي فتوجت، ثم مسحت أذني فكلمت، ثم غسلت رجلي قد ملجت، ثم أقيمت الصلاة فأقمت، فلما أحرمنا أحرمنا، فلما كبرنا كبرنا، فلما افتتحنا شرحنا، فلما ركعنا نزعنا، فلما رفعنا دفعنا، فلما سجدنا عبدنا، فلما جلسنا رأسنا فلما سلمنا حكمنا، فرقيت في منبر من السبج، وقمت فيهم خطيبًا في سابع درج، وأنشدت:

ولـمّا بَدا فَجر الَّذِي لاحَ مِن قَلبي ... دَعَـانـي وِدَادِي لِـلـحـديـث مَـع الرَّبِّ
فَطَـهَّـرتُ أثـوابِـي وطـهَّـرتُ بُـقـعـتـي ... وَطـهَّـرتُ أعـضَـائِـي ونـاديـت بِـالـحِـبِّ
حَـبيـبي تَـرَانِـي عـنْـدَ بَـابِ جَـلالِـكُـمْ ... فَهلْ لي إلَيْكم مِن سبيلٍ، ومَنْ قُرب؟
تُريدُ جُفونِي أنْ تَـرَى نور وَجْـهـكُـم ... فَـتَـشْـهَـدكُـم عَـنـي وَيَـرعَـاكُـمُ قَـلْـبِـي
تَـرفَّـقْ بِـمنْ أضْـحَـى قـتِـيـلاً بِـحُـبِّـكُـمْ ... وبـالْـكِـلـفِ الـمُـشْـتَـاقِ والـوَالـه الـصَّـبِّ
أتَـاكُـمْ مِـنْ الـكَـوْن الـغَـرِيـبِ لِـتـرْفَـعُـوا ... بِـفـضْـلِـكُـمْ عَـنْـهُ مُـشَـاهَـدَةَ الـحُـجْـبِ
يُنَاجِي الَّذِي فِي قَلْبه مِنْ وُجودِكُم ... بِما جَاء مِنْكُمْ في الصحائِفِ والْكُتبِ
فمنو عَـلـيْـه بِـالْـوِصَـالِ فَـإنَّـهُ ... أسِـيـرُ هـواءِ الـجَـوِّ إن كـان ذا سُـحْـبِ
فَـوالله مَـالـي رَاحَـةٌ دُونَ وجْـهِـكـم ... ومَـالِـي شَـفِـيـع أرْتَـضِـيـهِ سِـوى حُـبِّـي
فأطلعَ شَمْس الذَّات في القَلْبِ فَانْتَفَى ... وُجُودِي، وَلم يَثْبُتْ سوَى عَالَمِ القُربِ
فَـسـلـمـتُ مـن تِـلْـكَ الـصَّـلاةِ مُـقَـدَّمًـا ... عَلى عَالَمي كَوْنِي وعُذتُ إلى غَيْبِي

الحمد لله الذي جعل الهوى حرمًا، تحج إليه قلوب الأدباء، وكعبة تطوف بها أسرار ألباب الظرفاء، وجعل الفراق أمر كأس تذاق، وجعل التلاق، عذب الجنى طيب المذاق، تجلى اسمه [الجليل سبحانه][1]، فأله الباب، فلما غرقت في بحار حبه، أغلق دونها الباب، وأمر أجناد الهوى، أن يضربوها بسيوف النوى، فلما طاشت العقول، وقيدها الثقيل، ودعاها داعي الاشتياق، وحركتها دواعي الأشواق، رامت الخروج إليه عشقًا، فلم تستطع، فذابت في أماكنها الضيقة

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

ومسالكها الوعرة، وجدًا وشوقًا، واشتد أنينها، وطال حزنها وحنينها، ولم يبق إلا النفس الخافت، والإنسان الباهت، ورثى لها العدو والشامت، فأذابها الأرق وأتلفها القلق، وأنضجتها لواعج الحرق، وفتك فيها الفراق بحسامه، وجرعها مضاضة كأس مدامه، واستولى عليها سلطان البين، فمحق الأثر والعين، ونزلت بفنائها عساكر الأسف، وجردت عليها سيوف التلف، وأيقنت بالهلاك، وعاينت الهلاك، وما خافت ألم الموت، وإنما خافت حسرة الفوت، فنادت يا جميل يا محسان، يا من قال: ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ [الرحمـٰن ٦٠]؟ يا من تيمني بحبه، وهيمني بين بعده وقربه، تجليت فأبليت، وعشقت فأرقت، وأعرضت فأمرضت، فياليتك مرضت وأفرطت فقنطت، وأسست فأسست [وأيست فأيأست، وقربت فدنوت وبعدت فأبعدت][(١)] وأجلست فأنست، وأسمعت فأطمعتْ، وكلمت فأكلمت، وخاطبت فأتعبت، وملكت فهتكت، وأملكت فأهلكت، وأتهمت ففرحت، وأنجدت، فأترحت، وبوهت فولهت، وزينت فأفتنت، وألهت فنبهت، وفوهت فتوهت، وغلطت فنشطت، وعززت فعجزت، وأسلبت فأغفلت، وأمسكت فنسكت، ووسعت فجمعت، وضيقت ففرقت، وأحرمت فأحللت، وأحللت فحرمت وهذا كله سهل إذا ما أنت أقبلت؛ فيا ليتني لم أخلق، وإذا خلقت لم أتحقق، وإذا تحققت لم أعشق، وإذا عشقت لم أهجر، وإذا هجرت لم أقبر، وإذا قبرت لم أنشر، وإذا نشرت لم أحشر، وإذا حشرت لم أعتب وإذا عوتبت لم أزجر، وإذا زجرت لم أطرد، وإذا طردت لم تسعر بي النار التي فيها على الحجب أن أنظر، فلما سمع ندائي، وتقلبي في أنواع بلائي، بادر الحجَّاب، إلى رفع الحجاب وتجلى المراد، فنعمت العين والفؤاد، جعلنا الله وإياكم ممّن عشق فلحق، فظفر

ثم رددت وجهي إلى المقاتل، المشغوف بالمقابل، وقلت يا صاحب الغين والرين، إلى كم تنتهي حقائقك التي أعطاك الله في تدبير الكون، فقال إلى مائتي ألف [حقيقة واثنتين وستين ألف][(١)] وثمانمائة، ثم نزلنا إلى المشتري فسألته عن كمية حقائقه، التي أودعه الله في تدبير خلائقه، فقال مائة ألف وخمسة آلاف

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

ومائة وعشرون، ثم نزلت إلى المريخ فرأيت ثمانية آلاف وأربعمائة وثمانية وأربعين دقيقة، ثم نزلت إلى الشمس فرأيت لها ثمانية آلاف وسبعمائة وستًا وستين دقيقة. ثم نزلت إلى الزهرة فرأيت لها ثمانية آلاف وسبعمائة وخمسًا وستين دقيقة مثل الزهرة، ونزلت إلى القمر فرأيت له ستمائة واثنتين وسبعين دقيقة، ثم نزلت على بعض الرقائق الشمسية في الصور الدحييَّة [إلى أن استويت على الأرض المدحية][1] وقد عرفت ترتيب حركات الأفلاك، ووقفت على مراتب الأملاك، وتحققت ما في القوى الروحانيات، من الانفعالات الكونيات، فسرحت في ميدان معارف النسب، وفزت بمدارك وضعية السبب، وعلمت أن الله قد رتب الوجود أحسن ترتيب، وحصره في تحليل وتركيب، وحكم عليه بالبقاء فلا ينفد وعلى عالمه بالسعادة والشقاء فلا يبعد أسعدنا الله وإياكم بما أسعد به أولياءه وأحباءه.

٨ ـ في أن يوم السبت هو يوم الأبد وهو يوم الاستحالات:

السَّبتُ يومُ البَقا والاسْتحالاتِ	والشُّغل يَصْحَبُه معَ البطالاتِ
عجبتُ من يومِنا فِيه الفَراغُ وفِيه	الشّغلُ جَمعُهما مِن المُحالاتِ
ليس الهُدَى في جنابِ السر	فالذكر أوْلى من تصاريفِ الضَّلالاتِ
فانْظر إلى بَدْءِ يوم السَّبتِ تحظَ به	فقَدْ تقَدَّس عن وصْفِ النِّهاياتِ
نَهارُهُ في جِنانِ الخلْدِ رُؤيَتُنا	ولَيْلُه في لَظى حجب الزِّياراتِ
فالليلُ منه على أهلِ الشَّقاواتِ	كما النَّهار على أهلِ السَّعاداتِ

سرى يوم السبت في الموجودات، سريان العدد في المعدودات، والدوام في الدائمات، والقيام في القائمات، فهو لا معدوم ولا موجود، ولا حاضر ولا مفقود، فيه استلقاء الفاعل من إيجاد الأجناس والأمهات، وشهد لك بالملك والثبات، وذلك أن الله جل أن يسبق وجودَه عدم، أو يتصف بما يناقض القدم، خلق الخلق أسفله وأعلاه، في ستة أيام من أيام الله، فلما كملت أجناس العوالم، وتميزت المراتب والمعالم، ابتدأت يوم السبت الاستحالات والتكوين، والتغييرات والتلوين، فتنوعت الصور والأشكال، وتغيرت المناصب والأحوال، فصارت الآباء أبناء، والأبناء آباء، وتداخلت الموجودات بعضها في بعضها، وحصل خفضها في

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

رفعها، ورفعها في خفضها، واستحال المعدن نباتًا، والنبات حيوانًا، والحيوان إنسانًا، والإنسان معدنًا، وضرب الكل بالكل، وظهرت القوة بالفعل، وعاد العزيز ذليلاً والذليل عزيزًا، والحديد لجينًا والنحاس ذهبًا إبريزًا[1]، والمركب محللاً مفصلاً، والمحلل مركبًا موصلاً، وهكذا في الآخرة وقد بان في [قوله فيع][2] الحافرة، وقوله في غائط السعداء [أنه][2] عرق مثل المسك، ووصفه الأشقياء بنضح المسك ولما كانت الآخرة لا تنفد، وساكنها لا يبعد، انسحب عليها ذيل يوم السبت إذ كان يوم النصب البت فلا ليل لنهاره في دار القرار، ولا نهار لليله [في][2] دار البوار ولا منتهى لظلمه وأنواره، ولا قاهر لسلطان أسراره، ولقد شاهدت روحانية السبتي محمد بن هارون الرشيد في الطواف، وهو نجيج الأطراف، وكان قد اختص في وقت حياته، أن يسعى يوم السبت في تحصيل أوقاته، ويتعبد فيما بقي من أيام الجمعة معمرًا لأوقاته، فسألته لم خصصت يوم السبت بالخدمة؟ فقال إبقاء للحرمة، فإنَّ الغنى في الستة الأيام من الأسبوع المقدر، اعتنى بإظهار أعياننا لمن تفكر، فاشتغلنا فيها بما شرع من خدمته وقرر، ولما انفرد يوم السبت لمعناه، لهذا خصصه بتدبير مغناه، فقد بان أن يوم السبت هو يوم الأبد، وعنده انتهى العدد، وليس وراءه يوم ينتظر، ولا وقت يقدر، وقد ثبتت أعيان الذوات، ودخلت الاستحالات والتغيرات، في الأشكال والصفات.

جعلنا الله وإياكم ممن عرف أنه لا بد من يومه، فلم يعجل عن قومه.

٩ ـ في [بيان][2] الصلاة الوسطى، أي صلاة هي؟ ولماذا سميت الوسطى؟ [فقال هذه الأبيات][2]:

السرُّ مِنَّا في البرْزَخِ الوسط	وهُو بِسرِّ القَدِيم مرتَبطُ
فانظُرْ إلى بَدْئِه وغَايتهِ	يجْمع أسرار دِينك الوَسطُ
وانظر إلى الفوز بَين راجِيةٍ	وبَيْن قَوْم من ربِّهم قَنَطوا
فمن أرادَ الوُقُوفَ منهُ على	غايتِه فالخفاء مُشْتَرط
يا فرحَة القَوم لو بدَا لهمُ	سُرُّوا بذاكَ الظُّهور واغتَبطُوا

(١) الإبريز الذهب الخالص (مع)

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

أقول من المعارف الرسمية والعلوم الوسمية: إنَّ [الصلاة][1] الوسطى من الوسط والفضيلة، فمن جعلها من الوسط، فهي المغرب لما جاء في الخبر إن أول صلاة صلاها جبريل بالنبي ﷺ صلاة الظهر، وقد ثبت ذلك وظهر، ومن جعلها من الفضل فتكون العصر لاقتران فواتها بمصيبة الأهل والمال، وتغيير الأحوال، وقد جاء في الخبر الحق، في يوم الخندق، أنه عليه السلام أبدل العصر من الوسطى، بدل الشيء من الشيء، وهما لعين واحدة، فهي المختارة المثلى، وقد أثبتتها عائشة[2] [أم المؤمنين][1] [رضي الله تعالى عنها][1] في مصحفها بواو التوكيد وهذا في المسألة من أعظم تأييد، ومن خالف ما ذكرناه من علماء الآراء والرواية، فروايات واهية، وأقوال ما عليها من طلاوة، فسلطان هذا الحكم من معارف الرسم وعلوم الوسم ثم نرجع [فيها][1] إلى الحكم بعلم الكشف المحقق، بالنور المطلق، أقول شاهدت عين السر في حضرة الوتر، أنَّ الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، لأن الظهر لظهوره في مقام الفناء، والمغرب لظهوره في مقام البقاء، والعشاء لظهوره في مزج الأولياء بالأعداء، والصبح لظهوره في طريق أخبار السفراء، والعصر لظهوره في خط الاستواء، لأن شجرة المشاهد لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار، والمراد بقاء الأبصار فجمع بين العالم البسيط اللطيف، وعالم التخطيط الكثيف، ولم يتغير في هذا المشهد شيء من أشكال نظام الأحوال، فشاهده الإنسان في كماله، بقوة اعتداله، وما عدا هذا المقام فانحراف عن الاعتدال بنور أو ظلام، والحق المطلوب والفضيلة عند الرجال، إنما هي في المشاهدة والاعتدال فضمه إليه عند صحوه وأثبته بعد محوه، وألحفه لحف الجمال والأنس، وأمره أن يخلع على عالم النفس، فلا تعرف الحقائق الروحانية إلا بتنزلات الرقائق الإلـهية، ولتكف هذه الإشارة في الوسطى من الوسط [والأوسط][1] فإنها تنزيل من الحكيم المقسط.

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان (٩ ت هـ ـ ٥٨ هـ = ٦١٣ ـ ٦٧٨ م) من قريش أفقه نساء المسلمين وأعلمهن بالدين والأدب. تزوجها النبي ﷺ، فكانت أحب نسائه إليه وأكثرهن رواية للحديث عنه ولها خطب ومواقف. توفيت بالمدينة. روي عنها ٢٢١٠ أحاديث. (الأعلام ٣/ ٢٤٠، والإصابة كتاب النساء ت ٧٠١، وطبقات ابن سعد ٨/ ٣٩).

جعلنا الله وإياكم من الأمة الوسطية وخصنا [وإياكم][1] بما خص به إبراهيم الفرع الكريم الباسق من الأرض القبطية.

١٠ - في معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]:

إذا ما صَحَّ لِلعَبْدِ المقامُ	يَصِحُّ لهُ الدَّوامُ عَلى الصَّلاةِ
فَفي دَيمومَةِ السِّرِّ المُعَلَّى	بِشاراتُ الإقامَةِ والثَّباتِ
أقامَكَ في المعارِجِ تَبْتَغِيهِ	لتُلْحِفَهُ رِداءَ المكْرُماتِ
ففاجَأها بِنَغْتٍ لا يُسامَى	ويَعْلو عن سِماتِ المحْدَثاتِ
فعانقَها وضاجَعَها قَليلاً	فأوْلَدَها بِسِرِّ الذَّارِياتِ
فلمَّا عايَنَتْ شَخْصًا سوِيًا	تَعالى عن لحوقِ المرْسلاتِ
فَوَلَّتْ نحو حَضْرتِها وقالتْ	عَشِقْنا الدَّائِماتِ المُلْقِياتِ
وقُلْنا حينَ قالتْ ما سمِعْنا	عَشِقْنا الجارياتِ الحامِلاتِ

ومن [عرف][1] سر وضع الصلوات، لم يزل يستعمله في عموم الحالات على تنوع التصرفات، فلا يبرح على صلاته دائمًا، وبسرها حاكمًا، ولا يقنع بالاقتصار على المحافظة على الأوقات، فإنه لأهل الأشغال والغفلات، ولا شغل للعارفين إلا بربهم، ولا مراقبة لهم في شيء إلا في قلبهم فإنه الذي وسعه، وناداه فسمعه، فهو في كل الأديان شاهده وسره مع الأنفاس عابده، فقابل الدوام بالدوام، وزاد على اليقين [المنفصل][1] عند أصحاب الليالي والأيام، فجواد همته في ميدان الديمومية سانح، ونون سره في بحرها المتلاطم سابح، وإن كانت الصلاة مرتبتين محققتين مرتبة عميمة ومرتبة مخصوصة، وأسرارهما عند المحققين الذين هم على بينة من ربهم منصوصة، والدوام إنما يقع في المرتبة العامة، وهي المناجاة.

وأما المرتبة المخصوصة فلا يتمكن فيها الدوام، لاختلاف المقامات، وتتنوع التنزلات، لتنوع الحالات، فمن وقف على سر الحضور لم يقتصر به على بعض

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

الأمور، وفيه يصح الدوام عند علماء الإلهام، [فقد][1] تبينت الرتب وتحققت النسب.

جعلنا الله وإياكم ممن داوم على صلاته في الحكمين، ففاز بالعلمين.

وقد تم الباب، وبتمامه تم [جميع][1] الكتاب، وجميع ما فيه من الأبيات هو [من][1] سنوح الخاطر، على ما أعطاه الوقت الحاضر، إلا البيتين اللذين في الباب الأول فإنهما لغيري وهما:

يا رُبَّ جَوْهر عَلْم لو أَبوحُ به   لَقيلَ لِي: أَنْتَ ممَّن يَعْبدُ الوَثَنا[2]

[ولاستحَلَّ رجَالٌ مسلمون دمي   يروْن أقبح ما يأتونه حسنا][1]

«تمّ الكتاب بحمد الله وعونه»

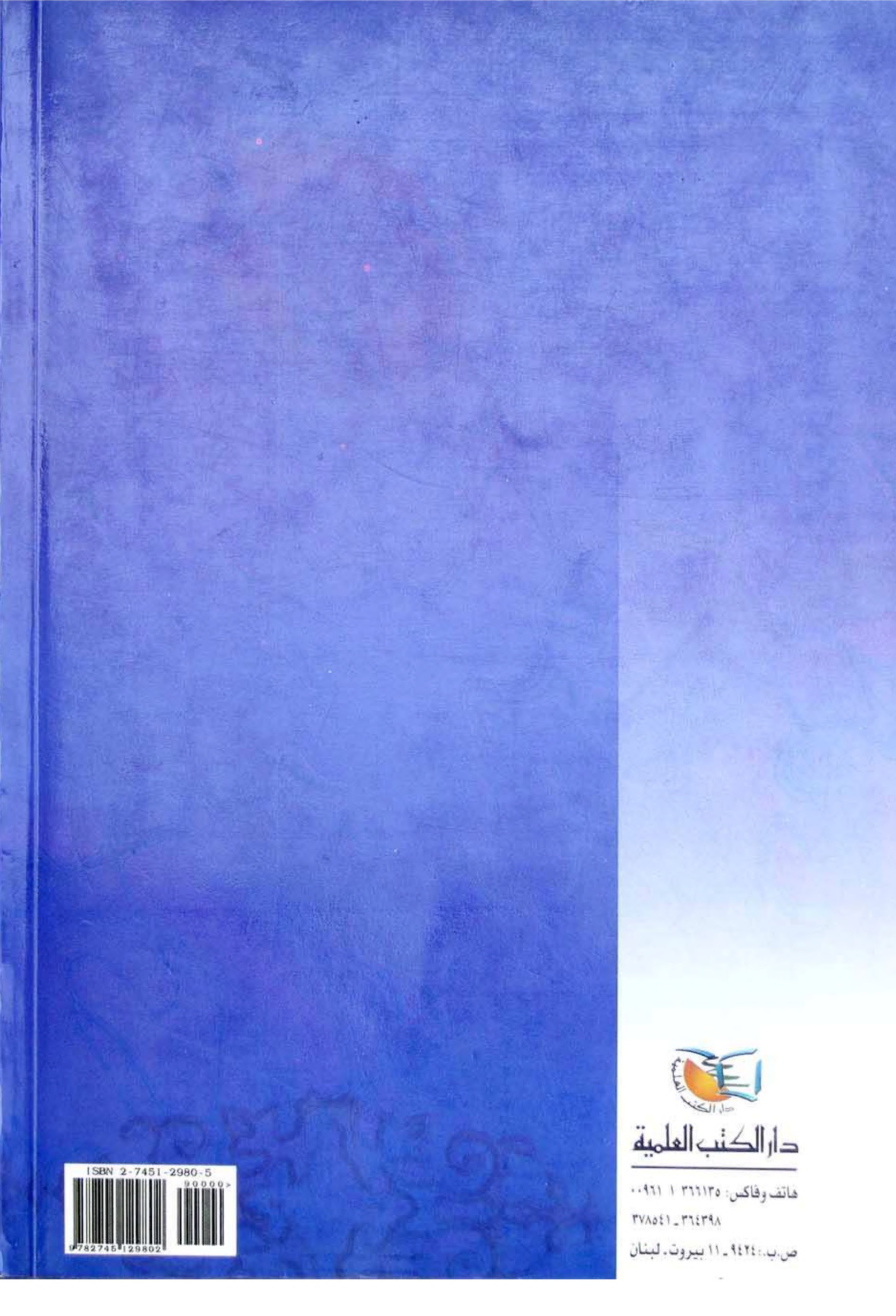
(١) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٢) الوثن: التمثال يُعبد، مما يتخذ من الخشب أو الحجارة أو النحاس أو غيرها، وقد يقال لما يُعبد من غير التماثيل (ج) أوثان ووثن.

فهرس المحتويات

الباب السادس

الاختصاصات والانفعالات



دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٣٦٦١٣٥ ١ ٠٠٩٦١
٣٧٨٥٤١ _ ٣٦٤٣٩٨
ص.ب: ٩٤٢٤ _ ١١ بيروت . لبنان
ISBN 2-7451-2980-5
90000>
9782745129802